النقد الادبي في القرن الرابع الهجري

رسالة قدمت الى دائرة الدروس العربية في كلية العلوم

والاداب بجامعة بيروت الاميركية لنيل شهادة

استاذ في العلوم

بقلم

محمد حسيب الحلوى

الحلبي

بيروت في شباط سنة١٩٤٢

المقدمـــــة

عرف القرن الرابع الهجري طائفة كبيرة من ائمة النقد الادبي جدير بهذا الفن الجميل ان يباهي بهم في عصورهم المختلفة ، لما اوتوه من سلامة الذوق واتساع الافق ، وعمق الفكرة ، وحسن التنظيم وجمال العرض . فقد بلغ الشعر والنثر في العصر العباسي نهاية ماوصل اليه هذان الفنان الى تبيل النهضة الحديثة ، بما حدث لهما من التجديد في الروح والمعنى والاسلوب ، وبما تالق في سمائهما من الكواكب اللامعة ، كابن المقفع والجاحظ وابن عباد وابي نواس والبحتري وابي تمام والمتنبي وغيرهم من فحول البيان . فكان من الطبيعي ان يرافق هذا النشاط الادبي حركة نقدية مماثلة تتناول مذاهب الشعراء المتباينة ومشاكل الادب الجديدة ، وان يعرف العصر الرابع اكابر النقاد كما عرف اكابر الشعراء والكتاب . فاشتهر منهم صاحب نقد الشعر ، والصولي والعسكري والآمدي والجرجاني والثعالبي والباقلاني وحفلت كتب الادباء بالدراسات المستفيضة في علوم البلاغة وفلسفة الادب وخلفوا لنا مـــن التصانيف النقدية ما لا يكاد يحصى كثرة ، والذى وصلنا منها حافل باسمى النظرات التي وصل اليها النقد الادبي عند العرب . فاذا نحن درسنا النقد في المئة الرابعة للهجرة فانما ندرس هذا الفن ممثلا بارقى الادباء الذين خاضوا فيه واعمق المؤلفات التي وضعت له .

وليس في نقاد العصر الحاضر من افرد لهذا الموضوع رسالة خاصة تستوفي اهم بحوثه وتميز الاتجاهات الكبرى فيه . ولكن منهم من الم بالآراء النقدية لذلك القرن في جملة ما الم من الموضوعات ، او وقف عندها وقفة قصيرة لا تفيها حظها من الدقة والتوسع . ثم ان لهذه الرسالة اتجاها خاصا يخالف اتجاه هذه البحوث التي وضعها المعاصرون عن النقد الادبي عند العرب . ذلك بان شخصية هؤلاء الادباء تكاد تطغى على شخصية النقاد القدماء . وهم يتناولون النقد الادبي من وجهة نظرهم اكثر مما يتناولونه من وجهة نظــر الاسلاف . اما نحن فقد حال الاسلوب العلمي بيننا وبين هذا الاتجاه ، ولم نبح لانفسنا ان

ندلي بآرائنا الخاصة او نتجاوز البحث الى الآراء النقدية التي لم تخطر على اذهان النقاد في ذلك العصر ، واكتفينا بآراء العصر الذي حددته لنا الدائرة العربية وتركنا المجال لافكار النقاد وتقيدنا ما امكن بتعابيرهم ومقاييسهم ورتبناها وشرحناها واستنتجنا الاتجاهات الرئيسية فيها ، فلهذه الرسالة اذا غاية تاريخية مع الغاية الادبية . وغايتها التاريخية ظاهرة كذلك في اننا لم نقصر البحث على المقاييس النقدية بل ضمناه كل ما يمكن ان يقال عن الحركة النقدية : فحللنا مصادرها ، وتكلمنا عن اساليب النقاد ، ونزاهتهم ، ومهمة النقد في نظرهم ، وبينا الامواج الاجتماعية والادبية التي وجهتهم وجهاتهم المختلفة .

وقد اخترنا لهذه الرسالة ان تدور حول الموضوعات لا حول الكتب الهامة والاشخاص وذلك لسببين : احدهما ليتاح لنا دراسة الآراء النقدية في جميع الكتب الادبية لذلك العصر ، سواء في ذلك كتب النقد الخالص والمؤلفات الادبية الاخرى . والثاني : لنتحاشى التكرار ، لما بين الآراء والمواضيع في هذه الكتب من تشابه وتوافق لا بد منهما لان العصر واحد والمشاكل متشابهة .

واحب ان اغتنم الفرصة لاشكر الرعاية التي غمرني بها رئيس الدائرة العربية استاذي انيس المقدسي ، وزميله الاستاذ جبرائيل جبور ، وسائر الاساتذة الافاضل الذين تلقيت عنهم من العلوم ما اهلني لكتابة هذه الرسالة .

حسيب الحلوى

جامعة بيروت الاميركية ، في ٣٠ كانون الثاني ١٩٤٢ .

الباب الاول

"الجهد الادبي في القرن الرابع الهجري"

بلغت الفتوح الاسلامية اقصى غاياتها في العهد الاموي ، وبذل العرب نهاية جهودهم وحيويتهم في ضم الممالك المجاورة اليهم ، ونشروا فيها مبادئ شريعتهم ونقلوا اليها لغتهم ووحدوا ادارتها ومزجوا بين عناصرها وكونوا منها مملكة اسلامية عربية متماسكة الاجزاء ، قوية الشكيمة ، مرهوبة الباس ، تمتد رقعتها من البحر المحيط الاطلسي غربا الى ما وراء حدود الهند والتركستان شرقا ، ومن المحيط الهندي جنوبا الى بلاد القوقاز شمالا (١) فلما قام بنو العباس بثورتهم الكبرى على ابناء امية وثلّوا عرشهم ، واستعانوا عليهم بجيوش خراسان الصاخبة ، ورثوا عنهم هذه البلاد الواسعة ، ولم يفلت من سيطرتهم الا امويو الاندلس ، واسسوا خلافتهم في بغداد على انقاض الخلافة السابقة ، وكان هذا الانقلاب الذي اوال من بني امية في الشام ورفع ابناء العباس على اريكة الحكم في العراق ، اشارة الى انشاء امبراطورية اسلامية تخالف في مبادئها واساسها امبراطورية الامويين العربية المنقرضة (٢)

كان الملوك العباسيون الاول يتمتعون بسلطة مطلقة على حياة رعاياهم واملاكهم ولا يحد من نفوذهم غير ضمائرهم وما تقتضيه مصلحتهم . ادخلوا الى بلاطهم المراسيم والعادات الفارسية وعاشوا في قصورهم عيشة الملوك الفرس قبلهم في هيبتهم واتساع نفوذهم .

---

(١) دى بور : ٥

(٢) Lit. Hist. of the Arabs: Nicholson : 256

بيد ان الدولة العباسية ،على صلابة شوكتها وقوة شكيمتها ،لم تستطع ان تخالف سنن الطبيعة المحتمة . ولم تستطع ان تدفع عنها عوامل الانحلال والضعف الا زمنا يسيرا . بدا ذلك والدولة في غاية عزها واوج حضارتها وعلى راسها مفخرة سلاطين الاسلام ،الخليفة المامون فانشاء قائده وواليه على خراسان : طاهر بن الحسين دولة مستقلة في ولايته واستقل اولاده بحكمها ولم يتركوا للخليفة في بغداد غير السلطة الاسمية ، ولم يعترفوا له الا بالتبعية الظاهرية [1] . ثم كانت خلافة المعتصم بالله ،فاحاط نفسه بالجنود الاتراك[2] وسار بالدولة من حيث لا يشعر ولا يريد . خطوة واسعة نحو الانحطاط ، فاضحت الخلافة العوبة بيد الامراء والقواد والمتنفذين واضحى تتابع الخلفاء على العرش سريعا كتتابع المنازعات ، وقامت الدويلات الصغيرة في ارجاء المملكة تحت سلطة الامراء وملوك الطوائف ، تستبد بالامور ، ولا ترتبط بالخلافة الا بأوهن الروابط الاسمية والظاهرية . [3]

فلما جاء القرن الرابع الهجري كانت المملكة العباسية تمر باحرج ايامها واكثرها قلاقل واضطرابات " فقد ضعفت شوكة الاسلام ، وظهر الروم على المسلمين ، وفسد الحج ، وانقطع السبيل ، وفسدت الطرق ، وانفرد كل رئيس وتغلب على البلاد التي هو فيها [4] . واشبه عمل هؤلاء الرؤساء " بعمل ملوك الطوائف بعد مضي الاسكندر [5] .

لم يبق للخليفة اذن غير نفوذه الروحي ، كانت بغداد والبصرة سنة ثلاثمائة واربع وعشرين لابن رائق وكانت خوزستان في يد البريدي ، وفارس في يد عماد الدولة بن بويه وكرمان في يد ابي علي محمد بن الياس ، والري واصبهان والجبل من يد ركن الدولة بن بويه ويد وشمكير اخي مرداويج يتنازعان عليها ، وخراسان وما وراء النهر في يد نصر بن احمد

---

٢) راجع الطبري طبعه اوربا الجمله ٣ الجزء ١٠ص٩ ١٠٣، ١٠٦٣ــ١٠٦٥، ١٠٩٦ ثم ج ١١ص ١٣٣٨ والمصدر السابق من المحل نفسه (٢) اقرأ اخبار الافشين وغيره من كبار القواد الاتراك في الطبري الجملة ٣ج ١٠ اعتبارا من ١١٧١ والجزء ١١ وخصوصا ص١٣٠٣ وما يليها

٣) Lit.His.of the Arabs:Nich: 262-263 والكامل لابن الاثير ج٨ ص٤٢١ــ٢٤٢ــ(٤) مروج الذهب ج ٢: ٧٣ الكلام للمسعودي عما وصلت اليه المملكة عام ٣٢٩ هـ (٥) ~~الكامل لابن الاثير ٨ــ ٢٤١ــ ٢٤٢~~

الساماني ، وطبرستان وجرجان في يد الديلم ، والموصل وديار بكر ومضر وربيعه في يد بني حمدان ، والبحرين واليمامة في يد ابي طاهر القرمطي ، ومصر والشام في يد محمد بن طغج ، والمغرب وافريقيه في يد ابي القاسم امير المؤمنين المهدى العلوي[1] الفاطمي [2] ، وكانت الاندلس كما ذكرنا في يد الامويين ، وكان عليها الامير عبد الرحمان بن محمد الملقب بالناصر [3]

السلطـــة في بغـــــداد

اعتاد الباحثون ان يقسمو العصر العباسي الى اربعة ادوار بحسب العناصر التي كان لها التاثير الاكبر في شئون الدولة المركزية في بغداد . وهي :

الدور الاول : او دور النفوذ الفارسي : يمتد من بدء الدولة ١٣٢ هـ الى اول حكم المتوكل على الله ٢٣٢ هـ . بلغت فيه الخلافة ازهى ايام رخائها وعظمتها ، وكان اثر الفرس فيه كبيرا في الادارة والثقافة والحياة الاجتماعية .

الدور الثاني : دور النفوذ التركي ، يمتد من خلافة المتوكل ٢٣٢ هـ الى استقرار الدولة البويهيه في بغداد سنه : ٣٣٤ هـ . وفيه نرى الجنود الاتراك الذين اعتمد عليهم الخليفة المعتصم بالله في توطيد سلطته ، يستبدون بالامر ويتصرفون في الخليفة كما يشاؤون . [4]

الدور الثالث [5] : دور النفوذ البويهي ، ويمتد من اواخر ايام الخليفة المستكفى سنه

---

(٢) آدم متز ١ : ص ١

(١) الكامل لابن الاثير ٨ : ٢٤١ (٣) الكامل لابن الاثير ٨ : ٢٤٢

(٤) زيدان : تاريخ اداب اللغة العربية ج ٢ ص ٩ ثم امراء الشعر العربي في العصر العباسي ص ١

(٥) تجارب الامم لمسكويه : ٥ : ص ٨٤ ــ ٨٧ ، وامراء الشعر : ١ ــ ٢ وتاريخ اداب اللغة لزيدان ٢ : ٩ .

٣٣٢ (١) الى دخول السلاجقه بغداد سنه ٤٤٧ هـ .

الدور الرابع : دور النفوذ السلجوقي ، يمتد من دخول السلاجقه بغداد ، الى سقوطها في ايدي المغول سنه ٦٥٦ هـ ، فنهبوا البلد وقتلوا اخر الخلفاء وازالوا الخلافة العباسية من الوجود . (٢)

. . . .

فالثلث الاول من القرن الرابع الهجري الذي تنحصر فيه مباحث هذه الرسالة ، كان تحت النفوذ التركي ، وسائر هذا القرن كان تحت نفوذ آل بويه . وخلفاء هذه الحقبه ثمانية خمسة منهم في الدور التركي ، وثلاثة في الدور البويهي وقد حكم هؤلاء الخلفاء بحسب السنين التاليـــة :

١) الخليفه المقتدر : ٢٩٥هـ ـ ٣٢٠ هـ(٣) ٢ ـ الخليفه القاهر ٣٢٠ ـ ٣٢٢ هـ(٤)

٣) الخليفة الراضي : ٣٢٢ ـ ٣٢٩ هـ(٥) ٤ ـ الخليفه المتقى ٣٢٩ ـ ٣٣٣ هـ(٦)

٥) الخليفه المستكفي : ٣٣٣ ـ ٣٣٤ هـ(٧) ٦ ـ الخليفه المطيع ٣٣٤ ـ ٣٦٣ هـ(٨)

٧) الخليفه الطايع : ٣٦٣ ـ ٣٨١ هـ (٩) ٨ ـ الخليفه القادر ٣٨١ ـ ٤٢٢ هـ (٩)

---

١) تجارب الامم لمسكويه : ٥: ص ٨٤ـ٨٧ ، وامراء الشعر : ١ـ٢ وتاريخ اداب اللغة لزيدان ٢: ٩ (٢) وامراء الشعر ٢ (٣) المسعودى : ٧ : ٢٧٤ ثم ٨ : ٢٩٧ والعقد الفريد ٣: ٥٨ ثم ابن الاثير ٨: ١٧٨ (٤) المسعودى ٨: ٢٨٦ وابن الاثير ٨: ١٧٨، ١٨٠ العقد الفريد ٣ ٥٩ (٥) العقد نفس الصفحة المسعودى ٨: ٣٠٨ـ٣٠٩ وابن الاثير: ٨: ٢٧١ـ٢٧٢ (٦) العقد نفس الصفحة ٢٨٧ ثم ابن الاثير ٨: ٢٧٥، ٣٣٨ ثم المسعودى : ٨: ٣٤٤ـ٣٤٥ (٧) العقد : نفس الصفحة وابن الاثير ٨: ٣١٤، ٣٣٨ والمسعودى : ٨ : ٣٧٦ (٨) العقد نفس الصفحة ابن الاثير ٨/ ٣٣٩، ٤٦٨ المسعودى ٨: ٣٧٦ ، ٤١٠ (٩) ابن الاثير ٨: ٤٦٨ والجزء التاسع ٥٥ـ٥٦ وذيل تجارب الامم ص١٠ - ٢٠٢ (٩) ذيل تجارب الامم ٢٠١ـ٢٠٢ ثم ابن الاثير ٩: ٥٦ ، ٢٨٤

" تواريخ هؤلاء الخلفاء في الموسوعة الاسلامية مقالـة : Abbasids

الخلافة في العهد التركي من القرن الرابع:

كان هؤلاء الخلفاء من انحس الناس حظا واسواهم مصيرا يعزلون ويحبسون لا ويعذبون ويقتلون ولايكون لهم من السلطة الا اقلها . وذلك في فترات قصيرة جدا لاتلبث بعدها ان تخرج من ايديهم ، بعد ان تكلفهم غالي الاثمان . ونخص بالذكر من كان منهم في العهد التركي ، كالمقتدر والقاهر والمتقي ، فقد خلع الاول مرتين وقتل في الثالثة في الوقعة التي كانت بينه وبين مؤنس الخادم (١) ، ولم تطل خلافة القاهر سنتين اثنتين ، حتى خلع وسملت عيناه (٢) ، وخلع المتقي بعد اربع سنين من خلافته وسمل (٣) .

وكان القائمون على الامور في هذا العهد يتوخون في انتقاء الخليفة ، اقصر الامراء يدا واقلهم خطرا ، واستشار الوزير العباس بن الحسن كاتبه ابن الفرات — هو الوزير ابن الفرات فيما بعد كما سنرى — فيمن يوليه الخلافه بعد المكتفي ، فاشار عليه بجعفر بن المعتضد لانه ولد لايستطيع ان يباشر الامور بنفسه (٤) فكان عمره لما ولي الخلافة ثلاث عشرة سنه (٥)

وظهر في ايام الخليفه المقتدر نفوذ الخدم الى جانب نفوذ القواد الاتراك ، ومن رؤسائهم : مؤنس الخادم ومحمد بن ياقوت ، وقد استبد هؤلاء الخدم بامور الدولة استبداد الاتراك بها وزادوا الشغب واضافوا الى مشاكل الدولة مشاكل اخرى سببت ضعفها ، وكان تنافسهم من اهم الاسباب في خلع المقتدر وقتله كما بينا (٦) . وكانت سلطة مؤنس تزاحم

---

(١) المسعودي ٧: ٢٧٤ (٢) المسعودي ٨: ٢٨٦ (٣) مروج الذهب للمسعودي ٨/ ٣٤٤ — ٣٤٥ — (٤) ابن الاثير : ٨ ص ٧ (٥) نفس المصدر : ص ٨ والمسعودي ٧ : ٢٧٤

(٦) ابن الاثير : ٨ : ١٦٥ .

سلطة الخليفة وتفرض عليه طاعتها في كثير من الاحوال ، وقد صدف ان المقتدر اراد ان يستوزر الحسين بن القاسم ، فلما سمع بذلك مؤنس عارض واجبر الخليفة على ان يستوزر ابا القاسم الكلوذ اني ففعل .(١)

ولم يكن الوزراء في العهد التركي احسن خطا من الخلفاء ، فقد كان هؤلاء على اختلاف دائم مع وزرائهم ، وكان الوزراء ز ، بحكم سمو مناصبهم واستلامهم امور الناس اكثر تعرضا للنقمة والاذى من غيرهم . وقد الف ابو الحسن الهلال بن ابراهيم الصابىء المتوفي ٤٤٨ هـ (٢) كتابه : تاريخ الوزراء وضمنه ذكر كثير من هذه المآسي ، اقرأ مثلا عن ابي الحسن بن الفرات ، وهو اكبر وزير لاول خليفه في هذا الدور ، فقد ولاه المقتدر الوزارة ثلاث دفعات(٣) وكان في كل مرة يغدق عليه العطايا ويمنحه الاقطاع الواسعة والقصور العامرة ويخصه بمشاهرة لا تخطر بالبال : خمسة الاف دينار ، ويخص ولديه بمشاهره عظيمه كذلك (٤) ، فاذا تمكن الوزير في دست الحكم جمع حوله الاعوان واغدق عليهم الاموال ، وسعى في تنميه امواله فاعجز هزانه الدولة واثار عليه الجنود واصحاب الحقوق ، فكان المقتدر يعزله ويصادر امواله وقد اربت على مآت الالوف من الدنانير ، بل انها بلغت في اخر مرة ، على ما يذكره ابن الاثير الف الف دينار(٥) ! . !

ويظهر ان الذى كان يختاره المقتدر بعد عزل ابن الفرات لم يكن احسن منه علاقة بالخليفه ولا اقدر على تسيير الامور ولا اعف في اموال الخزانه ، فكان يصير الى ماصار اليه سلفه ، فيكف المقتدر يده وينيله ما انال الوزير قبله ، ثم يعيد ابن الفرات اليه ، ويبالغ

---

(١) ابن الاثير ٨ : ١٦٦ (٢) كتاب تاريخ الوزراء ص: 3

(٣) كتاب تاريخ الوزراء ٢٢ (٤) نفس المصدر : ٢٣

(٥) نفس المصدر : ٢٨ ، ٢٩ وكتاب الكامل لابن الاثير ج ٨ : ١١٠

في اكرامه والانعام عليه [1] ، ثم يعود فيعزله ويحبسه ويعذبه ويهينه ، ثم يعود فيستوزره ويسبغ عليه ويقربه ، وهكذا ثلاث مرات تتقلب فيها هذه الكوميديا العجيبة الى ماساة محزنة تقضي على نفوذ هذا الوزير وتنزل به اشد الجزاء !! [2]

ويزعم الصابي ان ابن الفرات تحدث ذات يوم الى جلسائه بما وصل الى الخليفة من ماله فقال تاملت ما صار الى السلطان من مالي فوجدته عشرة الاف دينار ، وما اخذت من الحسين بن عبد الله الجوهري فكان مثل ذلك [3]...... وهو حديث نتبين من خلاله اطماع الوزراء والقادة وما كانت تجره عليهم وعلى غيرهم من الويلات .

كل هذه الاضطرابات في مركز الخلافة مضافة الى ما يحدثه استقلال الولايات من ضعف في جسم المملكة ، ساعد على قيام الثورات الداخلية وسهل لاعداء المملكة في الخارج مهاجمتها وايقاع الاذى باهليها : فثار الليث بفارس [4] والاطروش في طبرستان [5] وابن الساج في الري [6] وتتابعت ثورات القرامطه [7] ، واشتد خطرهم واصبحوا سنه ٣١٧ هـ يهددون طريق الحج ، ودخلوا مكة وانتزعوا الحجر الاسود واخذوه معهم [8] ورفضوا طلب الخليفه بارجاعه [9] . واشتد النزاع بين جيوش المهدي وجيوش العباسيين على مصر [10] ، وتتابعت هجمات الروم [11] ، وظلت المملكة تسير من سيء الى اسواء حتى قوى نفوذ البويهيين

(١) كتاب تاريخ الوزراء : ٣٠-٣١ (٢) نفس المصدر : ٥٩ (٣) نفس المصدر : ٢٢٣ (٤) ابن الاثير ٨: ٤٣ (٥) ابن الاثير ٨: ٦٠ (٦) نفس المصدر : ١٠٥ (٧) نفس المصدر : ١٠٥-١١٤

(٨) نفس المصدر : ١٥٣ (٩) نفس المصدر : ٢٢٠ .

(١٠) نفس المصدر : ٦٣ ، ٨٢

(١١) نفس المصدر : ١٧٣ .

في فارس وفاضت قوتهم الى العراق ، ودخل اميرهم ابو الحسن احمد بن بويه بغداد سنه ٣٣٤ هـ [١] .

البويهيون في الحكم :

دخل الامير ابو الحسن احمد بن بويه بغداد سنه ٣٣٤ هـ ، وحظي بالحضور في مجلس الخليفه المستكفي بالله ، وبايعه وامن رجال حاشيته ، فالبسه الخليفه الخلع ولقبه بمعز الدولة ، ولقب اخاه الاكبر : علي بن بويه بعماد الدولة ، ولقب اخاه الاوسط : الحسن بن بويه بركن الدولة . حكم معز الدولة في العراق وركن الدولة في الري [٢] وعماد الدولة في فارس [٣] ، فاستقرت الاحوال السياسية نوعا وظهر هذا الاستقرار في امور ثلاثة : اتفاق الامراء البويهيين – طول مدة الخلفاء – استعمال اكابر الوزراء :

١) كان اتفاق هؤلاء الامراء البويهيين في بادئ الامر سر نجاحهم في توسيع نفوذهم وفرض سلطتهم على سكان البلاد ، كان صغيرهم ينقاد الى كبيرهم ، وكبيرهم يعطف على صغيرهم ويناصره ويخلص له النصح :

" فكان معز الدولة اذا لاقى اخاه عماد الدولة يقبل الارض بين يديه ويقف قائما عنده ، فيامره بالجلوس فلا يفعل " [٤] احتراما لاخيه . ولما مات عماد الدولة ضم ركن الدولة بلاد الري اليه واجاب اخوه معز الدولة امره فاعانه بجيوشه على طرد القائد منصور بن قرانكين منها [٥] .

---

(١) مسكويه ٨٤ – ٨٥ (٢) مسكويه ج ٦ ص : ٨٠ – وادم متز ١ : ص ٣٦ وتاريخ الادب العربي للزيات : ص ١٢٢ ، ١٢٣ (٣) كتاب العيون ص ١٤٧ ، ب عن ادم متز ج ١ ص ٣٧ – ٣٨ لعدم وجود المصدر الاولى الاولى بايدينا

(٤) ابن الاثير ٨ : ٣٥٢ – (٥) نفس المصدر ص ٣٦٥ – ٣٦٦

وكان معز الدولة حين ايقن بالتلف قد وصى ابنه بختيار بطاعة ركن الدولة واستشارته في كل ما يعرض له من مهم وبطاعة ابن عمه عضد الدولة لانه اسن منه واقوم بالسياسة . (١)

٢) واستقر خلفاء هذا العهد في مناصبهم مدة طويلة تشعر بحسن علاقاتهم مع المتنفذين ، وقد راينا انه لم يتتابع على هذا المنصب ما بين سنتي ٣٣٤ ـ ٤٢٢ غير ثلاثة خلفاء وهي مدة ليست بالقصيرة كما ترى . ولعل سبب ذلك يعود الى اكتفاء الخلفاء بالسلطة الروحية واقلالهم من التدخل في الامور الدنيوية ، وقلما تمر في كتب التاريخ بعمل سياسي خطير لهؤلاء الخلفاء باستثناء الخليفة الطائع فقد انحاز الى عضد الدولة في نزاعه لعز الدولة(٢) وقد اتم البويهيون للخليفة نفقة حسنه (٣) ، واظهروا له الخضوع الاسمي ، ومن دلائل ما كانوا يتظاهرون به من اجلال الخلافة ان احدهم كان اذا حضر مجلس الخليفة يلثم يده ويقبل الارض امامه (٤)، ويقدم له الهدايا الثمينه والهبات الوافرة . (٥)

٣) واستعمل البويهيون على الوزارة رجالا اكفاء ، استوزر معز الدولة ابا محمد المهلبي المشهور بمناصرته للعلم والادب (٦) ، وكان يجمع الى ذلك من ادوات الرياسة ما قل ان يجتمع في غيره (٧) . واستوزر ركن الدولة ابا الفضل بن العميد الذي لم يكن له شبيه في ايامه بالفضائل وحسن التصرف ، كان من اكتب اهل عصره واعلمهم واحفظهم لدواوين العرب (٨) ، واعلمهم بفنون السياسة والحرب (٩) ، وكان الى ذلك كله محبا للعلماء رؤوفا بالرعية (١٠) ، واستوزر من بعده ابنه ابا الفتح ابن العميد وكان عالما شجاعا اديبا (١١) ،

---

(١) مسكويه ٦ : ٢٣٤ (٢) مسكويه ٦ : ٣٤٣ (٣) مسكويه ٦ : ٨٧ (٤) مسكويه ٥ : ٨٦

(٥) مسكويه ٥ : ٣٤٤ (٦) مسكويه ٥ : ١٢٥ (٧) مسكويه ٥ : ١٢٤ (٨) مسكويه ٦ : ٢٧٥

(٩) مسكويه ٦ : ٢٧٩ (١٠) مسكويه ٦ : ٢٨١ . (١١) مسكويه ٦ : ٣٠١

وكان الاديب المشهور الصاحب بن عباد [١] وزيرا لفخر الدولة وكان فخر الدولة من اشد الناس اعجابا به وانتفاعا من مواهبه .[٢]

اثر اكابر الامراء في الادب :

ولا نشك في ان اختيار هؤلاء الوزراء الادباء كان يعود الى تمكن الذوق الادبي في نفوس الملوك والامراء كان من امراء ذلك الزمان من يطرب للشعر وينظمه ويحتفل بالشعراء والادباء ويوسع عليهم من فضله . كان الخليفه الراضي حسن الذاكرة باخبار الناس وايامهم مضريا لاهل العلم والادب والمعرفة ، فياضا عليهم من جوده ، ولم يكن ينصرف عند احد من ندمائه في كل يوم الا بصلة او خلعه حسنه [٣] ، وكان اديبا شاعرا ، ولم يقصر في قصائده عن ابن المعتز اذا لم يكن يضاهيه في بعضها [٤] ، وكان كثير من امراء آل بويه يجيد نظم الشعر ويتصرف في فنونه ، وكان عضد الدولة على ما مكن له في الارض واوتي من سعة السلطان ، يتفرغ للادب ، ويتشاغل بالكتب ، ويؤثر مجالسة الادباء على منادمة الامراء ويقول شعرا كثيرا ولا يصعب عليه الارتجال والاجادة [٥] ، امر احد الشعراء ذات يوم ان يصف " بهطة " [٦] عرضت امامه فارتج عليه فارتجل عضد الدولة .

بهطة تعجز عن وصفها	يا مدعي الاوصاف بالزور
كانها في الجام مجلوة	لآلئ في ماء كافور [٧]

---

(١) ~~مسكويه ٦ : ٣٠١~~ راجع عنه في يتيمة الدهر ٢ : ٨١

(٢) ذيل تجارب الامم : ٢٦١ (٣) المسعودي ٨ : ٣٢٨ - ٣٢٩ (٤) المسعودي ٨ : ٣٠٩ - ٣١٠ (٥) يتيمة الدهر ٢ : ص١ - ٢ (٦) البهطة : الارز يطبخ باللبن والسمن : معرب هنديته بهتّا : عن محيط المحيط . (٧) الدهر ٢ : ص٣

ولعز الدولة بختيار بن معز الدولة في وصف مجلس شرب :

اشرب على قطر السماء القاطر   في صحن دجله واعص زجر الزاجر

مشموله ايدى المزاج بكاسها   دُرّراً نثيرا بين نظم جواهر

من كف اغيد يستبيك اذا مشى   بدلال معشوق ونخوة شاطر

والماء ما بين الغصون نصفق   مثل القيان رقصن حول الزامر

وكان تاج الدولة بن عضد الدولة اشعر آل بويه واكرمهم . ذكر له الثعالبي قوله :

سلام على طيف الم فسلما   وابدى شعاع الشمس لما تكلما

بدا فبدا من وجهه البدر طالعا   لدى الروض يستعلي قضيبا منعما

وقد ارسلت ايدى العذارى بخده   عذارا من الكافور والمسك اسحما

واحسب هاروتاً اطاف بطرفه   فعلمه من سحره فتعلما

الم بنا في دامس الليل فانجلى   فلما انثنى عنا وودع اظلما (١)

وقولـــــه

انا التاج المرصع في جبين الممــالك سالك سهل الصلاح

كتائبنا يلوح النصر منهـا   برايات تطرق بالنجاح

تكاد ممالك الافاق شرقا   تسير اليَّ من كل النواحي

الا لله عرض لي مصون   ختام المجد بالماء المباح

وانشد له بديع الزمان هذين البيتين :

هب الدهر ارضاني واعتب صرفه   واعقب بالحسنى من الحبس والاسر

فمن لي بايام الشباب التي مضت   ومن لي بما انفقت في الحبس من عمرى (٢)

---

(١) يتيمه الدهر ٢ ص ٥   (٢) يتيمه الدهر ٢ ص ٦

ولم يكن العباسيون والبويهيون وحدهم يعنون بالادب والادباء في ذلك الزمان بل كانت هذه العناية تكاد تشمل بقية الامارات ، وتحذو حذو بغداد والممالك الشرقية وتضاهيها في كثير من الاحيان . في حلب امارة الحمدانيين . وعلى راسها سيف الدولة «وحضرته اذ ذاك مقصد الوفود وموسم الادباء ، ويقال انه لم يجتمع بباب احد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر ، وكان اديبا شاعرا محبا لجيد الشعر شديد الاهتزاز لما يمدح به»(١) ، وكان ابن عمه ابو فراس من اشعر رجال عصره حتى كان الصاحب يقول : بدئ الشعر بملك ، وختم بملك : يعني امرا القيس وابا فراس(٢) . وقد عقد الثعالبي في يتيمة الدهر ثلاثة ابواب عن شعراء بني حمدان وقواد رهم واشعارهم ، وهي ترينا اثر هذه السلالة الكريمة في ادب القرن الرابع وهو اثر قيم مبين (٣) .

وفي مصر كذلك نجد الاستاذ كافور يستقدم المتنبي ويعده بان يوليه ولاية (٤) ، وكان كافور يرغب في اهل الفضل ويعظمهم (٥) وكانت حاشيته لاتخلو من الكتاب والشعراء(٦) ويلاحظ الاستاذ نيكلسون ان الشعر في العصر العباسي ، باستثناء جزء ضئيل منه ، كان يزدهر ~~هو~~ تحت رعاية القصر (٧) ، وهو حكم ينطبق بصورة خاصة على القرن الرابع الهجري ، قال الاستاذ المقدسي : «ولما تجزأت المملكة الى امارات مستقلة لم يتغير الحال كثيرا على الادباء والعلماء وارباب الفنون ، اذا اصبحت حواضر هذه الامارات تنافس بغداد في الغنى والبذخ والانفاق على الادب (٨)» . وقد شجع وجود هؤلاء الامراء الحركة الادبية وكانوا سببا هاما في

---

(١) يتيمة الدهر ١ : ص ٩ (٢) نفس المصدر : ٢٢ (٣) راجع الجزء الاول مابين : ٦–٦٥

(٤) وفيات الاعيان ج ١ ص ٥٠ : طبعة دار الطباعة المصرية ١٢٧٥ هـ : ثم ص ٦١٤–٦١٧

(٥) نفس المصدر ٦١٤ (٦) نفس المصدر ٦٤٦ ثم : زهر الاداب ج ٣ ص ٣٥–٣٨

(٧) Lit. His. of the Arabs (٨) امراء الشعر : ٣٣

وجود هذه الكثرة من الشعراء الذين نجد ذكرهم في كتاب اليتيمة وغيره ، وكان لهم اثر كبير في توجيه الحركة النقدية وجهاتها المختلفة كما سنرى ٠

على اننا لانحاول ان نقلب الحقائق ونزعم لهذا العصر ماليس فيه ، وليست غايتنا ان ننسب لامراء هذا العصر كل فضل ولدويلاتهم كل هدوء ، ولاريب ان بلادا عظيمة واسعة كالبلاد الاسلامية في ذلك الزمان ، لاتخلو من ايام نحس وابتئاس كما لاتخلو من ايام فال واقبال وقد بينا ما كان على الدور التركي من اضطراب ، ونزيد هنا بان الممالك الاسلامية لم تكن دائمة الصفو في ايام البويهيين ، ولم تخل حالة الخلفاء من سوء يعانونه من البويهيين وقد خلع البويهيون خليفتين وعمدوا الى اشنع الوسائل في عزلهما [١] ، وكان التنافس بين هؤلاء الامراء ،على قلته ، يبلغ احيانا حد العداوة ويحملهم على حرب بعضهم بعضا ، وكان عضد الدولة يقول : الارض اضيق عرصة من ان تسع ملكين [٢] ، وقد ادى طموحه الى محاربة جيوش ابن عمه عز الدولة وتنحيته عن امارة بغداد [٣] ، وكان عز الدولة هذا سيء السيرة في رعيته يقضي ايامه في اللهو واللعب ومعاشرة النساء [٤] ، وكان الخلاف دائما في عهده بين الجنود الاتراك وهم انصار السنة ، والجنود الديلم وهم انصار الشيعة [٥] ، وقد حصل بين الفريقين حروب اقلقت مضجعه وهددت دولته [٦]. وكان الجند في تلك الايام اقوى سبب للفوضى الداخلية في البلاد وكانت يد المصلحين تقصر عن تنظيمهم وتوجيههم بما تقتضيه مصالح الدولة [٧] ، وقد ادى ذلك كله الى تحرج موقف البلاد وتراجعها امام اعدائها في الخارج ، وازداد خطر الروم

---

(١) راجع مسكويه ٦: ٨٦-٨٧ وذيل تجارب الامم : ٢٠١-٢٠٢ وابن الاثير ٩ : ٥٥-٥٦

(٢) ذيل تجارب الامم ٤٠ (٣) مسكويه ٦ : ٣٠-٢٤٣ (٤) مسكويه ٦ : ٢٣٤ (٥) مسكويه ٦: ٣٢٨

(٦) مسكويه ٦ : ٢٨٢ ، ٣٣٦ (٧) مسكويه ٦ : ٢٨٠ - ٢٨١ ٠

حتى انهم اغاروا سنه ٣٦١ هـ على الرها ونواحيها وتجاوزوا ديار بكر حتى بلغوا نصيبين وتركوا السكان في حالة مؤلمة ولم يتصد لوقف هجماتهم احد .(١)

وعلى الجمله فقد كانت الحالة السياسية في المملكة ذات وجهين اثنين اثرا في الحركة الادبيه في ذلك العصر وطبعاها بطابعين مختلفين . فاما الوجه الاول فاسود قاتم . وكان اثره على الادب ظاهرا في شعر المتنبي والمعري والشريف الرضي والقاضي الجرجاني واخرين غيرهم من كبار الشعراء . كان لهؤلاء الشعراء نفوس طماحة الى المجد والخير ، انوفه من الذل والشر وكانوا بفعل ميولهم الذاتيه اولا وظروف حياتهم ثانيا على معرفة عميقه بامراض عصرهم السياسية والاجتماعية ، فطبع ذلك نفوسهم الحساسة بطابع من الالم عميق ، وارسلوا نفثاتهم الادبية حارة عميقه عليها رونق واحد من المثالية وتسودها عاطفة متالمة متشابهة ، هؤلاء الشعراء يمكن ان تؤلف منهم مدرسة واحدة ندعوها بالمدرسة المثالية ، ونرى لها ميزات ذاتيه مشتركة .

خصائص المدرسة المثالية : ــ تمتاز هذه المدرسة بالصفات العامة التالية :

١ ــ قوة الشخصية

٢ ــ عمق التفكير

٣ ــ نشدان المثل الاعلى ٤ ــ النظرة السوداوية الى الحياة

لناخذ قصيدة الشريف الرضي التي مدح بها الخليفه القادر، ولننعم النظر في هذه الابيات منها :

عطفا امير المؤمنين فاننا ... في دوحة العلياء لا نتفرق

ما بيننا يوم الفخار تفاوت ... ابدا كلانا في المعالي معرق

الا الخلافة ميزتك فانني ... انا عاطل منها وانت مطوق (٢)

---

(١) ابن الاثير : ٨: ٤٥٤

(٢) ابن خلكان ٢ ص ٣ .

فماذا نرى فيها ؟ نرى نفسا نبيلة الاحساس عزيزة الكرامة ، قوية الشخصية ، عريقة في المعالي ، تابى الا ان تساوى مقامها بمقام الخلافة ، واذا اعترفت بتفاوت بينها وبينه فليس التفاوت في ماض كريم ، او مفخر عتيد ، بل في حظ احدهما من الخلافة ، وحرمان الثاني منها

ويذكر ابن الاثير ان الشريف الرضي كان من جملة جلساء الخليفة الطائع عندما جذبه الديلم بامر معز الدولة وانزلوه عن سريره واهانوه وعزلوه ، فبادر الشريف بالخروج ونجى بنفسه من عبث الديالمة وانشد قوله :

من بعد ما كان رب الملك مبتسما   الي ادنوه في النجوى ويدنيني
امسيت ارحم من قد كنت اغبطه   لقد تقارب بين العز والهون
ومنظر كان بالسراء يضحكني   يا قرب ما عاد بالضراء يبكيني
هيهات اغتر بالسلطان ثانية   قد ضل ولاج ابواب السلاطين (١)

ارايت الى هذا البيت الاخير وما فيه من طموح الى المثل الاعلى ، وهو الخلافة؟ ارايت كيف كان الخوف يزهده بهذا المنصب السامي ويبعده عن الاغترار به ؟ وانظر الى قوله : امسيت ارحم من قد كنت اغبطه ، فماذا تعني كلمة : اغبطه غير اشتهاء الخلافة والتطلع اليها ؟ .

وكذلك شعر المتنبي ، فهو ينم عن شخصية كبيرة ، ترسل التاملات شعرا ملونا بلونها فاذا هو الطموح المجسم نحو المجد ، باى الوسائل وباى الاثمان جاء :

ومارغبني في عسجد استفيده   ولكنها في مفخر استجده (٢)

ومما يدلنا على علو نفسه واعتزازه بقدرة انه كان ينشد قصائده في حضرة الملوك وهو جالس . ذكر الاثليلي ان سيف الدولة استنشد المتنبي قصيدته التي اولها :

---

(١) ابن الاثير ٩ : ٥٧

(٢) العرف الطيب ٤٩٢

لكل امرئ من دهره ما تعودا ... وعادات سيف الدولة الطعن في العدا

فانشدها وهو قاعد ، فقال بعض الحاضرين يريد ان يكيد ابا الطيب : لو انشدها قائما لاسمع فان اكثر الناس لايسمعون ، فقال ابو الطيب : اما سمعت اولها : لكل امرئ من دهره ما تعودا (١) . ومهما قيل في سيره هذا الشاعر الكبير ، فاننا نعتقد بان له مثلا اعلى في الحياة . وان هذا المثل الاعلى هو المجد الدنيوي ، وان غاياته الاخرى ~~في الحياة~~ لم تكن في الواقع ~~الا~~ الا الوسائط لهذه الغاية الكبرى التي كان يسموا اليها :

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ... ولا مال في الدنيا لمن قل مجده (٢)

وقد كان لاخفاق هذا الشاعر اثر كبير في قصائده ، وانك لتسمع نبضات الالم في من نفثاته واخص منها ما كان بعد رحيله عن سيف الدولة والتحاقه بكافور .

لم يترك الدهر من قلبي ومن كبدي ... شيئا تتيمه عين ولا جيد

ياساقيي اخمر في كؤوسكما ... ام في كؤوسكما هم وتسهيد

اصخرة انا . مالي لاتحركني ... هذي المدام ولا هذي الاغاريد

اذا اردت كميت اللون صافية ... وجدتها وحبيب النفس مفقود (٣)

وما هذا الحبيب المفقود الذي لاتلهيه عنه الكميت الصافية والاغاريد والندمان ؟ هو المثل الاعلى الذي هام به المتنبي ولم يصل اليه . (٤)

---

(١) وفيات الاعيان : ٥٣ (٢) العرف الطيب ٥٤٨-٥٤٩ (٣) وهدف المتنبي يظهر في كثير من شعره كقوله يمدح كافور : قالوا هجرت اليه الغيث ، قلت لهم ... الى غيوث يديه والشآبيب

الى الذي تهب الدولات راحته ... ولا يمن على اثآر موهوب : يتيمة الدهر ١ : ١٥٨

وقولــــه :

وليس غريبا ان يزورك راجل ... فيرجع ملكا للشآمين واليا

وشبيه بالمتنبي طموحا واكثر منه اتزانا هو القاضي ابو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني الشاعر النقاد صاحب كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه . وفي شعره نجد صورة لشخصية المثاليه المنقبضة الانوفة ، وهو صاحب القصيدة المشهورة التي مطلعها :

يقولون لي فيك انقباض وانما   راوا رجلا عن موقف الذل احجما

وصاحب القصيدة المشهورة واولها :

على مهجتي تجنى الحوادث والدهر   فاما اصطباري فهو ممتنع وعر (1)

ونستطيع ان نتبين من هاتين القصيدتين وغيرهما الصفات الكبرى التي ذكرناها للمدرسة المثاليه . ولنكتف بان نذكر له الابيات الثلاثة الاتية ، وهي ترينا ترفع هذا الشاعر عن محيطه واعتزاله الناس ذهابا بنفسه عما لا يرضاه المعالي :

ما تطعمت لذة العيش حتى   صرت للبيت والكتاب جليسا

ليس شيء اعز عندي من العلـــــم فما ابتغي سواه انيسا

انما الذل في مخالطة النا   س فدعهم وعش عزيزا رئيسا (2)

ونحن لانشك في ان الجرجاني متاثر في كتاب الوساطة بالمدرسة المثالية الى اوسع مدى وسنرى ذلك في بحثنا عن النقد ان شاء الله .

ولا نخالنا بحاجة الى التماس الامثلة من شعر المعري ، فالمعري في نظر العموم شاعر نبيل الاماني ، عميق النظر ، ناقم الراي في الناس ، ولعله احرى الشعراء بزعامة هذه المدرسة واكثرهم تمثيلا لها .

هؤلاء الشعراء الاربعة هم اشبه في ميزاتهم الشعرية بزعماء المدرسة الغنائية الرومانتيكية في فرنسا : *L'école romantique* ، وهم لامارتين ١٧٩٠–١٨٦٩م . وفكتور هيجو ١٨٠٢–١٨٨٥م وفيني ١٧٩٧–١٨٦٣م والفريد دي ميسه ١٨١٠–١٨٥٧م .

---

(1) اخبار الجرجاني في ابن خلكان ج ١: ٤٦١–٤٦٢ ونرى هاتين القصيدتين في يتيمه الدهر ج ٢ : ٣٥٦ — وفي الاعجاز والايجاز ١٩٤ نجد طائفة من شعره (2) ابن خلكان ١ : ٤٦٢

وقد عرف احد النقاد صفات هذه المدرسة بقوله : " هى التعبير الخيالي الملتهب عن العواطف الشخصية نحو القضايا العامة ."(١) على اننا نرجع لشعرائنا كلمة المثالية " لان الميل الى استيحاء الطبيعة وتمجيدها ينقص هذه المدرسة ويميزها عن اختها . وفيما عدا هذا الاختلاف لا نرى فرقا جوهريا بين هاتين المدرستين ينوف عن الفرق بين شاعر وشاعر من ممثلي كل مدرسة

المدرسة الواقعيه في القرن الرابع ومتابعها :

الى جانب هذه المدرسة نجد مدرسة اخرى "واقعية" تمثل لنا الحياة فى القرن الرابع — من ناحيتها الثانيه ، ناحية الامن والسرور والاستمتاع بملذات الحياة بما فيها من خلاعة ومجون وتهتك واباحية . هذه الحياة كانت ميسورة لطبقة كبيرة من الامراء والروساء وما يتصل بهم من ندامى وشعراء واعوان وكانت تحيط بهذه الطبقة هالة من انوار الترف والسرور وتلون القسم الكبير من تاريخ القرن الرابع بالوان براقة ناصعة تسر القارئين . والحق انك اذا نظرت الى القرن الرابع نظرات الفاحص المدقق وجدت ان الناحية القاتمة فيه تسير جنبا لجنب والناحية اللالاءة المشرقة . كان التنافس بين الامراء والروساء والا والزعماء شديدا بالغا وكان تنافر هولاء الامراء سببا كبيرا فى ضعف الدولة وتجزوها . ولكن على م كان هذا التنافس يا ترى؟ كان هذا التنافس يدور حول السيطرة على الناس وامتلاك مقدراتهم والتصرف بخزائن الدولة والانتفاع بما فيها . فاذا تم ذلك برزت من ورائه الغاية الدنيوية قوية جذابة لامعة ، وقامت على اساسها حياة رخية وادعة ، وكانت حضارة المملكة الاسلامية وما فيها من وسائل اللذة والبسط ، تسهل لهولاء الامراء وحاشيتهم الانتفاع بما توافر لهم من الثروات الضخمة وتفتح لهم ولذرياتهم ابواب التنعم والطرب ، وتغريهم بازدراء الفضائل والشرائع ليتهلوا منها ويحلوا ويستصفوا ما فيها من متع ويقضوا ما بانفسهم من اوطار. وهولاء بنو بويه يشندون الاشعار ويقربون الشعراء ويشربون ويطربون . وهولاء خلفاء بني العباس واولادهم وذريتهم يتذوقون لذائذ الحياة ويقضون لبانات النفوس . وكذلك سائر الامراء واهل السعة والثراء . وقد صور لنا ابن المعتز هذه

(١) La Littérature expliquée : Des Granges : Paris 1925 P: 265
راجع عن هؤلاء الشعراء ص ٢٦٥ – ٣٠٠

الحياة الخليفة المترفة في شعره ومن ذلك قوله :

خليلي اتركا قول النصوح	وقوما فامزجا راحا بروح
فقد نشر الصباح رداء نور	وهبت بالندى انفاس ريح
وحان ركوع ابريق لكاس	ونادى الديك حي على الصبوح
وحسن الناس من طرب وشوق	الى وتر يجاوبه فصيح
هل الدنيا سوى هذا وهذا	وساق لايخالفنا مليح (١)

والحق ان قيام الدويلات في انحاء المملكة كان وسيلة لتوسيع نطاق الترف وتنمية اعداد المترفين ، وكانت العصور العباسية كلما تقدم بها الزمن واستكملت فيها الحضارة تمعن في طريق اللهو وتسرف في ملذات الحياة . وكانت بغداد على ما تقلب عليها من خطوب لا تزال موئل الغنى والبذخ وحاضرة المدنية والعمران . وقد ذكر ابن الاثير ان بيت المال في بغداد كان يحوى لدى بيعة المقتدر خمسة عشر الف الف دينار (٢) . ومهما يكن من حال الخلافة في ذلك الحين . فقد بقي للخلفاء من البسط والسعة بعض الذى كان لاسلافهم ، روى المسعودي ((انه كان للقاهر (٣) بستان غرس فيه النارنج ، وحمل اليه من البصرة وعمان مما حمل من ارض الهند ، قد اشتبكت اشجاره ولاحت ثماره كالنجوم ، من احمر واصفر ، وبين ذلك انواع الغروس والرياحين والزهر ، وقد جعل في ذلك الصحن انواع الاطيار من القمارى والدباسي والشحارير والببغ مما قد جلب اليه من الممالك والامصار . فكان ذلك في غاية الحسن وكان القاهر كثير الشرب عليه والجلوس في تلك المجالس (٤)))

وكذلك حال الوزراء ، حدث ابو الفضل بن الوارث انه لما قبض على ابي الحسن بن الفرات في وزارته الاولى كان يجرى على خمسة الاف انسان مابين مائة دينار في الشهر الى

---

(١) ديوان ابن المعتز ٢١٧ (٢) ابن الاثير : ٨ : ١٦ (٣) هو الخليفة الثاني من هذا الدور حكم ٣٢٠ـ٣٢٢ كما ذكرنا (٤) المسعودي : ٨ : ٣٣٦ ـ ٣٣٧ .

خمسة دراهم ، ونصف نفيز دنينا الى عشرة انفزة [١] .

وجاء في كتاب الوزراء : كان لابي الحسن بن الفرات مطبخان في داره ، فاما مطبخ الخاصة الذي يطبخ فيه فلا احصي ما كان يدخله من الغنم والحيوان لكثرته ، واما مطبخ العامة فكان يستعمل فيه كل يوم تسعون رأسا من الغنم وثلاثون جديا و ...[٢]

واذا كان ترف الخلفاء قد اخذ يميل الى الاعتدال ، فان ترف المتسلطين من آل بويه وغيرهم كان على ازدياد ، ولا نطيل في سرد الحوادث عن دور البويهيين وقصورهم ونكتفي بما ذكره ابن الاثير من ان معز الدولة بنى لنفسه دارا في شمال بغداد ، فكان مبلغ ما خرج عليها : ثلاثة عشر الف الف درهم .[٣] !!

وكانت اصناف اللذات مهيأة لهذه الطبقة من الناس لاستكمال حاجات الحياة وابتذال الجواري والمغنيات ، وتقدم صناعة الغناء ، وقد كان للنخاسة "بيع الرقيق" تجارة رائجة يقوم بها رجال يعرفون بالنخاسين في اسواق مخصوصة ، فيأتون بالجواري من اطراف الدنيا الى بغداد وفيهن الروميات والجرجيات والشركسيات والعربيات من مولدات المدينة والطائف ومصر .[٤] .

وكانوا يعنون بهؤلاء الجواري ويهذبونهن ويعلمونهن الادب والغناء فترتفع مكانتهن ويعلو ثمنهن .[٥] ويتخذ الاسياد منهن وسيلة للربح . قال اسحاق الموصلي لابنه حماد : نظرت الى ما صار الى جدك ــ اى المغني ابراهيم الموصلي ــ من الاموال والغلات وثمن ما باع من جواريه ، فوجدته اربعة وعشرين الف الف درهم ... ولقد اتفق عندنا مرة من الجواري الودائع لاخوانه ثمانون جارية [٦] . وروى الاصبهاني ان ابراهيم الموصلي اشترى جارية باربعين الف درهم واشتراها منه الرشيد بستة وثلاثين الف دينار تنازل منها ابراهيم عن اثني عشر الف[٧]

وكان بعض الشعراء يجتمون الى الجواري في دور اسيادهن ، وكان هؤلاء كثيرا ما

---

(١) كتاب الوزراء : ١٤٢ ــ ١٤٣ . (٢) راجع ذلك في المصدر ذاته : ١٩٥ (٣) ابن الاثير ٨: ٣٩٨ (٤) جميل نخلة المدور ٩٨ والاغاني ٩ / ١٢٨ ــ ٥ / ١٢٦ ــ ٢ / ٢: ١٧٥ ــ والعقد ٣: ٤٣٩ + (٥) الاغاني ٦ : ص٢٤ــ٢٦ (٦) لعلهم كانوا يودعونه جواريهم ليعلمهن الغناء . (٧) الاغاني : ٥ : ص١٦٣ ــ ١٦٥

يتخذونهن اداة لكسب المال من المجان وهواة الطرب ،على نحو ما يفعل اصحاب الملاهي في عصرنا الحاضر . وفي الاغاني انه كان بالكرخ نخاس يكنى ابا عمير ، وكان له جوار تيان لهن ظرف وادب . وكان الشاعر ابن البواب يألف جارية منهن ويكثر غشيان منزل ابي عمير حتى حنا من حاله واعسر ، وكان له اصحاب يألفون هذا المنزل معه وينفقون على الجواري انفاقه .(١) وكان عند عبد الحكم بن عمرو بن عبدالله بن صفوان الجمحي قد اتخذ بيتا فجعل فيه شطرنجات ونردات وقرقات ودفاتر فيها من كل علم وجعل في الجدار اوتادا ، فمن جاء علق ثيابه على وتد منها ثم جر دفترا فقرأه أو بعض ما يلعب به مع بعضهم .(٢)

ولا نستبعد ان تغلب ناحية اللهو والاستهتار على بغداد ، كما هو الحال في اكثر العواصم الغنية الكبرى ، ونجد صورة دقيقة لهذه الحياة في كتاب العقد ، وخصوصا في الاغاني للاصفهاني ، فهو مفعم بذكر المترفين والخلعاء الاباحيين ومجالس الشرب والشعر والغناء . ويرى الدكتور طه حسين في كتابه : حديث الاربعاء «ان العصر الاموي والعصر العباسي كانا عصر شك وعبث ومجون او كان الشك والعبث والمجون اظهر ميزاتهما». (٣) وجاء في الاغاني ان الخليفة يزيد بن معاوية كان اول من سن الملاهي في الاسلام من الخلفاء وآوى المغنين واظهر الفتك وشرب الخمر .(٤) في العصر العباسي الاول نجد اكابر الخلفاء يانسون بالغناء ويقربون المغنين والمغنيات ، وكان في المغنين اكابر الرجال مثل ابراهيم المهدي اخو الخليفة الرشيد ومنافس المامون على الخلافة (٥) ، وكان لبعض الخلفاء ولعهم لا يتحرجون من صنع الاصوات وغنائها . جاء في الاغاني أن الواثق صنع مائة صوت ما فيها صوت ساقط (٦) ، وفي هذا الكتاب فصل خاص لمن غنى من اولاد الخلفاء (٧) ، وكان اسحاق الموصلي كبير المغنين في هذا العصر عالما اديبا راوية " وكان الغناء مع ذلك اصغر علومه

---

(١) الاغاني : ٢٠ ص ٤٣ (٢) الاغاني ٤ : ٥٢ (٣) راجع حديث الاربعاء ص: ز ـ والكتاب كله يحوم حول هذه النقطة (٤) الاغاني ١٦ : ٧٠ (٥) راجع العقد ٧ : ٢٤٦ (٦) الاغاني ٩ : ٢٧٦ ـ ٢٧٧ (٧) راجع الاغاني ٩ .

وادني مايوسم به ٠ (١)

وكانت مجالس الشرب شائعة بين الناس، ولم يكن الفقهاء على مذهب واحد في قضية الخمر، والخمر التي وقع الاجماع على تحريمها في الكتاب هي : ماغلا وقذف الزبد من عصير العنب من غيران تمسه نار (٢) ، اما ما سوى ذلك مما ليس له جماع هذه الاوصاف فقد كان مجال خلاف ٠ قال ابن عبد ربه : «وقد جعل الله فيما احل عوضا مما حرم ، فحرم الربا واحل البيع ، وحرم السفاح واحل النكاح ، وحرم الديباج واحل الوشي وحرم الخمر واحل النبيذ غير المسكر (٣) » وقد استغل المجان اختلاف هؤلاء العلماء من الخمر ، وتندر ابن الرومي بذلك فقال :

احل العراقي النبيذ وشربه	وقال : الحرامان المدامة والسكر
وقال الحجازي الشرابان واحد	فحلت لنا بين اختلافهما الخمر
سآخذ من قوليهما طرفيهما	واشربها لا فارق الوازر الوزر (٤)

وقد كان للخلفاء وبحضر الائمة مشاركة قوية في اللهو والخلاعة وكانوا قدوة سيئة لغيرهم من المترفين وقد احتج ابو نواس في شعر له على شرب الخمر بقوله :

اارفضها والله لم يرفض اسمها	وهذا امير المؤمنين صديقها ! ؟ (٥)

ومن غرائب القصص أن تقرأ في كتب الادب ان مثل الخليفة المامون كان يتخذ من قاضيه على بغداد يحيى بن اكثم نديما له على شرب الخمر واستماع الغناء (٦) ، فيشرب القاضي حتى يفقد الوعي ثم ينتبه على انغام القينة فينشد

ياسيدي وامير الناس كلهم	قد جار في حكمه من كان يسقيني
اني غفلت عن الساقي فصيرني	كما تراني سليب العقل والدين
لااستطيع نهوضا قد وهى جسدي	ولا اجيب المنادي حين يدعوني
فاختر لبغداد قاضيا انني رجل	الراح يقتلني والعود يحييني

---

(١) الاغاني ٥: ٢٥٨ (٢) العقد ٣ : ٤٠٠ (٣) العقد ٣: ٤٠٩

(٤) امراء الشعر العربي : ٢٣٨ (٥) نفس المصدر ٩٣ (٦) العقد ٣ : ٤٠٥

وان الخليفة المقتدر ، اول خلفاء القرن الرابع ، كان يستمع الى غناء الجواري والمغنين وبين يديه ويدي كل من اصحابه خمسة ارطال نبيذ [(١)] وان خلفه القاهر يشرب على " وصف الغلاميات " وحوله الجواري الحسان في مناطق الذهب والفضة [(٢)] . على ان اغرب النص عن خلاعة الفقهاء ، في القرن الرابع ما حكاه الثعالبي من ان " القاضي " ابا القاسم علي بن محمد بن داود التنوخي كان من اعيان اهل العلم والادب وافراد الكرم وحسن الشيم وكان له غلام في نهاية الملاحة والليانة يقربه اليه ويؤثره على سائر غلمانه !! وكان في جملة " القضاة " الذين ينادمون الوزير المهلبي ويجتمعون عنده في الاسبوع ليلتين " على اطراح الحشمة والتبسط في القصف والخلاعة " وهم ابن قريعة وابن معروف والقاضي التنوخي وغيرهم . وما منهم الا " ابيض اللحية طويلها " وكذلك كان الوزير المهلبي . فاذا تكامل الانس وطاب المجلس ولذ السماع واخذ الطرب منهم ماخذه " وهبوا ثوب الوقار للعقار ، وتقلبوا في اعطاف العيش بين الخفة والطيش " ووضع في يد كل واحد منهم كاس ذهب من الف مثقال الى ما دونها مملوءا شرابا قطربليا ، فيغمس لحيته فيه ، بل ينقعها حتى تتشرب اكثره ويرش بها بعضهم على بعض ، ويرقصون جميعا وعليهم المصبغات ومخانق البرم والمنثور [(٣)] !!

قال الدكتور طه حسين : كان هذا العصر عصر شك ومجون وكان عصر رياء ونفاق . فكان للكثير من الناس مظهران مختلفان : احدهما للعامة والجمهور وهو مظهر الجد والتقوى ، والاخر للخاصة ولانفسهم وهو مظهر اللهو والمجون الذي يخلع فيه العذار وتترك فيه للشهوات حريتها المطلقة [(٤)]

خصائص المدرسة الواقعية :

تاثرت المدرسة الواقعية بهذه الحياة الاجتماعية بما فيها من زخرف ولهو ومادية واباحية ، واستمدت عناصرها من القصور الفخمة والحدائق المزهرة ومن مجالس الانس والسرور

---

(١) الاغاني ٥ : ٢١١ (٢) مروج الذهب ٨ : ٣٠٠

(٣) يتيمة الدهر ٢ : ١٠٥ ــ ١٠٦ (٤) حديث الاربعاء ١ : ٤٤

كان رجال هذه المدرسة كما يقول المستشرق دى بور وقد لخ هذه الطائفة من الشعراء " «يحبون الحياة ويستطيعون ان يتذوقوا شعر الطبيعة ولم يكن يسرهم الكثير مما لابي العتاهية من شعر يدعو فيه الى الاعراض عن الدنيا ، ولا ترضيهم اشعار المتنبي لما فى موضوعها من ثقل على النفس، مع ان المتنبي اكبر شعراء العربية غير مدافع [1] ، وكانوا كما لاحظ المستشرق ادم متز " يكرهون ما اولع به القدماء من تعظيم شان القصيدة ،حتى فقدت ما كانت تتمتع به من تفرد بالسيادة ... وبالغ الناس فى الميل الى الاوزان القصيرة والعبارات اللينه [2]" . وعلى الجمله فقد امتازت هذه المدرسة بخصائص هامة تجيز لنا ان نعزلها عن غيرها وتسميها باسمها ،وهى تتلخص فيما يلي :

١ـ الملاءمة بين زخرف الحياة وبين الادب : الصناعة البديعية فى الشعر والنثر

٢ـ الالتفات عن المواضيع الوجدانيه الى المواضيع الوصفية ومن هنا كان :

٣ـ تراجع شخصيات هؤلاء الشعراء بالنسبه الى شخصيات المدرسة المثالية

٤ـ تدني القيم الاخلاقية ،وظهور الاباحية المطلقة فى الادب .

٥ـ الاحتفال بجمال الطبيعة وتصويرها .

٦ـ ايثار المقطعات القصيرة على القصائد الطويلة .

٧ـ ظهور الاخوانيات وادب المجاملات فى النثر .

ورجال هذه المدرسة لاتحصى اسماؤهم كثرة ،ودونك كتاب اليتيمه للثعالبي فاكثر المترجمين يمتون الى المذهب الواقعي ، وقد اخترنا منهم : السرى الرفاء ،ابا الفرج الببغاء ، ابا القاسم الزاهي ، عبد المحسن الصورى ، ابن لنكك ،ابو الفرج الواواء وقد غلب عليهم النظم ،والصاحب بن عباد ،وبديع الزمان الهمذاني ،وابا منصور الثعالبي وقد غلب عليهم النثر .

---

١) دى بور ٧٧

٢) آدم متز ج ١ ٢٩٢ ،

ولا نطيل الكلام عن الصناعة البديعة ، فهو امر سيلحظه القارئ بنفسه ، وسنرى ما حام حول هذه الصناعة من اخذ ورد بين النقاد ، وننتقل الى المميزة الثانية فنجد ان هؤلاء الشعراء يلفتون الاهتمام الى ما حولهم من الاشياء بقطع النظر عن تفاهتها اوعظمتها ويفسحون لهذه الموضوعات الحقيرة اوسع المجالات في شعرهم ،

وعلة ذلك فيما نرى تعود الى مادية هؤلاء الشعراء وتاثرهم بما حولهم من الاشياء ، ومهما يكن من امر فقد كان اهتمام هؤلاء الشعراء بهذه الاشياء كبيرا جدا : استمع الى محمد بن هرون بن الاكتمي قوله في شمعه :

باكية ضاحكة ... خدامها جلاسها

مظهرة انوارها ... ان جزمتها راسها

كانها عاشقة ... تذيبها انفاسها (١)

ولسليمان بن حسان النصيبي في وصف الراى المقلى وهو ضرب من السمك :

ما راينا مثل هذا الرا ... ى حسنا ما راينا

صار تبرا بعد ان كا ... ن عقيقا ولجينا (٢)

وله في الحمام

انت في الحمام موتو ... ف على قلبي وسمعي

فتاملها تجدها ... كونت من بعض طبعي (٣)

وللسرى الرفاء في وصف كانون النار

وذو اربع لا يطيق النهو ... ض ولا يالف السير فيمن سرى

تحمله سبخا اسودا ... فيجعله ذهبا احمرا (٤)

---

(١) يتيمة الدهر ١: ٣١٣

(٢) يتيمة الدهر ١: ٣٢٦

(٣) ج ١ : ٣٢٧ (٤) ج ١ : ٤٦٨

وللصاحب بن عباد فى حبة عنب :

وحبة من عنب ... من المنى متخذة
كانها لؤلؤة ... فى وسطها زمردة (١)

وقد بلغ انصار هذا المذهب ان تناولوا احط الصور وابشعها كما فى بيتى الرستمى يصف تيسه

لنا تيسه تحمى من الشرب شربنا ... فقدامنوا سكرا وخوف خمار
تكشرعن انيابها فى غنائها ... فتحكي حمارا .....(٢)

وبلغ اهتمامهم فيما حولهم من الاشياء ان الشاعر كشاجم انكيرله قدح فجاد عليه بسبعة عشر بيتا من الرثاء .(٣)

افتح الجزء الرابع من يتيمة الدهر ص١٠٨-١٠٩ تجد المواضيع التالية : فى جرجبا بعد اشتعاله-فى البرد - فى الدرج - فى المحبرة - فى المقلمة والاقلام فى السكين المذنب - فى المقط-فى المحراث وهو المتابه -لا فى الاصطرلاب - وفيه - فى المقراض ، وقد لاحظ ذلك المستشرق ادم متز فقال : "وفى اواخر القرن الرابع الهجرى اولع الادباء بوصف جميع الاشياء على اختلافها ، فنجد وصف الميزاب الى جانب وصف الشاعر صورته فى المرآة ، وذلك ارضاء لرغبة الناس فى المستحدث (٤)"

ادباء هذه اتجاهاتهم الفنية يصعب عليهم ان يقدروا الجمال فى شعر المتنبي والمعرى ، فاغفلوا الثاني ، ولم ينصف الاول الا القلائل منهم ، واين نظرات المعرى ونفثات المتنبي من وصف السكين المذنب والمقراض ! .

٣) هؤلاء الشعراء ليست لهم شخصية بارزة ، واحدهم نموذج عن جميعهم ، تركو المتنبي والمعرى والجرجاني والشريف الرضى "فى بروجهم العاجيه" كما يقول الفرنسيون ؛

---

(١) ج ٤ : ٩٦ (٢) ج ٣ / ١٢٨ - ١٢٩ يتيمة الدهر

(٣) زهر الاداب ٤ : ١٦ (٤) ادم متز : ٤٤١

ونزلوا الى المجتمع ، واحتكوا بالناس ، واخذوا عنهم واعطوهم ، فضاعت شخصيتهم ، اوقل انها تعقدت واندمجت بغيرها ، ولكنهم كسبوا خبرة عملية " وشطارة " نادرة ، وانك لتقرأ لرجل كالمعري او المتنبي فتشعر بالثقة والراحة . ولكنك تقرأ لهؤلاء الشعراء والكتاب فتشعر بالريب والحذر . وانت تقرأ خبر المناظرة التي كانت بين بديع الزمان الهمذاني والخوارزمي ، فلا ترى للهمذاني شخصية انسانية شعرية ولكنك تجد له شخصية عملية مروعة [1]. وقد ساعدتهم واقعيتهم هذه على ولوج ساحات الادب الموضوعي ، فالفوا بعض القصص والمقامات واشتهر منهم في هذا الباب : بديع الزمان الهمذاني ، وابو الفرج الببغاء . وابن الانبارى ، واحمد بن يوسف المصرى ، والتوحيدى ، والتنوخي ، وابو المطهر الازدى ، مما دعى الدكتور زكي المبارك ان يقول بان الاقاصيص في النثر من اهم ما يمتاز به الادب في القرن الرابع الهجرى (٢)

اما الخلاعة والمجون ، فحظ الادب منهما كبير وهو يمثل لنا تلك البيئة الاباحية ادق تمثيل ، وتصون القلم من ايراد الامثال عن المجون من اقاويل هؤلاء الماجنين (٣) ونكتفي بايراد بعض الامثلة عن انواع الملاهي عند شعراء ذلك الزمان . فمما يمثل لنا ميلهم النفوس الى اللذات ، وتعلقها بالمسرات ، واعراضها عن جد الحياة ، قول ابي محمد الحسن بن علي بن وكيع التنيسى :

علل فؤادك والدنيا اعاليل	لايشغلنك عن اللهو الاباطيل
ولايصدنك عن امر هممت به	من العواذل لاقال ولا قيل
وان اتوك فقالوا كن خليفتنا	فقل لهم انني عن ذاك مشغول
فان ذلك امر مع نفاسته	ونيله بفناء العمر موصول
وارض الخمول فلا يحظى بلذته	الا امرؤ خامل في الناس مجهول
ولاتبع عاجل الدنيا بآجل ما	ترجو فذلك امر شانه الطول (٤)

---

(١) راجع رسائل بديع الزمان ص ٢٨ ـ (٢) راجع النثر الفني ج ١ ص ٢٤٦، ٢٥٤، ٢٨٧، ٢٩٤ (٣) من يريد الاطلاع فدونه كتاب اليتيمه للثعالبي: ج ١ ٥٠ ـ ٢٦١ ـ ٢٦٢ ـ ٢٦٣ ـ ٢٦٤ ج ٣ : ١٠٤ ـ ١٠٥ ـ ١٤٧ (٤) يتيمه الدهر للثعالبي ج ١ : ٢٩٣

وقول ابي الحسن علي بن محمد اليديهي :

زربني اواصل لذتي قبل فوتها ... وشيكا لتوديع الشباب المفارق

فما العيش الا صحة وشبيبة ... وكاس وقرب من حبيب موافق

ومن عرف الايام لم يغترر بها ... وبادر باللذات قبل العوائق (١)

وتغنى هؤلاء الشعراء بالخمر فوصفوها صحيحة ومعللة وعددوا اوصافها وتفننوا في تشبيهها ، فلابي الفرج الواواء

عذبتها بالمزاج فابتسمت ... عن برد نابت على لهب

كان ايدى المزاج قد سبكت ... في كاسها فضة على ذهب (٢)

ولاحمد بن محمد الطائي الدمشقي :

وقد غدونا الى صلاة الغداة ... ثم ملنا منها الى الحانات

فشربنا مدامة كدم الخشف عقارا تضيء في الكاسات

فاذا شجها السقاة بماء ... ابرزت مثل السن الحيات

وكان الانامل اعتصرتها ... من شقيق الخدود والوجنات (٣)

واذا كان الدمشقي يصلي ويشرب ، فابن عبد ربه يستعمل الفاظ الصلاة في تمثيل حركات الابريق والكاس :

وحاملة راحا على راحة اليد ... موردة تسعى بلون مورد

متى ماترى الابريق للكاس راكعا ... تصلي (٤) له من غير طهر وتسجد

على ياسمين كاللجين ونرجس ... كاتراط در في قضيب زبرجد

بتلك وهذى قاله يومله كله ... وعنها فسل لا تسال الناس عن غد (٥)

ويجيء رابعهم فيندب الناس الى الحج والعمره الى كعبه القهوة ! !

---

(١) يتيمه الدهر ٣ : ١٦٥ (٢) ج ١ : ٢٠٧ (٣) ج ١ : ٢٨١ (٤) هكذا وردت
(٥) ج ١ : ٢٠٤

ونهوة من كاسها | ترمي الندامي بالشرر
قد جمعت نشر الربا | وبرد انفاس السحر
طوبى لمن حج الى | كعبتها ثم اعتمر (١)

وللغزل المذكر حظ وافر من اشعارهم ، وهو مفعم بالتشابية والاستعارات ، ويمثل لنا ما كان للغلمان في نفوس هؤلاء الادباء من مكانه عاليه ، فللصاحب بن عباد في غلام :

وشادن اصبح فوق الصفة | قد ظلم الصعب وما انصفه
كم قلت اذ قبل كفي وقد | يتمنى يا ليت كفي شفه (٢)

وله في معناه

وشادن جماله | تقصر عنه صفتي
اهوى لتقبيل يدي | فقلت لا بل شفتي (٣)

وقال احد هؤلاء الشعراء :

فديتك يا اتم الناس ظرفا | واصلحهم لمتخذ حبيبا
فوجهك نزهة الابصار حسنا | وصوتك متعة الاسماع طيبا
وسائلة تسائل عنك قلنا | لها في وصفك العجب العجيبا
رنا ظبيا وغنى عندليبا | ولاح شقائقا ومشى قضيبا (٤)

ولابي الفرج الببغاء :

ومهفهف لما اكتست وجناته | حلل الملاحة طرزت بعذاره
لما انتصرت على عظيم جفائه | بالقلب كان القلب من انصاره
كملت محاسن وجهه فكأنما اذ | تبس الهلال النور من انواره

(١) يتيمة الدهر : ١ : ٢٧٧
(٢) يتيمه الدهر : ٣ : ٨٨ (٣) ج ٣ : ٨٩ (٤) ج ١ : ١٧٢ ~~(٤) زهر الاداب ج ٣ : ١٤٨~~

واذا الح القلب فى هجراته　　　قال الهوى لابد منه تداره (١)

وقد جمع الحصرى فى زهر الاداب نتفا كثيرة مما كان يجرى على السنتهم من لغوت الغلمان فليرجع اليه ارباب الاستقصاء (٢) .

وبالاختصار ، فقد صور الشعر ما كان عليه كثرة الشعراء فى ذلك العصر من تهتك ومجون ، ولم يعف الشعراء عن تصوير احط شهواتهم وامقها ، وعبثوا بالاخلاق ولم يؤمنوا برسالة غير رسالة الفن ، وقد ظهر اثر هذه الاباحية فى النقد ، وكان جل النقاد فى القرن الرابع من اشياع نظرية الفن للفن "كما سنذكر ذلك فى حينه .

٥) وعني هؤلاء الشعراء بالطبيعة عناية فائقة ، وجمال الطبيعة يرافقهم فى خمرياتهم وفى غزلياتهم ، وصفوا القصور والحدائق والزهور والامواه ، والليل وساعات الشروق ٠٠ وتفننوا فى ذلك واجادوا : فللسرى الرفاء يصف الحدائق فى يوم مسطير

وحدائق يسبيك وشي بردها　　　حتى تشبهها سبائب عبقر

يجرى النسيم خلالها وكانما　　　غمست فضول ردائه فى العنبر

باتت قلوب المحل تخفق بينها　　　بخفوق رايات السحاب الممطر

طارت عقيقة برقه فكانما　　　صدعت نمست غيمه بمعصفر (٣)

وله فى الورد

لورحبت كاس بذى زورة　　　لرحبت بالورد اذ زارها

جاء فخلناه خدودا بدت　　　مضرمة من خجل نارها

وعطر الدنيا فطابت به　　　لاعدمت دنياه عطارها (٤)

ولابي الفرج الوأواء فى وصف الليل

وغداف الظلام فى شرك الفجـــــر　　　شريكي في نبضته الارتهان

---

(١) يتيمة الدهر ج ١ : ١٩٣ (٣) يتيمة الدهر ج ١ : ٤٩٤ ـ ٤٩٥ (٤) ج ١ : ٤٩٥

(٢) زهر الآداب ٢ : ١٤٨ ـ ١٥٠

وكأن النجوم احداق روم ركبت في محاجر السودان [(١)] (ابو الحسن الناجم [illegible])

وللسري الرفاء في وصف طير الماء :

وآمنة لا الوحش يزعج سربها ولا الطير منها داميات المخالب

اذا انبعثت بين الملاعب خلتها زرابي كسرى بثها في الملاعب [(٢)]

وللقاضي التنوخي محمد بن داود بن فهم يصف الروض :

ورياض من حاكت لهن الثريا حللا كان غزلها للرعود

نثر الغيث در دمع عليها فتحلت بمثل در العقود

اقحوان معانق لشقيق كثغور تعض ورد الخدود

وعيون من نرجس تتراءى كعيون موصولة التسهيد

وكأن الشقيق حين تبدى ظلمة الصدغ في خدود الغيد

وكأن الندى عليها دموع في جفون مفجوعة بفقيد [(٣)]

وللصاحب بن عباد في وصف الثلوج :

اقبل الثلج فانبسط للسرور ولشرب الكبير بعد الصغير

انهل الجو في غلائل نور وتهادى بلؤلؤ منثور

فكأن السماء صاهرت الارض من قصار النثار من كافور [(٤)]

وللزاهي في طلوع الفجر :

ارى الليل يمضي والنجوم كانها عيون الندامى حين مالت الى الغمض

وقد لاح فجر يغمر الجو نوره كما انفجرت بالماء عين على الارض [(٥)]

وله في ليلة عاصفة :

الريح تعصف والاغصان تعتنق والمزن باكية والزهر مغتبق

كانما الليل جفن والبروق له عين من الشمس تبدو ثم تنطبق [(٦)]

---

(١) ج ١ : ٢٠٩ (٢) ج ١ : ٤٦١ — (٣) ج ٢ : ١٠٩ (٤) نتيجة الدهر ٣ : ٩٥

(٥) ج ١ : ١٧٢ . (٦) ج ج ١ : ١٧٢

ولابن لنكك في شقائق النعمان :

قد شربنا على شقائق روض شربت عبرة السحاب السكوب

صبغت من دم القلوب فيها تبصر الا تعلقت بالقلوب (١)

٦) ويلاحظ القارئ الصور الشعرية الجميلة في هذه الابيات ، كما يلاحظ ايثار هذه المدرسة للمقطعات القصيرة ، وعلى هذا اكثر شعراء اليتيمة في الاكتفاء بقليل الابيات عن كثيرها ، على خلاف الموضوعات الوجدانية من مديح وهجاء وفخر ... فان النفس فيها يمتد والقصائد تطول .

٧) اما ادب الاخوانيات فحظ القرن الرابع منها كبير ، وهي مفعمة بروح الوداد والتواضع ، وتسودها الاماديح والمجاملات ، نمثل على ذلك برسالة للخوارزمي الى صديق له على ديوان الخراج :

"الايام ايدك الله تعالى بيني وبينك تراجمة لي عن صحة ونائله ، وشهود عندي على صدق اخائك . واقل حقوقك علي" يلزمني ان لا اشغل لساني بغير شكرك ، ولا قلبي الا بذكرك ... وقد بلغني خبر سعيك لفلان في العمل الذى هو دون قدره ، وان كان فوق اعمال عصره ، فشكرتك عنه وان كان بشكرك (٢) اولى واملا ، وبايفائك حقك احق واولى ، واردت ان اكل شكرك اليه ، ولا اتطفل فيه عليه ، فكرهت ان تطوى صحيفة الشكر ولم يجر لي فيها اسم ، وان تختم جريدة المشاركة ولم يكن لي فيها قسم ، فذكرته لك وانت له اذكر ، وشكرتك عنه وهو لك مني اشكر ... فنعمتك عليه مقتسمة بيني وبينه ، بل اكثرها لي دونه ، فما ظنك بعارفة واحدة تكسبك شكرين ، وتستعبد لك حرين ، وجدير بمن هطلت عليه سحائب عنايتك ، ورفرفت حوله اجنحة رعايتك ، ان ينبو عنه سيف الزمان مفلولا ، ويرجع عن ساحته عسكر الزمان مهزوما ... اخبرت انك ايدك الله تحدث نفسك بزيارتي ، وانه ليسرني ان اخطر ببالك ، ويسوءني ان اصير زيادة في اشغالك ، ولا تجشم نفسك فان خيالك في كل ليلة نائب عندي عنك ، ولن لم يكن فيه ولا في الدنيا كلها عوض لي منك" . (٣)

---

(١) ج ٢ : ١٢٣ (٢) وردت شكرك (٣) رسائل الخوارزمي : ١٦٧ ـ ١٦٨ .

وكتب الى غيره :

" وصلت الرسالة التي كل الرسائل دونها في الكتبة ، كما ان كل كاتب دون كاتبها في الرتبة ، ووافقت مني قلبا محصورا بل خربا بالهم ، وجسما معضلا بل مكدودا بالسقم ، فشفت القلب حتى نسي همه ، والجسم حتى طلق سقمه ... ولئن كانت الايام سلبتني من المال علقا خطيرا ، لقد ابقت لي منك عوضا كبيرا ، ولئن كانت صادرتني على ثوب يبلى ودرهم يسلى لقد وهبت لي من مودتك ما لا يبلى اذا استعمل ولا يصدأ اذا اهمل ، ولا يفنى اذا بذل ، ولا يخلق اذا ابتذل .[1] ... "

ارايت كيف يجد الخوارزمي شفاء روحه وجسمه وجيبه في كتاب صاحبه ؟! ورأيت كيف ساقه حبه لصديقه الآخر على ان لا يشغل لسانه الا بشكره . ولا قلبه الا بذكره ؟! وعلى هذا اكثر رسائل الخوارزمي وبديع الزمان الهمذاني .[2] والثعالبي [3] ، وابي الفرج الببغاء[4]

× × ×

تطور الادب اذا وفقا لتطور الحياة ، وهذا امر طبيعي جدا ، فالادب صورة الحياة ومرآتها ، وليس بمستطاع المرآة ان تعكس الا ما يبدو امامها ، وعقل الانسان وذوقه يرجعان الى حد كبير جدا الى بيئته وظروف حياته ، والى شخصيته الناشئة في هذه البيئة والظروف . نعم قد يشذ بعض الشعراء عن عصرهم ، ويتبعون انماط اسلافهم ، ولكن شذوذهم الادبي يكون تابعا لشذوذهم الاجتماعي ، ولو عاشوا عيشة معاصريهم لاحسوا باحساسهم وفكروا بتفكيرهم وساروا معهم بوحي المحيط الجديد والحياة الجديدة .

نعم ان بذور هذا التطور في المدرستين : المثالية والواقعية لا تخلو منهما العصور المتقدمة ، كما ان القرن الرابع لا يخلو من شعر قديم الروح والطابع ، وذلك لان النفس البشرية واحدة مهما جد بها من تغيير ، وحاجات المرء ثابتة مهما اعتراها من تبديل ، وليس يلزم في

---

(١) ص ١٩٨ (٢) راجع رسائل بديع الزمان وكذلك راجع يتيمة الدهر ج ٣/ ١ : ٨٦ ثم ج ٤ : ١٦٩ ـ ١٧٠ (٣) راجع يتيمة الدهر (٤) ج ١ : ص ١٨٢ ـ ١٨٧

نظرنا ان تنقلب الطبيعة البشرية عن حقيقتها حتى يتأتى لها المذهب الجديد :

وليس معنى التجديد استيحاء عناصر نفسية لم تكن في الوجود ، ولكن معنى التجديد ان يتناول الادب بعض العناصر النفسية المهملة ، او التي لم يكن يعبأ بها من ذى قبل ، ويوجه العناية اليها . كان في الشعر القديم بديع لفظي ، ولكنه لم يصبح فنا شعريا الا في العصر العباسي ، ولا يعقل ان لا يكون في الشعر القديم اى معنى في وصف الادوات العملية وما يشبهها في البساطة ، ولكن الشعر الجديد هو الذى تعلق بهذه الامور واعارها اهتمامه ، وكان " في الادب الجاهلي خمر تراه في شعر طرفة ، وفحش تراه في شعر امرىء القيس ... وكان في الادب الاموى خمر كالذى في شعر الاخطل ، وكان غزل مكشوف كغزل عمر بن ابي ربيعة ، ولكن اين هذا كله من شعر المحدثين ! كان فجور الاولين ساذجا بسيطا في الفاظه ومعانيه كمعيشتهم ، وكان فجور الآخرين مركبا ممعنا في الوصف شاملا لكل المظاهر ومشاعر الشهوة ، يتخير اقبح اللفظ لا قبح المعنى" .(١)

لهذا فنحن نرى بعض الغبن في استخفاف الدكتور طه حسين بك بهذا التجديد (٢) ونرى من الافراط ان ننسب الجمود الى الشعر العباسي كله ، في الفاظه ومعانيه واساليبه وموضوعاته ، الا اذا كان الدكتور يفهم من التجديد ان تصبح الالفاظ غير الالفاظ ، وان نستمد المعاني من غير منبعها الطبيعي ، لا نقول ذلك قناعة منا بالموجود ونفورا من الاحسن ، ولكنا نقوله لنضع الامور في مواضعها ونشيد احكامنا على حقيقتها .

ومن العجب ان الدكتور يعلل هذا "الجمود " في الشعر العربي بمنافسة الدين (٣)، في حين انه يرى في مكان اخر : "ان الدين لم يكن ليمنع الامويين والعباسيين ان يستمتعوا بلذات الحياة ، ولم يكن الفتح ليمنعهم ان يستمتعوا بهذه اللذات ، ولم يكن العلم ليحول بينهم وبين ذلك .(٤) ".

ولا نرتاب في ان الدكتور انما يعني من بطء حركة التجديد ان هذه الحركة لم

---

(١) ضحى الاسلام ج ١ : ص ١٨٤ ملخصه (٢) احاديث الاربعاء : ٨ (٣) ص ١١ — ١٢ من احاديث الاربعاء . (٤) احاديث الاربعاء : ٨٥ .

لم تتفسح للشعر القصصي والشعر التمثيلي (١) . اننا لا نفهم كيف كان الدين يمنعهم من التحرر في حياتهم الادبية ، ويطلق لهم الحرية في حياتهم المادية ، كيف كان الدين يمنعهم من الكلام ، ولا يمنعهم من العمل . على اننا لا نرى للدين سلطة كبيرة على الشعر نفسه في ذلك العصر . ولماذا يمنع الدين من معالجة الشعر القصصي والشعر التمثيلي ولا يمنع ابا نواس حين يقول :

حدثنا الخفاف عن وائـل — وخالد الحذاء عن جابـــر

قالوا جميعا : ايما طفلـــة — علقها ذو خلق طاهـــر

فواصلته ثم دامت لــــه — على وصال الحافظ الذاكر

كانت لها الجنة مفتـــوحة — ترتـع في مرتعها الزاهـر

واي معشوق جفا عاشـــقا — بعد وصـــال دائم ناضـر

ففي عذاب الله بعـــدا له — نعم وسحق دائم واحـر (٢)

وحين يقول :

اثن على الخمر بآلائها — وسمها احسن اسمائها

لا تجعل الماء الخ .... (٣)

فيستعمل التعابير القرآنية في الخمر .

وابو نواس ، ومطيع بن اياس وبشار بن برد ، وامثالهم من الشعراء الماجنين ، هم بعد كما يقول الدكتور : "التراجمة الصادقون لما يخطر لطبقات الناس من خواطر وما يضطرب في نفوسهم من عواطف ، وهم الذين يمثلون الجماعة حقا ... ويبلغون اوج شهرتهم لانهم لسان هذه الجماعة الصادق ومرآتهم الصافية . (٤) "

× × ×

---

(١) احاديث الاربعاء : ٥٥ — (٢) احاديث الاربعاء : ٥٥ — ٥٦ : لم اعثر على الديوان .

(٣) احاديث الاربعاء : ١٠٧ — ١٠٨ (٤) احاديث الاربعاء : ٤٢ — ٤٣ .

وتأثر النقد بدوره بحركة التجديد الادبي ، وبمقاييس المدرستين المثالية والواقعية ، وبهذه المقاييس كان ينقد كثيرا من الاثار الادبية من قديمة وحديثة . لم يكن هناك نقاد واقعيون بكليتهم . ولم يكن هناك نقاد مثاليون بكليتهم ، بدرجة ما كان في الشعر والنثر ، ولكن كانت هناك اراء متأثرة بهذا المذهب او ذاك ، وبهذه البيئة او تلك ، كانت هناك خصومة بين القديم والحديث كما يعتقد الجميع ، ولكن احدا لا يستطيع ان يشير الى ناقد ما ، ويقول انه من انصار القديم في جميع ارائه ، او انه من انصار الجديد في جميع هذه الاراء ، وكذلك الحال فيما يتعلق بالمدرستين الجديدتين اللتين ذكرناهما ١٠ هـ .

....

....

....

....

......

...

.

الباب الثاني

سير النقد الادبي قبل القرن الرابع

التقد في الجاهلية :

اذا صح ان النقد يساير الحركة الادبية جنبا لجنب ، فيزدهر بازدهارها ، ويذبل بذبولها فقد خلفت لنا الجاهلية وصدر الاسلام والعهد الاموى ذخيرة ادبية ثمينه كان ينبغي ان ترافقها زخيرة وافرة من الاراء الادبية الناضجة تفوق اضعاف ما انتهى الينا منها . ويلوح لنا ان الامية قد فرطت بهذه الاراء ، وفاز الشعر من ذاكرة الرواة بالمحل الذى اخفق دونه النقد . ومن المستبعد فيما نرى ان يتحدى القرآن الكريم ببلاغته قوما لا يميزون طيب الكلم عن ساقطه ، ولا يكون لديهم من الخبرة الذوقية ما يصحح احكامهم ويجليها . قال عمر بن الخطاب : كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم اصح منه فجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب : وقال ابو عمرو بن العلاء : ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا اقله ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير :(ابن سلام : ١٠)

لا نجد في هذه الاراء تحليلات مسهبة وموازنات دقيقة ودراسات شاملة ، بل نجد لهم خطوات موجزة فطرية ، مرجعها الاحساس السليم ، والطبيعة البسيطة ، فيلقون باحكامهم قريبة عذبة ساذجة شان حياتهم البسيطة ونفوسهم الساذجة . كان الشعر يرونهم جملة فيستعذبونه ، او يسوءهم جملة فيستنكرونه فاذا ذهبوا الى ما وراء هذا الشعور العام ، عمدوا الى اهم ما يلفت نظرهم من خصائص هذا الشعر او ميزات ذلك الشاعر ، فاوضحوا عنها بجمل قصيرة محكمة كانها الامثال .

ولا نرتاب فيما كان من الاهمية للاسواق الادبية كعكاظ ومجنة وذى المجاز في الجاهلية (١)

---

(١) راجع كتاب : اخبار مكة : لابي الوليد محمد بن عبدالله الازرقي ج ١ ص ١٢٢–١٢٤ واحمد امين : في الجامعة المصرية مجلة كلية الآداب : مجلد ١ جزء ١ مايو ١٩٣٣ ص ٤٦–٦٧ بعنوان عكاظ والمربد .

والمربد في الأسلام (١) ، من خطر في اثارة الارآء النقدية عن الشعر والشعراء ومثل ذلك كان تاثير الامراء والخلفاء في مجالسهم التي كانوا يعقدونها ويتداولون فيها اخبار الشعراء وطرائف اقوالهم (٢) . وكذلك كانت المنافسه بين الشعراء في العهد الاموى ، ونخص منهم جريرا والاخطل والفرزدق ، من الاسباب القوية التي تحمل هؤلاء الشعراء واشياعهم على تقدير حسنات الشاعر وسيآته وارسال الاحكام الانتقادية لهذا الشاعر او لذاك (٣)

ولم تكن العجمة في بداية الحال فاشية بين العرب لقلة اختلاطهم بالامم المجاورة واستقامة سليقتهم على الفطرة فلم يكونوا قد وضعوا بعد قواعد الصرف والنحو واحكام اللغة ، فلا ينتظر منهم انتقادات مبنية على هذه العلوم المتاخرة الا نادر ، وجل ما خلفوه لنا يدور حول معاني الشعراء ، واشخاصهم والفنون التي اجادوا فيها . لم يلتفت الادباء الى تصحيح خطيئات الشعراء الا بعد ان دونوا علومهم ورسموا قواعدها واحكامها واصبحوا حريصين على اتباع الشعراء اياها ، بعد ان كان اللحن قليلا لا يستهدف اهتمام النقاد واستنكارهم ** راجع طبقات الشعراء : ٥

نماذج من النقد في الجاهلية :

من اقدم ما وصل الينا عن النقد في الجاهلية ما رواه المرزباني في الموشح قال : تنازع امرؤ القيس بن حجر وعلقمة بن عبدة وهو علقمة الفحل في الشعر : ايهما اشعر . فقال كل واحد منهما : انا اشعر منك . فقال علقمة قد رضيت بامراتك ام جندب حكما بيني وبينك . فحكماها . فقالت ام جندب لهما : قولا شعرا تصفان فيه فرسيكما على قافية واحدة وروى واحد فقال امرؤ القيس :

خليلي مرابي على ام جندب   نقض لبانات الفؤاد المعذب

وقال علقمة :

---

(١) احمد امين في المصدر السابق ، الاغاني ٥ : ١٢ الاغاني ٨ : ٢٩ (٢) راجع مثلا الاغاني ١ : ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ١١٢ ، ٣٣٨ – ٣٣٩ . . . (٣) راجع في الاغاني اخبار جرير ج : ٨ ص : ٣ – ٨٩ واخبار الاخطل : ٢٨٠ – ٣١٩ واخبار الفرزدق ج ٩ : ص ٣٢٤ – ٣٤٢

ذهبت من الهجران في غير مذهب ولم يك حقا طول هذا التجنب

فانشداها جميعا القصيدتين . فقالت لامرئ القيس : علقمة اشعر منك . قال وكيف ؟ قالت : لانك قلت :

فللسوط الهوب وللساق درّة وللزجرة منه وقع اخرج مهذب

.... فجهدت فرسك بسوطك في زجرك ومريته فاتعبته بساقك ، وقال علقمة :

فادركهن ثانيا من عنانه يمر كمر الرائح المتحلب

فادرك فرسه ثانيا من عنانه لم يضربه بسوط ولم يتعبه (١) ...

وقد استنكر الاستاذ طه احمد ابراهيم هذا النقد على زوجة الشاعر الكبير ، ووجد ان الموازنة على شريطة الجمع بين ثلاثة اشياء (٣) فكرة على شيء من الدقة لاتتلاءم مع الروح الجاهلي في النقد الادبي (٢) على اننا نرى هذا الاشتراط من البديهيات التي تدرك بالذوق الفطري ، ونرى في سذاجة هذا النقد ما لا يحملنا على استنكاره على زوجة الملك الضليل فقد استساغت ام جندب (مدح) الفرس وانكرت (وصفه) وحكمت على كل من الشاعرين ببيت واحد ، ولم تتعد في حكمها المعنى الجزائي الى شاعرية الشاعر على العموم .

ويروى ان الشاعر طرفه بن العبد سمع وهو صبي منشدا يقول :

وقد اتناسى الهم عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكدم

فعابه بقوله : استنوق الجمل ، لانه وصف الفحل بالصيعرية وهي من سمات اناث الابل (٤)

وكان النابغة الزبياني تضرب له قبة حمراء من ادم بسوق عكاظ فتاتيه الشعراء فتعرض عليه اشعارها . انشده حسان بن ثابت الانصاري قوله :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى واسيافنا يقطرن من نجدة دما

ولدنا بني العنقاء وابني محرق فاكرم بنا خالا واكرم بنا ابنما

---

(١) الموشح للمرزباني ١٨ (٢) تاريخ النقد الادبي عند العرب : ٢١ ، ٢٢

(٣) اي وصف الفرس ووحدة القافية والروي (٤) نقد الشعر المنسوب لقدامه : ص ٨

فقال له النابغة : انت شاعر ولكنك اقللت جفانك واسيافك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك (١) . قال صاحب نقد الشعر (٢) : وذلك انهم يرون موضع الطعن على حسان في قوله الغر وكان ممكنا ان يقول البيض لان الغرة بياض قليل في لون اخر وقالوا فلو قال البيض لكان اكثر من الغرة ، وفي قوله : يلمعن بالضحى ولو قال بالدجى لكان احسن ، وفي قوله : اسيافنا يقطرن من نجدة دما ، قالوا ولو قال يجرين لكان احسن (٣) .

ومما يروى لزهير بن ابي سلمي في استحسان الشعر المطابق لخلجات النفس والمعبر عنها قوله :

وان احسن بيت انت قائله   بيت يقال اذا انشدته : صدقا (٤)

وذكر صاحب الاغاني ان فحلين من الشعراء كانا يقويان : النابغة وبشر بن ابي حازم . ولما دخل النابغة يثرب هابوه ان يقولوا له لحنت واكفأت فدعوا قينة وامروها ان تغني في شعره ففعلت ، ومدت من قوله : واتقتنا باليد ، ويكاد من اللطافة يعقد ، فصارت الكسرة ياء والضمة واوا ، ففطن الى خطاه وغيره ، وجعله عنم على اغصانه لم يعقد ، وكان يقول : وردت يثرب وفي شعري بعض العاهة فصدرت عنها وانا اشعر الناس ، واصبح الشعر هكذا .

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه   فتناولته واتقتنا باليد

بمخضب رخص كان بنانه   عنم على اغصانه لم يعقد (٥)

وهذا من نوادر ما وصلنا عن النقد النحوي في العصر الجاهلي ، وهو نقد بسيط كما ترى يدرك بالذوق الفطري وان لم يدرك بالقاعدة المرسومة ، ولا نستبعد ان تكون الطبيعة التي تعصمهم عن الخطاء في اكثر الاحيان تستطيع ان تدلهم كذلك على الخطاء ان وجد في بعض الاقوال .

---

(١) النقائض — طبعة اوربيه ج ٢ : ص : ٥٤٦ — ٥٤٧ والموشح ص ٦٠

(٢) نريد به الكتاب القديم ، لا كتاب الاستاذ عازار (٣) نقد الشعر المنسوب لقدامة : ٣٦

(٤) العقد ٣ : ١٤٣ (٥) الاغاني : ٩ : ١٦٤ — ١٦٥ طبعة بولاق : تقابل الجزء العاشر من طبعة دار الكتب المصرية .

وفي العامة اليوم من اهل كل بلد من ينتبه الى ما يخالف لهجته البلدية من دقائق الاختلافات بو من دون ان يلم بصورة شعورية باحكام لهجته وسماتها . ولو ان تجويا عمد الى تلحين النابغة لرايناه لا يكتفي بمجرد الاستنكار ، بل انه يدعم رايه بعلة او قاعدة ، وما كذلك حال هذه الرواية كما ترى .

. . . .

نماذج من النقد في العهد الاسلامي :

اما الاراء النقدية التي حفظت لنا عن العهد الاسلامي فكثيرة ، نجدها في تضاعيف الكتب الادبية الاولى كالبيان والتبيين للجاحظ والشعر والشعراء لابن قتيبه وطبقات الشعراء لابن سلام الجمحي والاغاني والعقد الفريد وغيره كان الشعراء انفسهم يتعرضون للنقد فكان جرير يستضعف يستضعف شعر عمر بن ابي ربيعة ويقول : شعر تهامي اذا انجد وجد البرد ، ولكنه لما سمع رائية عمر المشهورة قال : ما زال هذا يهذى حتى قال الشعر (١) ولما انشد جرير قول عمر بن ابي ربيعه :

سائلا الربع بِا لْبِلَيِّ وقولا هجت شوقا لي الغداة طويلا

اين حي حلوك اذ انت محفو فابهم آهل اراك جميلا

قال ساروا فامعنوا واستقلوا وبرغمي لو استطعت سبيلا

سئمونا وما سئمنا مقاما واحبوا دماثة وسهولا

قال : ان هذا الذى كنا ندورعليه فاخطاناه واصابه هذا القرشى (٢) . وسئل النصيب عنه وعن اصحابه فقال : جميل امامنا ، وعمر بن ابي ربيعة اوصفنا لربات الحجال ، وكثير ابكلنا على الدمن وامدحنا للملوك (٣) ومن الانتقادات الطريفة ما رواه المرزباني قال : اجتمع نصيب والكميت ،

---

(١) الاغاني ١ : ١٧٣ (٢) ص ١٠٦

(٣) ص ٣٥٥

فاستنشد النصيب الكميت شعره فانشده الكميت :

هل انت عن طلب الايفاع منقلب ... حتى بلغ الى قوله :

ام هل ظعائن بالعلياء نافعة ... وان تكامل فيها الانس والشنب

فعقد النصيب واحدا " اى عقدا صبعا واحدا " فقال الكميت ما هذا ؟ قال : احص خطأك تباعدت في قولك : الانس والشنب ، الا قلت كما قال ذو الرمة :

لمياء في شفتيها حوة لعس ... وفي اللثات وفي انيابها شنب (١)

وهذا ما سماه المتاخرون : بمراعاة النظير . وفي الرواية انّ الكميت انشد بعد ذلك قوله :

ابت هذه النفس الا ادكارا

حتى بلغ الى قوله :

اذا ما الهجارس (٢) غنينها ... تجاوبن بالفلوات الوبارا (٣)

فقال له النصيب : والوبار لا تسكن الفلوات ثم انشد حتى بلغ منها :

كان الغطامط (٤) من غليها ... اراجيز اسلم تهجو غفارا (٥)

فقال النصيب : ما هجت اسلم غفارا قط ، فانكسر الكميت وامسك (٦)

وكان رواة الادب وعلماء اللغة قد بداوا في تدوين قواعد العربية والفاظها ، وكان الشعر منبعا غزيراً لمعارفهم واخبارهم ، فقادهم ذلك الى نقده ونقد رجاله . واشتهر منهم : ابو عمرو بن العلاء والاصمعي وخلف الاحمر وحماد الراوية وابو عبيدة وابو العباس محمد بن يزيد المبرد (٧) روى عن خلف الاحمر انه كان ابصر الناس بشعر (٨) واعلمهم بجيده . وكان الاصمعي شديد

---

(١) الموشح : ١٩٣ والاغاني ١ : ٣٤٨ والمزهر للسيوطي ج ٢ ص ٢٥٠ (٢) جمع هجرس ، وهو القرد والثعلب او ولده ، وهو الدب ايضا ، او هو من السباع كل ما يعسعس بالليل مما كان دون الثعلب وفوق اليربوع (٣) دابة طحلاء اللون - كلون الطحال - لا ذنب لها تدجن في البيوت (٤) صوت غليان القدر (٥) اسلم وغفار قبيلتان (٦) الاغاني ١ : ٣٤٨-٣٤٩ والموشح ١٩٣ والمزهر للسيوطي ج ٢ ص ٢٥٠ (٧) راجع كتاب اخبار النحويين البصريين : لابي سعيد السيرافي (٨) طبقات ابن سلام ٩

التمرس بالشعر والرواية له ، قال انه ما بلغ الحلم حتى روى اثني عشر الف ارجوزة للاعراب (١)
وكان حماد وخلف الاحمر من فحول الشعراء حتى كانا يقولان الشعر وينحلانه الشعراء فيسير في
الافاق (٢) ناهيك للنقد رجال يعرفون به كسائر الفنون . قال رجل لخلف الاحمر : اذا سمعت انا
بالشعر واستحسنته فما ابالي ما قلت فيه انت واصحابك ، فقال له اذا اخذت انت درهما فاستحسنته
فقال لك الصراف انه ردئ هل ينفعك استحسانك له ؟ (٣) ولكن اكثر هوءلاء الرواة كان يرمى الى
غاية لغوية ، ويتاثر بغايته هذه في النقد ، مما دعى الجاحظ الى ان ينكر على الرواة ذوقهم الادبي
ويفضل ذوق الادباء الكتاب قال : " طلبت علم الشعر عند الاصمعي فوجدته لا يعرف الا غريبه
فرجعت الى الاخفش فالفيته لا يتقن الا اعرابه ، فعطفت على ابي عبيده فرايته لا ينقد الا ما اتصل
بالاخبار وتعلق بالايام والانساب ، فلم اظفر بما اردت الا عند ادباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد
ابن عبدالملك الزيات (٤) "

فمن الامثلة على انتقادات الادباء في ذلك العصر ان ابن ابي عتيق كان يفضل شعر عمر بن
ابي ربيعه على شعر الحارث بن خالد ويقول : لشعر عمر بن ابي ربيعة نوطة (٥) في القلب ، وعلوق
بالنفس ، ودرك للحاجة ليست لشعر . وكان خالد بن العاصي بن هشام يتعصب لشعر الحارث . فقال
له ابن ابي عتيق : اشعر قريش من دق معناه ، ولطف مدخله ، وسهل مخرجه ، ومتن حشوه
وتعطفت حواشيه ، وانارت معانيه ، واعرب عن حاجته ! فقال خالد : اليس صاحبنا الذى يقول :

انى وما نحروا غداة منى عند الجمار يئودها (٦) العقل (٧)
لو بدلت اعلى مساكنها سفلا واصبح سفلها يعلو
فيكاد يعرفها الخبير بها فيرده الاقواء والمحل
لعرفت مغناها بما احتملت مني الضلوع لاهلها قبل

---

(١) العقد : ج ٣ : ١٣٤ (٢) العقد ٣ : ١٣٤ – ١٣٥ والاغاني ٦ : ٨٩ – ٩٠ وابن سلام
، (٣) طبقات الشعراء ٨ (٤) الكشف عن مساوئ شعر المتنبي للصاحب بن عباد ص ٤–٥
(٥) تعلق (٦) يتعبها (٧) الحبس

فقال له ابن ابي عتيق : يابن اخي ، استر على نفسك ، واكتم على صاحبك ، ولا تشاهد المحافل بمثل هذا . اما تطير الحارث عليهما حين قلب ريحهما فجعل عاليه سافله ، ما بقي الا ان يسأل الله تبارك وتعالى لهما حجارة من سجيل ، ابن ابي ربيعة كان احسن صحبة للريح من صاحبك ، واجمل مخاطبة حيث يقول :

سائلا الريح بالبلى وقولا   هجت شوقا لي الغداة طويلا [(١)]

ومهما تكن الصورة الشعرية طريفة في شعر الحارث بن خالد ، فان نقد ابن ابي عتيق يشير الى مذهبه في اللهو ، وايثاره المعاني الضاحكة . ومن النقاد من كان يرى جمال الشعر في سهولة لفظه وقرب معانيه الى القلب :

قيل للاصمعي : اى بيت تقوله العرب اشعر ، قال الذى يسابق لفظه معناه ، وقيل للخليل اى بيت تقوله العرب اشعر ؟ قال : البيت الذى يكون في اوله دليل على قافيته ، وقيل لعميرة اى بيت تقوله العرب اشعر ؟ قال : البيت الذى لا يحجبه عن القلب شيء [(٢)].

وقد اثنى عمر بن الخطاب على شعر زهير لانه كان : لا يقول الا ما يعرف ولا يمدح الرجل الا بما يكون فيه ، ولانه كان لا يتبع حوشي الكلام ولا يعاظل في المنطق [(٣)] : وشبيه برأيه فيما يجب على الشاعر ان يتجنبه من الكلام الحوشي ، راى الاصمعي في تنافر الحروف : ففي الموشح ان اسحاق الموصلي انشد الاصمعي قوله في غضب المأمون عليه :

يا سرحة الماء قد سدت موارده   اما اليك طريق غير مسدود

لحائم حام حتى لا حيام به   محلأ عن طريق الماء مطرود

فقال الاصمعي : احسنت في الشعر غير ان هذه الحاءات لو اجتمعت في آية الكرسي لعابتها [(٤)] .

وانتبهوا لبعض العوامل المؤثرة في الشعر : دخل الشاعر ارطاة بن سهية المرى على عبدالملك

---

(١) الاغاني ١ : ١٠٩   (٢) العقد ٣ : ١٤٣   (٣) الاغاني : بولاق : ٩ : ١٤٧

(٤) الموشح ٢٠.

بن مروان ، وقد اربى على المائة سنة . فقال له عبد الملك : ما بقي من شعرك يا ابن سهية ؟ فقال : والله ما اشرب ولا اطرب ولا اغضب ، ولا يجيء الشعر الا على مثل هذه الحال .(١) وقيل لنصيب : هرم شعرك . قال : لا ، والله ما هرم ، ولكن العطاء هرم ...(٢) وسئل يونس النحوي : من اشعر الناس؟ قال : لا اومىء الى رجل بعينه ، ولكني اقول : امرؤ القيس اذا غضب ، والنابغة اذا رهب ، وزهير اذا رغب ، والاعشى اذا طرب .(٣) وقال الفرزدق انا اشعر الناس عند اليأس ، وقد يأتي علي الحين وقلع ضرس عندي اهون من قول بيت شعر ، وقيل لكثير عزة : يا ابا صخر : كيف تصنع اذا عسر عليك الشعر ؟ قال : اطوف في الرباع المحيلة والرياض المعشبة (٤) .

ومن اجمل ما انتبه اليه الاقدمون عن قضية الوحدة في القصيدة ان ابا العباس المبرد كان يفضل الفرزدق على جرير لان الفرزدق يجيء بالبيت واخيه وجرير ياتي بالبيت وابن عمه (٥)! واخذت بدور الخصومة بالنمو بين اشياع القدماء واشياع المحدثين ، حتى ان الاصمعي كان يقول: ان بشارا خاتمة الشعراء ، والله لولا ان ايامه تاخرت لفضلته على كثير منهم .(٦) غير ان اجلى ما وقعت عليه من النقد عند هؤلاء الادباء ما رواه الزبير بن بكار عن عمه مصعب في شعر عمر بن ابي ربيعة . حلل مصعب ميزات عمر الكبرى . ذكر بعض الاوصاف العائدة الى طريقة الشاعر القصصية . ونبه الى تعابيره الشعرية الرائعة . ولم يغفل سهولة شعره وحسن وصفه فقال :

راق عمر بن ابي ربيعة الناس وفاق نظراءه وبرعهم بسهولة الشعر وشدة الاسر وحسن الوصف ودقة المعنى وصواب المصدر والقصد للحاجة واستنطاق الربع وانطاق القلب وحسن العزاء ومخاطبة النساء وعفة المقال وقلة الانتقال — لعله يشير هنا الى اتصال نفسه القصصي — واثبات الحجة وترجيح الشك في موضع اليقين وطلاوة الاعتذار وفتح الغزل ونهج العلل وعطف المساءة على العذال . واحسن التفجع وبخل المنازل واختصر الخبر وصدق الصفاء ، ان مدح اورى . وان اعتذر ابرا ، وان تشكى اشجى ، واقدم عن خبرة ولم يعتذر بغرة ، واسر النوم ، وقم الطير

---

(١) الموشح ٢٤٢ (٢) الاغاني ١ : ٣٦٦ (٣) الاغاني دار الكتب : ٩ : ١٠٨ (٤) العقد ٣ ١٤٢ — ١٤٣ (٥) الموشح ١٢١ (٦) الاغاني ٣ : ١٥٠ .

وافذ السير ، وحير ماء الشباب ، وسهل وقول ، وقاس الهوى ناري ، وعصى واخلى ، وحالف بسمعه وطرفه ، وابرم نعت الرسل وحذر ، واعلن الحرب واسر ، وبطن به واظهره ، والح واسف ، وانكح النوم ، وجنى الحديث وضرب ظهره لبطنه ، واذل صعبه ، وقنع بالرجاء من الوفاء ، واعلى قاتله واستبكى عاذله ، ونغص النوم ، ~~وبعث العيون~~ واغلق رهن منى ، واهدر قتلاه ، وكان بعد هذا كله فصيحا ، فمن سهولة شعره [1] ... ثم يورد الامثلة لكل هذه الاوصاف .

ويرى القارئ ان هذا التحليل الدقيق الشامل اشبه بالدراسة المستقصية منه بالرأى المرتجل

. . . .

ولا تخلو احكامهم في بعض الاوقات من مغالاة وافراط : سأل عبدالملك بن مروان احد الفصحاء اى بيت قالته العرب امدح ؟ قال : بيت جرير :

الستم خير من ركب المطايـــا ... واندى العالمين بطون راح

قال . فاى بيت قالته العرب افخر ؟ قال : قول جرير :

اذا غضبت عليك بنو تميم ... حسبت الناس كلهم غضـــابا

قال ، فاى بيت اهجى ؟ قال : قول جرير :

فغض الطرف انك من نميـــر ... فلا كعبا بلغت ولا كــــلابا

قال ، فاى بيت اغزل ؟ قال قول جرير :

ان العيون التي في طرفها مرض ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانــــا

قال ، فاى بيت احسن تشبيها ؟ قال قول جرير :

سرى نحوهم ليل كان نجومه ... قناديل فيهن الذبال المفتل [2]

ولقى ابوعمرو بن العلاء بعض الرواة فقال له : يا ابا عمرو : من ابدع الناس بيتا ، فقال : الذى يقول :

---

(١) الاغاني ١ : ١٢٠ ـ ١٤٥ (٢) الاغاني ٨ : ٤١ ـ ٤٢

لم يطل ليلي ولكن لم انم ونفى عني الكرى طيف الم

روّحي عني قليلا واعلمي انني يا عبد من لحم ودم

ثم سأله عن امدح بيت وعن اهجى بيت ، فاجابه بابيات لبشار بن برد (١)

على اننا نستطيع ان نحمل هذه الابيات على انها كانت ابدع ما يحضر الناقد في وقته من الشعر ، وعلى انه لا يقصد من هذه المغالاة الا مجرد التعبير العاطفي عن اعجابه بهذا البيت او ذاك . على ان من نقادهم من كان يتجنب هذه الاحكام الاعتباطية ويتحفظ في حكمه . وقد سئل بشار نفسه : اخبرنا عن اجود بيت للعرب ، فقال : ان تفضيل بيت واحد على سائر شعر العرب لشديد ، ولكن احسن لبيد كل الاحسان في قوله :

واكذب النفس اذا حدثتها ان صدق النفس يزري بالامل (٢)

وسئل نوفل بن مساحق : اعبيد الله بن قيس الرقيات اشعر ام عمر بن ابي ربيعة ، فقال نوفل : حين يقولان ماذا ؟ الى آخر الرواية . . . (٣)

وكانت مجالس الامراء والخلفاء كثيرا ما تتسع للشعراء وتشجعهم ، وكان في هؤلاء الامراء من يعنون بالادب ويحسنون النقد ، كعبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك وبشر بن مروان والحجاج بن يوسف الثقفي وغيرهم (٤) . وفي الموشح ان الراعي انشد عبد الملك بن مروان قصيدة فبلغ قوله :

اخليفة الرحمن انا معشـــر حنفاء نسجد بكرة واصيلا

عرب نرى لله في اموالنـــا حق الزكاة منزلا تنزيـــلا

فقال له عبد الملك : ليس هذا شعرا ، هذا شرح اسلام وقراءة آية . (٥)

---

(١) الاغاني ٣ : ١٥٠ — ١٥١ ، (٢) كتاب : خاص الخاص : ٧٩ (٣) الاغاني ٥ : ص ٩٣ (٤) راجع اخبار ذلك في الاغاني ١ : ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ١١٢ ، ٣٣٨ — ٣٣٩ : الاغاني ٨ : ٣١٥ ، ٦٦ (٥) الموشح : ١٥٧ .

نظرة سريعة على المصنفات النقدية في القرن الثالث الهجري :

جاء القرن الثالث الهجري والآداب العربية في طريقها نحو الكمال . لقد خلّفت له العصور الاولى ثروة ادبية ضخمة لا تقدر ، وعددا كبيرا من الشعراء الفحول من جاهليين واسلاميين وامويين . وتركت الى جانب ذلك مادة غزيرة من الآراء الادبية والانتقادات والمفاضلات. واستقرت احوال المملكة ونشط العلماء الى التدوين والتاليف ، يشجعهم على ذلك الخلفاء والامراء. واشتهر الخلفاء الاولون من بني العباس بالعلم والادب وبذل المال في سبيلهما كان المنصور متقدّما في علم الكلام ، وله كتاب كان يدور في ايدى الناس [1] ، وكان بصيرا بالادب ، حسن التميز لمسروق الشعر ، انشده ابن هرمة ابياتا يمدحه بها ، فقال له المنصور : اما هذا الشعر فمسروق ، واما نحن فلا نكافئ الا بالتي احسن [2] . وفي الاغاني انه فقد احد اولاده فاراد العزاء ، فاستنشد اهله قصيدة ابي ذؤيب :

امن المنون وريبها تتوجـــع . والدهر ليس بمعتب من يجزع

فلم يكن فيهم احد يحفظها . فقال : والله لمصيبتي باهل بيتي الا يكون فيهم احد يحفظ هذا لقلة رغبتهم في الادب اعظم واشد عليّ من مصيبتي بابني . [3] وعرف الرشيد بحفظ الشعر وتقريب الشعراء والادباء اليه . ويقال انه كان يحفظ شعر ذى الرمه ويؤثره [4] وكان ابنه المامون يامر العلماء بالتاليف ويقترح عليهم بعض البحوث فيكتبونها ويعرضونها عليه . فيقرؤها وينتقدها . [5]

اخذ الادباء في تدوين الشعر وما يحوم حوله من آراء في الادب ورجاله . واخذوا يعنون بتحديد الشعر وتنظيم بحوثه واستنتاج مقاييسه ، فلم يعد النقد آراء متقضية نظرية . بل اصبح فنا مستقلا له كتبه وله رجاله ،

قال ابن سلامّ : وللشعر صناعة وثقافة يعرفها اهل العلم كسائر اصناف العلم والصناعات

---

(١) البيان والتبيين ٣ : ٢١٨ (٢) نفس المصدر : ٢٢١ (٣) الاغاني ٦ : ٢٧٢ ـ ٢٧٣

(٤) الاغاني ٥ : ٢٣٨ (٥) البيان والتبيين ٣ : ٢٢٣ .

منها ما تثقفه العين ومنها ما تثقفه الاذن ومنها ما تثقفه اليد ومنها ما يثقفه اللسان ... من ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم ، لا يعرف جودتهما بلون ولا مس ولا طراز ولا حس ولا صفة ، ويعرفها الناقد عند المعاينة فيعرف بهرجها وزائفها وستوقها ومفرغها ... وكذلك يبصر الرقيق فتوصف الجارية فيقال : ناصعة اللون ، جيدة الشطب ، نقية الثغر ، حسنة العين والانف جيدة النهود ، ظريفة اللسان ، واردة الشعر ، فتكون هذه الصفة بمائة دينار وبمائتي دينار ، وتكون اخرى بالف دينار واكثر ، لا يجد واصفها مزيدا على هذه الصفة .(١) واهم الكتب النقدية التي الفها رجال القرن الثالث اربعة : طبقات الشعراء لابن سلام ، والبيان والتبيين للجاحظ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة وكتاب البديع لابن المعتز .

اما طبقات الشعراء فلعله اقدم كتاب نقدي وصل الينا ، واهم ما تعرض له ابن سلام هو قضية الشعر الموضوع وقد كانت فكرة الوضع في الشعر معلومة في عصره ، فكان خلف الاحمر يعترف بنحل الشعر ويقول : كنت آخذ من حماد الراوية الصحيح من اشعار العرب واعطيه المنحول فيقبل ذلك مني ويدخله في اشعارها .(٢) وقال المفضل الضبي : قد سلط على الشعر من حماد الراوية ما افسده فلا يصلح ابدا . فقيل له : وكيف ذلك ؟ ايخطيء في روايته ام يلحن ؟ قال : ليته كان كذلك ، فان اهل العلم يردون من اخطأ الى الصواب ، لا ولكنه رجل عالم بلغات العرب واشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره ، ويحمل ذلك عنه في الآفاق فتختلط اشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها الا عند عالم ناقد ، واين ذلك .(٣) وقد استحلف المهدي حمادا ليصدقنه في ابيات منسوبة لزهير فاقر حماد بوضعها واذاع المهدي على من في قصره من العلماء : ان امير المؤمنين قد ابطل رواية حماد لزيادته في اشعار الناس ما ليس منها .(٤) وقال يونس : العجب لمن يأخذ عن حماد ، وكان يكذب ويلحن ويكسر .(٥) على ان ابن سلام بحث هذه القضية بحثا علميا مستفيضا واجاد في الرد على الواضعين واحسن في بيان الدافع لهم على عملهم وايراد الشواهد على الشعر المنحول ، قال " وكان ممن هجن الشعر وافسده

---

(١) طبقات الشعراء ٣ (٢) الاغاني ٦ : ٩٢ (٣) الاغاني ٦: ٨٩ (٤) الاغاني ٦ : ٨٩-٩١ (٥) ابن سلام ص١٥

محمد بن اسحاق وكان من علماء السير فنقل الناس عنه الاشعار وكان يعتذر منها ويقول لا علم لي بالشعر انما اوتى به فاحمله ، ولم يكن ذلك له عذرا ، فكتب في السير من اشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط واشعار النساء ، ثم جاوز ذلك الى عاد وثمود ، افلا يرجع الى نفسه فيقول : من حمل هذا الشعر ومن اداه منذ الوف من السنين والله يقول : "وانه اهلك عادا الاولى وثمود فما ابقى" وقال في عاد : "فهل ترى لهم من باقية" ... وقال يونس بن حبيب : اول من تكلم بالعربية اسماعيل بن ابراهيم ... وقال ابو عمرو بن العلاء : ما لسان حمير واقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا ...[1] وانما قصدت القصائد وطول الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف ، وذلك يدل على اسقاط عاد وثمود وحمير وتبع .[2] قال ابن سلام فلما راجعت العرب رواية الشعر استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم ؛ وكان قوم قد قلت وقائعهم واشعارهم وارادوا ان يلحقوا بمن له الوقائع والاشعار فقالوا على السن شعرائهم ؛ ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الاشعار .[3]...؛

وصنف ابن سلام الشعراء الى طبقات ، جعل شعراء الجاهلية عشر طبقات ، كل طبقة من اربعة شعراء ، واول طبقة تضم : امرأ القيس والنابغة الذبياني وزهير بن ابي سلمى والاعشى[4] والحق بشعراء الجاهلية : اصحاب المراثي[5] ، فشعراء القرى العربية[6] ، فشعراء مكة[7] والطائف[8] ، فشعراء البحرين[9] ، فشعراء اليهود في المدينة[10] ، وجعل الشعراء الاسلاميين عشر طبقات كذلك ، فزعماء الطبقة الاولى هم : الفرزدق وجرير والاخطل والراعي[11] وزعماء الطبقة الثانية هم : البعيث والقطامي وكثير وذو الرمة[12] . ولم يتكلم ابن سلام عن الشعراء المحدثين ولم يذكر طبقاتهم .

ويلي هذا الكتاب كتاب البيان والتبيين للجاحظ ، جمع فيه الجاحظ طائفة كبيرة من

---

(١) ابن سلام ٤ باختصار . (٢) ص ١١ (٣) ابن سلام ١٤ باختصار (٤) ص ١٥ (٥) ٤٨
(٦) ٥٢ (٧) ٥٧ (٨) ٦٥ (٩) ٦٩ (١٠) ٧٠ (١١) راجع بحثه ص ٧٥ (١٢) راجع ص ١٢١

اخبار الشعراء والخطباء والرواة واشعارهم وآرائهم . وبحث فيه شتى الموضوعات الادبية المعروفة في عصره ، بحث في البيان [١] ، والبلاغة [٢] والخطابة [٣] ... وقد اسهب الجاحظ في كلامه عن الخطابة واوصافها وفحولها مما يدل على اهمية هذا الفن في تلك الايام .

وللجاحظ في البيان والتبيين آراء ادبية قيمة نجدها في تضاعيف الكتاب ، فمن ذلك قوله : احسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ، ومعناه ظاهر في لفظه ، وكان الله عز وجل قد البسه من الجلالة وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله ، فاذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا ، وكان صحيح الطبع بعيدا من الاستكراه ومنزها عن الاختلال مصونا عن التكلف ، صنع في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة .[٤] .

وقال : ومتى شاكل ابقاك الله ذلك اللفظ معناه ، واعرب عن فحواه ، وكان لتلك الحال وفقا ، ولذلك القدر لفقا ، وخرج من سماجة الاستكراه وسلم من فساد التكلف ، كان قمينا بحسن الموقع وبانتفاع المستمع .... ولا تزال القلوب به معمورة والصدور مأهولة .[٥]

ويلاحظ القارئ في كلام الجاحظ بذور الطريقة البيانية في النقد ، فهو يتكلم عن الالفاظ والمعاني وموافقة الكلام لمقتضى الحال ونزاهته عن الاستكراه .... وكل هذه امور عني بها النقاد فيما بعد واسهبوا الكلام فيها كما سنرى . ومن لطيف آراء هذا الناقد الكبير قوله : وانا اقول انه ليس في الارض كلام هو امتع ولا انفع ولا آنق ... من طول استماع حديث الاعراب الفصحاء العقلاء والعلماء البلغاء . وازعم ان سخيف الالفاظ مشاكل لسخيف المعاني ، وقد يحتاج الى السخيف في بعض المواضع وربما امتع باكثر من امتاع الجزل الفخم .[٦]

وقال : العتابي حين زعم ان كل من افهمك حاجته فهو بليغ ، لم يعن ان كل من افهمنا من معاشر المولدين والبلديين قصده ومعناه بالكلام الملحون والمعدول عن جهته والمصروف من حقه ، انه محكوم له بالبلاغة كيف كان ... وانما عني العتابي افهامك العرب حاجتك على مجرى كلام الفصحاء .[٧] .

---

(١) البيان والتبيين : ٧٧ (٢) ٨٧ (٣) ٨٧ (٤) ٩٥ (٥) البيان والتبين ٢ : ٦

(٦) ج ١ : ١٣٣ (٧) ج ١ : ١٤٥ ـ ١٤٦ .

اما كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبه الدينوري فقد ذكر فيه المؤلف " الشعراء وازمانهم واقدارهم واحوالهم في شعرهم وقبائلهم ... وما يستحسن فيه من اخبار الرجل ويستجاد من شعره ، وما اخذته العلماء عليهم من الغلط والخطاء في الفاظهم وما سبق اليه المتقدمون فاخذ عنهم المتاخرون واخبر فيه عن اقسام الشعر وطبقاته وعن الوجوه التي يختار الشعر عليها ويستحسن لها ..." (١) واقتصر فيه على كبار الشعراء ومن كان الاغلب عليه الشعر (٢) .

بحث ابن قتيبه في مقدمته قضية القدماء والمحدثين وخرج منها برأى صائب بعيد عن الهوى :«فلم ينظر الى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ولا الى المتاخر منهم بعين الاحتقار لتاخره ، وانتقد على بعض العلماء الذين كانوا يستجيدون الشعر السخيف لتقدم قائله ويرذلون الشعر الرصين ولا عيب له عندهم الا انه قيل في زمانهم وراوا قائله ، ذلك لان الله لم يقصر الشعر والعلم والبلاغه على زمن دون زمن ولا خص به قوما دون قوم . بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده ، وجعل كل قديم منهم حديثا في عصره ، وقد كان جرير والفرزدق والاخطل يعدون محدثين ، ثم صاروا قدماء ، وكذلك يكون من بعدهم» (٣) وقد ورد في اثناء الكتاب ابيات كثيرة للقدماء كان ابن قتيبه ينتقدهم فيها جريا على مذهبه ، ولكننا ناخذ عليه امرين : الاول انه خص اكبر قسم من الكتاب بتراجم الشعراء الاقدمين ، والثاني انه كان يتمسك بطريقة القدماء ويجعلها دون غيرها مقياسا للشعر الجيد : فعلى الشاعر ان يبدأ بذكر الديار والدمن والاثار فيشكو ويبكي ويخاطب الربع ويستوقف الرفيق ليجعل ذلك سببا لذكر اهلها الظاعنين عنها ، وعليه ان يصل ذلك بالنسيب ، فيشكو شدة الشوق والم الوجد ... لا لشيء الا لان الله جعل في تركيب العباد محبة الغزل والف النساء ! وعليه بعد ذلك ان يشكو النصب وسرى الليل .... ومن ثم ينتقل الى المديح ويذكر حاجته ، ولا يجهد الشاعر الا اذا سلك هذه

---

(١) الشعر والشعراء : ١ (٢) نفس المصدر : ٢

(٣) الشعر والشعراء : ٢

الاساليب وعدل بين هذه الاقسام ! ! (١)

والشعراء في نظر ابن قتيبه ، منهم المتكلف ومنهم المطبوع ، فالمتكلف هو الذى قوم شعره بالثقاف ونقحه بطول التفتيش واعاد فيه النظر كزهير والحطيئة وغيره · هؤلاء هم عبيد الشعر الذين نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين ، بل وجدوا الاجادة كل الاجادة في الشعر الحولي المنقح المحكك (٢) · ولا ينكر ابن قتيبه جمال هذا الشعر ، ولكنه ينكر المتكلف الذى لا يؤدى المعنى بلفظ طبيعي ، بل يظهر فيه ما نزل بصاحبه من طول التفكر وشدة العناء ورشح الجبين وكثرة الضرورات وحذف ما بالمعاني غني عنه (٣) ·

غير ان اهم ما قام به ابن قتيبه يعود الى بذور الطريقة العلمية التي زرعها في المباحث النقدية ، تلك البذور التي نمت وازدهرت وآتت خير الثمار فيما بعد في كتاب نقد الشعر المنسوب لقدامه بن جعفر · اخذ ابن قتيبه طرفي الكلام : اللفظ والمعنى ، وقدر لكل منهما احدى حالتين : الاجادة او الاساءة ، ومن هنا استنتج مقاييس الشعر في كتابه : فالشعراء اربعة اضرب :

١- ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه كقول القائل :

في كفه خيزران ريحه عبق　　من كف اروع ، في عرنينه شمم
يغضي حياء ويغضى من مهابته　　فلا يكلم الا حين يبتسم (٤)

٢- وضرب منه حسن لفظه وحلا ، فاذا انت فتشته لم تجد هناك طائلا ، كقول القائل (٤) :

ولما قضينا من منى كل حاجة　　ومسح بالاركان من هو ماسح
وشدت على حدب المهارى رحالنا　　ولم ينظر الغادى الذى هو رائح
اخذنا باطراف الاحاديث بيننا　　وسالت باعناق المطى الاباطح

٣- وضرب منه جاد معناه وقصرت الالفاظ عنه كقول لبيد :

---

(١) الشعر والشعراء : ٦-٧ (٢) نفس المصدر ٧ - ٨ (٣) ص ١١

(٤) ص ٣

الاساليب وعدل بين هذه الاقسام ! ! (١)

والشعراء في نظر ابن قتيبه ، منهم المتكلف ومنهم المطبوع . فالمتكلف هو الذى قوم شعره بالثقاف ونقحه بطول التفتيش واعاد فيه النظر كزهير والحطيئة وغيره . هؤلاء هم عبيد الشعر الذين نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين ، بل وجدوا الاجادة كل الاجادة في الشعر الحولى المنقح المحكك (٢) . ولا ينكر ابن قتيبه جمال هذا الشعر ، ولكنه ينكر المتكلف الذى لا يؤدى المعنى بلفظ طبيعي ، بل يظهر فيه ما نزل بصاحبه من طول التفكر وشدة العناء ورشح الجبين وكثرة الضرورات وحذف ما بالمعاني غني عنه (٣) .

غير ان اهم ما قام به ابن قتيبه يعود الى بذور الطريقة العلمية التي زرعها في المباحث النقدية ، تلك البذور التي نمت وازدهرت واتت خير الثمار فيما بعد في كتاب نقد الشعر المنسوب لقدامه بن جعفر . اخذ ابن قتيبه طرفي الكلام : اللفظ والمعنى ، وقدر لكل منهما احدى حالتين : الاجادة او الاساءة ، ومن هنا استنتج مقاييس الشعر في كتابه : فالشعراء اربعة اضرب :

١- ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه كقول القائل :

في كفه خيزران ريحه عبق من كف اروع ، في عرنينه شمم

يغضي حياء ويغضى من مهابته فلا يكلم الا حين يبتسم (٤)

٢- وضرب منه حسن لفظه وحلا ، فاذا انت فتشته لم تجد هناك طائلا ، كقول القائل (٤) :

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالاركان من هو ماسح

وشدت على حدب المهارى رحالنا ولم ينظر الغادى الذى هو رائح

اخذنا باطراف الاحاديث بيننا وسالت باعناق المطي الاباطح

٣- وضرب منه جاد معناه وقصرت الالفاظ عنه كقول لبيد :

---

(١) الشعر والشعراء : ٦ ـ ٧ (٢) نفس المصدر ٧ ـ ٨ (٣) ص ١١

(٤) ص ٣

ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح (١)

٤- وضرب تأخر لفظه وتأخر معناه كقول الخليل بن احمد العروضى :

ان الخليط تصدع فطر بدائك اوقع
لولا جوار حسان حور الدامع اربع
ام البنين واسما ثم الرباب وبوزع
لقلت للقلب ارحل اذا بدا لك اودع (٢)

لا نناقش ابن قتيبه رايه في الشعر الذى يمثل به على كل من هذه الابواب ، فاننا نختلف معه في كثير منها اختلافا كبيرا ، ولكن الذى يهمنا ان نقوله هو ان ابن قتيبه لم يضع هنا مقاييس الجودة والرداءة ولكنه بين انواع الكلام الحسن ، لم يرد ابن قتيبه في هذه المقاييس ان يبين متى يكون المعنى جيدا ومتى يكون اللفظ جيدا ، ولكنه اكتفى بان قال ، ان من الكلام ما هو جيد اللفظ والمعنى او سيء اللفظ والمعنى ، او جيد في احدهما فى دون الاخر ، وهو كما نرى تقسيم معقول ، ولكنه لا يغني عن الذوق المهذب في تمييز جيد الكلام عن رديئه .

اما كتاب البديع لابن المعتز فقد جمع فيه مؤلفه خمسة انواع من البديع . وهي الاستعارة [٣] والتجنيس [٤] والمطابقة [٥] وباب رد اعجاز الكلام على ما تقدمها [٦] ، وباب المذهب الكلامي . [٧] ، والباب الاخير غامض . ولكننا نرجح انه يقصد منه : ان يتبع الكاتب طريقة "المتكلمين "في التفكير والتعبير ، يظهر هذا أولا في قوله : ما اعلم اني وجدت في القرآن منه شيئا وهو ينسب الى "التكلف " تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا [٨] وثانيا في امثلته ، فهو يدلي بمثل قول الفرزدق :

ونفسك من نفسيك تشفع للندى اذا قل من احرارهن شفيعها .

---

(١) ص ٤ (٢) الشعر والشعراء : ٥ (٣) كتاب البديع : ٣ (٤) ص ٢٥ (٥) ص ٣٦
(٦) ٤٧ (٧) ص ٥٣ (٨) ص ٥٣ .

ويمثل قول عبدالله بن عباس لعمر وقد سأله من ترى ان توليه حمص، فقال : رجلا صحيحا منك صحيحا لك ، قال عمر : كن انت ذلك الرجل . قال ابن عباس : لا ينتفع بي مع سوء ظني في سوء ظنك بي (١) . ويمثل قول الطائي :

المجد لا يرضى بان ترضى بان يرضى المؤمل منك الا بالرضى (٢)

وقد ضم المؤلف الى هذه الانواع انواعا اخرى لم يسمها بالبديع كالالتفات (٣) واعتراض كلام في كلام . (٤) وحسن الخروج (٥) وتاكيد المدح بما يشبه الذم وتجاهل العارف (٦) ...

وغاية ابن المعتز هي ان يبين ان فن" البديع قديم في القرآن والاحاديث النبوية واشعار المتقدمين ، وان المحدثين من امثال بشار ومسلم وابي نواس ومن سلك سبيلهم لم يسبقوا الى هذا الفن ، ولكنه كثر في اشعارهم فعرف في زمانهم ، حتى سمي بهذا الاسم فاعرب عنه ودل عليه . (٧) .

وابن المعتز يحمل على الشعراء الذين افرطوا في استعمال البديع فيقول : ثم ان حبيب بن اوس الطائي من بعدهم شغف به — اى بالبديع — حتى غلب عليه وتفرع فيه واكثر منه فاحسن في بعض ذلك واساء في بعض، وتلك عقبى الافراط وثمرة الاسراف . وانما كان يقول الشاعر من هذا الفن البيت والبيتين في القصيدة وربما قرات من شعر احدهم قصائد من غير ان يوجد فيها بيت بديع (٨) ، وكان يستحسن ذلك منهم اذا اتى نادرا ، ويزداد حظوة بين الكلام المرسل . (٩)

....

هكذا جمع هؤلاء النقاد ما عرفوه من الارآء الادبية وشرحوها وصنفوها وفصلوا القول فيها وجعلوا النقد فنا مستقلا يعتمد الذوق السليم والفكر المنطقي . وسنرى ان مشاكل هؤلاء النقاد الادبية كانت المنهل الذى يصدر عنه الادباء في القرن الرابع ويعتمدون عليه في بحوثهم عن حقيقة الادب ومقاييسه وفنونه .

....

اهـ . .....

---

(١) ص ٥٤ (٢) ص ٥٥ ، (٣) ٥٨ ، (٤) ٥٩ (٥) ٦٠ (٦) ٦٢ ، (٧) كتاب البديع : ١

(٨) الاصل : بيتٌ بديعٌ ، على ان سياق المعنى لا يلائم هذا الاعراب (٩) ص ١ .

الباب الثالث

مناهج النقاد في القرن الرابع

اساليب النقد

الكتب الادبية التي وصلت الينا من القرن الرابع الهجري ليست في مقام واحد من الاهمية في موضوع النقد ، من هذه الكتب ما يغلب عليه الطابع الانشائي ، ويتجه الى المواضيع النفسية والوصفية : كرسائل الخوارزمي ومنشآته ورسائل المعري والصابي° والخوارزمي وبديع الزمان الهمزاني ، وهي مع ذلك لا تخلو من شذرات نقدية في مقدماتها او اثناء موضوعاتها العامة يعرض فيها الكاتب باختصار رايا من ارائه في الادب ، او يصف فيها رسالة وردت اليه من صديق او يثني فيها على اديب من ادباء عصره ... ومن هذه الكتب ما تغلب عليه صفة الجميع لطرائف الاشعار والخطب وآثار البلغاء فلا يكون للمؤلف من النقد غير اختيارها وتقديمها على انها من غرر الكلام وملحه ، وسائر الامثال [1] ، او على ان القول الفلاني امير اقوال الشاعر الفلاني [2] ، او على انها احسن ما قيل في احد الاغراض [3] ، مثل كتاب المؤتلف والمختلف للآمدي وكتاب معجم الشعراء للمرزباني ، وكتاب الاعجاز والايجاز وكتاب النهاية في التعريض والكناية وكتاب نظم النثر وحل العقد للثعالبي ، وهناك كتب اخرى تكثر فيها المبادئ النقديه وان لم يكن اساسها النقد كالاغاني للاصفهاني ، والعقد لابن عبد ربه ، ويتيمة الدهر للثعالبي ، هذه الكتب اشبه بتواريخ ادب عامة كما يمكن ان يكون هذه النوع من التاريخ في ذلك العهد ، يعرض فيها المؤلف اخبار الشعراء وطرائف شعرهم ، ويعلق احيانا على بيت الشعر فيذكر مصدره ووجه الاحسان فيه ، او يتناول شاعره الشاعر على العموم فيحللها ويعطي رايه فيها ، وربما وجدنا

---

(١) راجع مثلا الاعجاز والايجاز ١٧٨ (٢) ١٨١-(٣) ١٨٥ و ١٩١ .

في هذه الكتب دراسات نقدية واسعة ، كما فعل الثعالبي في كلامه عن المتنبي [١] والصاحب بن عباد [٢]، وهناك كتب اخرى تتجه اتجاها نقديا خالصا وتدور حول موضوعات خاصة ، من ذلك كتاب الموازنة بين ابي تمام والبحتري للامدى ، وكتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه للجرجاني ، وكتاب اخبار ابي تمام للصولي ، وكتاب اعجاز القرآن للباقلاني ، وكتاب الكشف عن مساوئ المتنبي للصاحب بن عباد ، والرسالة الحاتمية فيما وافق المتنبي في شعره كلام ارسطو في الحكمة لابي علي محمد بن الحسن الحاتمي ، وهناك كتب ادبيه اخرى تعالج النقد بصورة " تقريرية " فهي لا تحوم حول موضوع واحد وتحاول ان "تطبق" عليه نظريات النقد ولكنها " تقرر " القواعد النقدية بصورة عامة ، من هذه الكتب : الصناعتين للعسكري ، ونقد النثر لقدامه بن جعفر ، ونقد الشعر المنسوب لقدامه ، واغلب الاراء الادبية التي وصلتنا من هذا العصر تحوم حول الشعر والشعراء ، هناك ابحاث قيمة عن النثر في مثل كتابي الصناعتين واعجاز القران ولكن الاتجاه الغالب حتى في كتاب الصناعتين ، كان الى الشعر والشعراء . لم نجد في نقاد القرن الرابع من يعير الصاحب بن عباد وابا الفضل بن العميد والخوارزمي والهمذاني وغيرهم من افذاذ الناثرين كبير اهتمام ، كما اهتموا با لبحترى وابي تمام والمتنبي وغيرهم من كبار الشعراء ، ولم يكن بين النقاد من يستقصي طرق هؤلاء الناثرين ويوازن بينهم ، كما يقول الدكتور زكي مبارك ، كما كانوا يوازنون بين البحترى وابي تمام [٣] ، وكما يقارنون معاني الشعراء واساليبهم والفاظهم ويردون بعضها الى بعض . ونريد ان نستعرض هنا مناهج مشاهير نقاد هذا العصر في تاليفهم ، فنبين اسلوبهم في التاليف ، ودرجة نزاهتهم في الحكم ، وعدتهم العلمية في النقد والمهمة الادبية التي كانوا يرمون اليها .

فنلاحظ اولا ان اسلوب الموازنة في النقد كان من اهم الاساليب التي يعتمدها

---

(١) يتيمة الدهر ١: ٧٨-١٦٢ (٢) يتيمة الدهر ٢: ٣١ -١١٢ (٣) النثر الفني ٢ ج ١: ص ١٧-١٨ .

الادباء في الحكم على الاثار الادبية التي بين ايديهم . فالامدى في كتابه الموازنة بعد ان يسرد احتجاج الفريقين من انصار ابي تمام والبحتري بشكل المناظرة[١] ، ياخذ في تعيين طريقته في المفاضلة بين الشاعرين فيقول :

" وانا ابتدئ بذكر مساوئ هذين الشاعرين لاختم بذكر محاسنهما ، واذكر طرفا من سرقات ابي تمام واحالاته وغلطه وساقط شعره ، ومساوى البحتري في اخذما اخذه من معاني ابي تمام وغير ذلك من غلط في بعض معانيه ، ثم اوازن من شعريهما بين قصيدتين اذا اتفقتا في الوزن والقافيه واعراب القافيه ، ثم بين معنى ومعنى ، فان محاسنهما تظهر في تضاعيف ذلك وتتكشف . ثم اذكر ما انفرد به كل واحد منهما نحول من معنى سلكه ولم يسلكه صاحبه ، وافرد بابا لما وقع في شعريهما من التشبيه وبابا للامثال اختم به الرسالة ".[٢]

ولما جاء الامدى الى اختيار قصيدتين لكل شاعر ليقارن بينهما يتبين له "ان اتفاق قصيدتين في الوزن والقافيه واعراب القافيه لايكاد يحصل مع اتفاق المعاني التي اليها المقصد وهي المرمى والغرض" فاكتفى بمقارنة المعاني وصرف النظر عن الشروط الاخرى ولكنه اختار لهذه المقارنة : افتتاحيات هؤلاء الشعراء "التي تدور على ذكر الديار والاثار ووصيف الدمن والاطلال والسلام عليها وتعفيه الدهور والرياح والامطار اياها ، والدعاء بالسقيا لها والبكاء فيها وذكر استعجامها عن جواب سائلها ، وما يخلف قطينها الذين كانوا حلولا بها من الوحش ، وفي تعنيف الاصحاب ولومهم على الوقوف بها ونحو هذا مما يتصل به من اوصافها ونعوتها [٣]" مما يعود الى معاني القدماء ولافضل فيه للشاعرين الا في اتقان التقليد ، وهو امر لاصلة كبيرة له بشاعرية الشاعرين وتفوقهما ، على اننا اذا تجاوزنا للامدى عن هذه القضية ، نجده قد وفق في سائر الكتاب توفيقا حسنا ، وفي هذه المقارنة الاخيرة نفسها نجد تفوق الامدى وبراعته في الموازنه ، لولا ان الاختيار لم يكن صالحا من اساسه .

---

(١) الموازنه من ص٣ـ٢٧ (٢) نفس المصدر ص٢٧ـ٢٨ (٣) الموازنه : ٤١٢ .

وكذلك الباقلاني ، بعد ان يدرس وجوه الاعجاز في القران ، يعمد الى طريقة المقارنة ، فهو يقارن بين القران وبين الحديث النبوى [(١)]، وكلام الصحابة [(٢)]، وقصائد اكابر الشعراء [(٣)] ، ونثر امام المترسلين الجاحظ ، [(٤)] وهذه هي الطريقة التي يصل بها الى بيان وجوه الاعجاز التي استنتجها للقران . وكذلك الحاتمي في رسالته التي يقارن بها حكم المتنبي وحكم ارسطو ، والصولي في كتابه اخبار ابي تمام ، والجرجاني في الوساطة[(٧)] فهم كثيرا ما يلجئون الى المقارنات في نقدهم .

ونلاحظ ثانيا طريقة الثعالبي والاصفهاني في بعض مقدماتهما عن الشعراء ، تلك المقدمات الاجمالية الموجزة التي يصح لنا ان نطلق عليها اسم "العرض الادبي" . فاما الثعالبي فتغلب عليه طريقة (التقريظ) التي يكثر فيها الثناء والاعجاب بالمترجم ، ولكنها لا تخلو في احيان كثيرة من تحديد حسن لاهم ميزات الشاعر الخصوصية ، يوردها الثعالبي بأسلوبه الانشائي الخلاب : فمن ذلك مقدمته عن ابي فراس الحمداني :

" كان فرد دهره ، وشمس عصره ادبا وفضلا وكرما ونبلا ومجدا وبلاغة ، وبراعة وفروسية وشجاعة ، وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة والسهولة والجزالة والعذوبة والفخامة والحلاوة والمتانة ، ومعه رواء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك ، ولم تجتمع هذه الخلال قبله الا في شعر عبد الله بن المعتز . وابو فراس يعد اشعر منه عند اهل الصنعة ونقدة الكلام ، وكان الصاحب يقول : بدئ الشعر بملك وختم بملك يعني امرأ القيس وابا فراس[(٥)] " .

ومن ذلك ترجمته لابن بناتة السعدى : " من فحول شعراء العصر وآحادهم وصدور مجيديهم وافرادهم ، الذين اخذوا برقاب القوافي وملكوا رق المعاني ، وشعره مع قرب لفظه بعيد المرام ، مستمر النظام ، يشتمل على غرر من حر الكلام كقطع الروض غب القطر ، وفقر كالغنى بعد الفقر وبدائع احسن من مطالع الانوار وعهد الشباب ...... [(٦)]" .

---

١) اعجاز القران : ٦٢-٦٤ (٢) ص٦٥-٦٩ (٣) ٧٥-٨٥ ثم ١٠٢ و١١٢ (٤) ص١١٥ (٥) يتيمة الدهر ١ : ٢٢ (٦) يتيمة الدهر ٢ : ١٤٣ (٧) الجرجاني يقارن شعر المتنبي بشعر ابي نواس وابي تمام وابن المعذل وبالشعراء الجاهليين .

وقد امتاز الاصفهاني ببراعته في تقديم بعض الشعراء بعروض على ايجازها ، دقيقة شاملة لاهم ميزات الشاعر الفنية والشخصية ومجانبتها للاوصاف العامة التي تصدق على كل شاعر، فمن ذلك ما قدم به اخبار ابي تمام : فقال :

" ابو تمام . حبيب بن اوس الطائي ... مولده ومنشوءه بناحية منبج بقرية يقال لها جاسم ، شاعر مطبوع لطيف الفطنه دقيق المعاني ، غواص على ما يستصعب منها ويعسر متناوله على غيره ، وله مذهب في المطابق هو كالسابق اليه جميع الشعراء وان كانوا قد فتحوه قبله وقالوا القليل منه ، فان له فضل الاكثار فيه والسلوك في جميع طرقه ، والسليم من شعره النادر شيء لايتعلق به احد ، وله اشياء متوسطة ورديئة رذلة جدا ، وفي عصرنا هذا من يتعصب له فيفرط حتى يفضله على كل سالف وخالف ، واقوام يتعمدون الردىء من شعره فينشرونه ويطوون محاسنه ويستعملون القحّة والمكابرة في ذلك ليقول الجاهل بهم انهم لم يبلغوا علم هذا وتمييزه الا بادب فاضل وعلم ثاقب ، وهذا مما يتكسب به كثير من اهل هذا الدهر ويجعلونه وما جرى مجراه من ثلب الناس وطلب معايبهم سببا للترفع وطلبا للرياسة (١)".

ومن ذلك ما قدم به ابا العتاهية :

" ابو العتاهيه لقب غلب عليه ، واسمه اسماعيل بن القاسم بن سويد .... ومنشوءه بالكوفة ، وكان في اول امره يتخنث ويحمل زاملة المخنثين ، ثم كان يبيع الفخار بالكوفة ، ثم قال الشعر فبرع فيه وتقدم . ويقال : اطبع الناس بشار والسيد (٢) وابو العتاهيه . وما قدر احد على جمع شعر هوءلاء الثلاثة لكثرته . وكان غزير البحر ، لطيف المعاني ، سهل الالفاظ ، كثير الافتنان قليل التكلف ، الا انه كثير الساقط المرذول مع ذلك ، واكثر شعره في الزهد والامثال ، وكان قوم من اهل عصره ينسبونه الى القول بمذهب الفلاسفة ممن لا يوءمن بالبعث ويحتجون بان شعره انما

---

(١) الاغاني ١٥ : ١٠٠

(٢) يعني السيد الحميري .

هو في ذكر الموت والفناء دون ذكر النشور والمعاد . وله اوزان طريفة لها مما لم يتقدمه الاوائل فيها ، وكان ابخل الناس مع يساره وكثرة ما جمعه من الاموال .(١)

ومن ذلك ما ذكره عن شعر ابن المعتز :

" وممن صنع من اولاد الخلفاء فاجاد واحسن وبرع وتقدم جميع اهل عصره فضلا وشرفا وادبا وشعرا وتصرفا في سائر الاداب : ابو العباس عبد الله بن المعتز بالله ، وامره مع قرب عهده ، بعصرنا هذا مشهور في فضائله وادابه شهرة يشرك في اكثر فضائله الخاص والعام وشعره وان كان فيه رقة الملوكية وغزل الظرفاء وهلهلة المحدثين ، فان فيه اشياء كثيرة تجري في اسلوب المجيدين ، ولا تقصر عن مدى السابقين ، واشياء ظريفة من اشعار الملوك في جنس ماهم بسبيله وليس عليه ان يتشبه فيها بفحول الجاهلية .... (٢)"

<u>التحقيق في نسبة كتابي نقد الشعر ونقد النثر الى قدامة بن جعفر الكاتب :</u>

اما الطريقة التي نهج عليها صاحب نقد الشعر ، فيمكن اعتبارها نموذجا كاملا للطريقة العلمية في التبويب والتقسيم . والسبب في ذلك عند الدكتور طه حسين بك يرجع الى شيوع الفلسفة وعلم الكلام في الاوساط العلمية عند العرب . بعد تاثرهم بالهيلينية عن طريق الفلسفة والعلوم (٣) . يمكن اعتبار هذا الكتاب سلسلة متماسكة الحلقات ، متصلة الاجزاء ، يستدعي بعضها بعضا ويتممه ، بحيث اننا لوحذفنا بحثا واحدا من ابحاث الكتاب لانقطعت سلسلته المحكمة وبان فيها الاخلال :

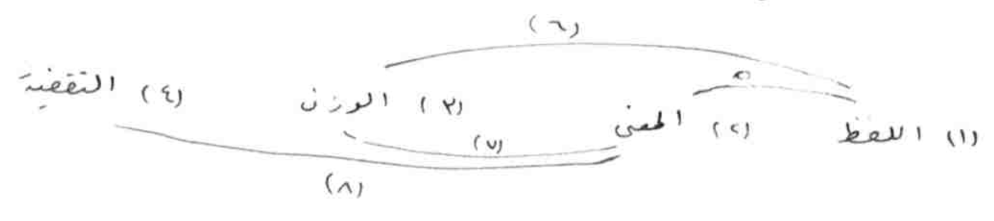
يعرف المؤلف الشعر ويحاول ان يحدده ، تحديدا علميا فيقول : الشعر قول موزون مقفى يدل على معنى . فقولنا قول دال على اصل الكلام الذى هو بمنزلة الجنس للشعر وقولنا موزون يفصله مما ليس بموزون اذ كان من القول موزون وغير موزون . وقولنا مقفى فصل

---

(١) الاغاني ٤ : ٢ (٢) الاغاني ٩ : ١٤٠ (٣) مقدمة نقد النثر المنسوب لقدامة بن جعفر

بين ماله من الكلام الموزون قواف وبين مالا قوافي له ولا مقاطع ، وقولنا يدل على معنى يفصل ما جرى من القول على قافية وزن مع دلالة على معنى مما جرى على ذلك من غير دلالة على معنى ... (١)

فعناصر الشعر اذا اربعة ، كما قسمها من قبل ابن قتيبة في مقدمة كتابه الشعر والشعراء : اللفظ والمعنى والوزن والتقفية ، تلك هي العناصر الاساسية البسيطة (٢) ، وهناك عناصر فرعية اربعة اخرى ، تنشاء من ائتلاف اللفظ مع المعنى ، واللفظ مع الوزن ، والمعنى مع الوزن ، والمعنى مع التقفية :



واذ ان الشاعر قد يجيد في بعض هذه العناصر وقد يقصر في بعضها ، فينشاء عندنا مدرج متقن لجودة الشعر : اعلى درجاته : ان يوفق الشاعر في العناصر الثمانية ، واحط دركاته ان يقصر في هذه العناصر كلها ، وبين هاتين النهايتين درجات كثيرة يسميها المؤلف بالوسائط ، وهي بين المدح والذم ، تشتمل على صفات محمودة واخرى مذمومة ، فما كان فيه من النعوت اكثر كان الى الجودة اميل ، وما كان فيه من العيوب اكثر كان الى الرداءة اقرب وما تكافات فيه النعوت والعيوب كان وسطا بين المدح والذم " وتنزيل ذلك اذا حضرنا في الطرفين من النعوت والعيوب لايعد على من اعمل الفكر واحسن سبر الشعر (٣)

ونعيد هنا ما قلناه في كلامنا عن ابن قتيبه ، من ان المؤلف يرمي بهذه التقاسيم الى بيان العناصر التي تحتمل الحسن والقبح ، لا الى بيان اسباب الحسن والقبح . فغايته

---

(١) نقد الشعر : ١٢ (٢) نقد الشعر ١٧ (٣) وردت سبر ، وترجح عن : سبر

هنا ان يقود احكامنا النقدية عن الادب ويجعلها في مراحل ، فتسير من اللفظ الى المعنى ومن المعنى الى الوزن .... وهي بعد لاغنى لها في سيرها هذا عن الفكر الثاقب والذوق المهذب لتقدير كل عنصر من عناصر الشعر ، وبالتالي : لتقدير الشعر على العموم وعندما يسير الناقد على هذه الطريقة يسهل عليه الحكم "اذا اعمل الفكر واحسن سبر الشعر"

وكما يشتق المؤلف اقسام الشعر بعضها من بعض ، نراه يشتق ابواب الشعر بعضها من بعض كذلك . فابواب الشعر هي : المديح والهجاء والنسيب والمراثي والوصف والتشبيه[1] فالهجاء ضد المديح [2] ، والرثاء : مديح في صيغة الماضي قد اضيف اليه الحزن والتفجع[3]

ولا ينتهي التحديد الى هذه الغاية ، بل يتعداها الى الدقائق والتفاصيل ، فللمدح حدود ، والفضائل التي يجب ان يمدح الرجل بها اربعة : العقل ، والشجاعة ، والعدل ، والعفة [4]، وهي الفضائل الاساسية ، وهناك فضائل فرعية تنتج عن امتزاج هذه الفضائل الواحدة بالاخرى . فاما ما يحدث عن تركيب العقل مع الشجاعة فالصبر على الملمات ونوازل الخطوب والوفاء بالايعاد ، ومن تركيب العقل مع السخاء فانجاز الوعد وما اشبه ذلك ومن تركيب العقل والعفة فالرغبة عن المسالة والاقتصار على ادنى معيشة وما اشبه ذلك ، ومن تركيب الشجاعة مع السخاء : الاتلاف ....[5] ولهذه التقاسيم وفروعها محاسن ومساوئ ، والكلام عن هذه المحاسن والمساوئ والتمثيل عليها هو جسم هذا الهيكل وقوام الكتاب .

ففي كلامه عن المحاسن يذكر انواع البديع التي عرفها ، ولكنه لايسميها بالبديع ، بل يكتفي بسرد ما يتصل بسلسلته منها : كالتوشيح والايغال والتمثيل والارداف وصحة التقسيم وصحة المقابلة وصحة التفسير ويقرن المؤلف ذلك الى بعض البحوث والمقدمات الادبية القيمة فيتكلم عن اهمية النقد الادبي ، وعن الغلو ، والتناقض ، ونعوت الوصف ، والتشبيه ، وسائر

---

(١) نقد الشعر ٣٥ (٢) ص ٥٥ (٣) ص ٥٩ (٤) ص ٣٩ (٥) ص: ٤٠-٤١

الابواب الشعرية .

هذه هي طريقة المؤلف في "نقد الشعر" ، وهي كما نرى طريقة فذة نادرة ، ولذلك عرضنا لها هنا كمثال لادق ما وصل اليه الفكر العلمي في الادب ، وننبه هنا الى ان هذه التقاسيم الكثيرة لا تطغى على الذوق الادبي في الكتاب ، بل انها تسير جنبا الى جنب معه ، وتنير للقارئ طريق المعرفة الادبية والتذوق الفني .

. . . .

لننتقل الان الى كتاب اخر ينسب لقدامة بن جعفر ، ولكنه يختلف عنه اختلافا شديدا في الطريقة والاتجاه والموضوع ، وهو كتاب : "نقد النثر" المعروف "بكتاب" البيان " [1] اختلاف يثير الشكوك عن الكتابين معا من حيث نسبتهما الى قدامة ، واما كتاب نقد النثر فقد سبق ان شك فيه الدكتور طه حسين كما سنرى . واما كتاب نقد الشعر فان النقاد اليوم مجمعون على انه لقدامة بن جعفر . على اننا نريد ان نصرف النظر عن راى هؤلاء وهؤلاء ونحقق بنفسنا في الوصول الى مؤلف كل من الكتابين . لنبين اولا نواحي الاختلاف بين هذين الكتابين : نجد ان هناك وجوها عدة ، نذكر منها اولا :

(١) طريقة التقسيم والتبويب : وقد سبق ان شرحنا طريقة المؤلف في " نقد الشعر وقلنا انه يمكن اعتبارها مثالا حيا للطريقة العلمية الناضجة في دقة التقسيم والتبويب ، وبينا ارتباط حلقات الكتاب بعضها ببعض وتولدها بعضها من بعض بشكل محكم لا نستطيع معه ان نحذف بحثا واحدا من الكتاب بدون ان نعرضه الى الاخلال .

فاذا جئنا الى كتاب "نقد النثر" راينا اضطرابا شديدا في تسلسل البحث ، ومواضيع متنافرة لا يتصل احدها بالاخر الا باوهى الصلات . فبينما يتكلم المؤلف عن : قسمة العقل ،

---

(١) راجع مقدمة نقد النثر : ٤٣

اذ انه ينتقل الى ذكر وجوه البيان ، فالى الاعتبار ، فالى القياس ، فالى الاعتقاد ، فالى الاشتقاق ، فالى ابحاث صرفية خالصة فيما اعتلت فاؤه ، وفيما اعتلت عينه ، وفيما اعتلت لامه ، فالى التشبيه والرمز والاستعارة وضروب البيان ، فالى الكلام عن الشعر وضروبه من رجز وقصيد ، ومسمط .... فالى الكلام عن المنثور من رسائل وخطب فالى ابحاث اخرى : فى اختيار الرسول والجدل والمجادلة وادب الجدل والحديث .

وقد حاول المؤلف ان يكون فى ابحاثه عن العقل والبيان بعض الصلة ، ولكنه لم يحاول بعد ذلك ان يلتمس اية رابطة بين اجزاء الكتاب .

ونحن نعتقد ان لهذا الاختلاف الشديد بين الكتابين فى المنهج اهمية كبيرة فى الدلالة على اختلاف صاحبيهما .

(٢) الوجه الثاني من الاختلاف بين الكتابين يرجع :

الى تفاوتهما فى المقدرة على النقد الادبي : ويضيق بنا المجال لاستعراض الاراء الادبية فى كل من هذين الكتابين بالتفصيل ، ولكننا ننبه الى الاراء القيمة التى ادلى بها صاحب نقد الشعر عن اهمية النقد الادبي بالنسبة الى انواع النقد الاخرى (١)، وعن التنافر (٢) ، وعن الصناعة البديعية ووجوب الاعتدال فيها (٣)، وعن محاسن الوصف (٤) والتشبيه (٥) والمديح (٦) والهجاء (٧) .... وخصوصا عن المبالغات الشعرية وترجيح مذهب الغلو فى الشعر على مذهب الاعتدال (٨)

فاما الاراء الادبية فى " نقد النثر " فتتجه وجهتين ، والوجهتان لا تظهران تفوقا ذا بال فى فنون النقد الادبي :

فالوجهة الاولى : تظهر فى بحثه عن العقل واصناف البيان الاربعة : بيان الاشياء

---

(١) نقد الشعر ١٢ (٢) ص ١٤ (١٣) ص ٢٨ (٤) ص ٧٠ (٥) ص ٧٣ (٦) ص ٣٨

(٧) ص ٥٥ (٨) ص ١٤ .

بذواتها ،البيان الذى يحصل فى القلب عند اعمال الفكرة واللب ،البيان الذى هو نطق باللسان ،البيان بالكتابة التي تبلغ من بعد اوغاب ، كما تظهر فى كلامه عن القياس والخبر والاعتقاد [١] ،وهي بحوث ادخل فى مشاكل الفقهاء والمتكلمين ومناهجهم منها فى النقد الادبي ! ٠

والوجهة الثانيه : تظهر فى بحوثه عن بعض ابواب البديع ،وفيها نراى المؤلف يكاد لايزيد عن تعريف كل نوع منها والاستشهاد عليه بالقران والشعر ٠

والذى يريد ان يتاكد من تفاوت الكتابين فى قوة النقد ٠ فبمقدوره ان يقارن بين موضوعي "الغلو" فيهما [٢] فسيجد ان صاحب "نقد الشعر" لايكتفي بان يبحث فى المبالغة الشعرية ويعللها ، بل انه يدافع عنها دفاع المالك لها ويفضلها على مذهب الاعتدال ، ويتهم النقاد العرب بمناقضته انفسهم حين يرفضونها [٣] وسيجد ان كتاب نقد النثر يردد بسذاجة بعض ما جاء فى نقد الشعر ، ولكنه لايتحمس لمذهب المبالغة ،ويقول ان المبالغة حسنه والاعتدال حسن ولكل مذهب !

على اننا لانخلي هذا الكتاب من الذوق الادبي الحسن ، ولكننا نكتفي ان ننبه الى ان كتاب نقد الشعر اسبق واقوى فى هذا الميدان وان الكتاب الاخر ،على تاثره بالاول يجئ وراءه بمراحل واسعة ٠

وقد انخدع بعض الكتاب باسم قدامه ،فراح يزعم ان هذا الكتاب" تشريع جديد فى الادب العربي ، ومحاولة جريئة جدا واسعة النطاق جدا مبتكرة جدا " [٤]

والحقيقة ان كتاب نقد النثر ابسط من ذلك بكثير ، ولئن ردد المؤلف فيه اسمي ارسطو وجالينوس فما ذلك بالدليل على ان صاحبه هو صاحب "نقد الشعر" وهو من هو فى نقاد الادب ٠

---

(١) راجع المقدمة الدكتور طه حسين : ٢٠ــ٢١ (٢) نقد الشعر ص ١٤ ونقد النثر ص ٦١

(٣) نقد الشعر ٣٥ــ٣٨ (٤) مقدمة نقد النثر للدكتور طه حسين بك ٠

٣) الوجه الثالث من وجوه الاختلاف بين الكتابين يرجع الى :

التفاوت الشديد بين الكتابين من الوجهة الدينية :

فالذى يقرأ كتاب "نقد الشعر" من اوله الى اخره لايمر بفكرة دينية ولا باية

قرانيه . ولا بحديث نبوى ، ولايظهر له اثر العقيدة الاسلامية الا فى موضعين :

١ـ الموضع الاول فى اول صفحة من الكتاب : حيث تقرأ ما يلي :

"بسم الله الرحمن الرحيم"

رب يسّر ولا تعسّر

قال ابو الفرج قدامة بن جعفر : العلم بالشعر ينقسم اقساما ، فقسم ينسب الى علم عروضه ووزنه وقسم ينسب الى علم قوافيه ومقاطعه ..."

ونحن نرجح ان البسملة وما يليها من الدعاء هو من وضع النساخ او الناشرين ، بدليل عدم وجودهما فى صلب المقدمة المذكورة .

٢ـ والموضع الثاني فى الصفحة التاسعة والعشرين حيث يقول :

" .... فانه لاكلام احسن من كلام رسول [١] عليه وآله وسلم . وقد كان يتوخى فيه مثل ذلك ، فمنه ماروى عنه عليه السلام من انه عوذ الحسن والحسين عليهما السلام فقال : اعيذهما من السامة والهامة وكل عين لامة . وانما اراد ملمة : فلاتباع الكلمة اخواتها فى الوزن قال : لامة . وكذلك ما جاء عنه صلى الله عليه واله انه قال : خير المال سكة مابوره ومهرة مامورة [٢] .... .

نعم انه يذكر عمر بن الخطاب فى الصفحات : ٣٨ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ولكنه لايذكره بالتبجيل ولايقول : رضى الله عنه ، على نحو ما يفعل علماء المسلمين عند ذكرالصحابة

---

(١) هكذا جاءت ناقصة عن شكلها المعروف : رسول الله صلى الله عليه واله وسلم

(٢) نقد الشعر ٢٩ .

لنرجع الان الى كتاب : نقد النثر ، فنجد النزعة الدينية غالبة على الكتاب في التفكير والاستشهادات واذا حاولنا ان نعدد الايات والاحاديث الشريفة والترحمات والترضيات .... اتعبنا انفسنا اشد اتعاب !

وليس في الاستشهاد حسب ، بل ان تفكير المؤلف من اساسه مشبع بالديـن انظر كيف يبرهن المؤلف افضلية الاقتصاد في الكلام على الاكثار منه ، بقولـه :

" فقد ذم الله الكثرة ، ومدح القلة ، فقال : "الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم " وقال : " وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ".(٢)

اننا نوافق راى المؤلف في الندب الى الاعتدال في القول ، ولكن اى مناسبة بين قلة الكلام وقلة المؤمنين ، او بين كثرة الكلام وكثرة الكافرين ؟! ...

ومثل هذا قولـه :

" ولو كان لزوم السجع في القول والاغراب فيه وفي اللفظ هما البلاغة لكان الله عز وجل اولى باستعمالهما في كلامه الذى هو افضل الكلام ، ولكان النبي صلى الله عليه وسلم والائمة المهديون قد استعملوهما ولزموا سبيلهما وسلكوا طريقهما . فاما ولسنا واجدين فيما في ايدينا من كلامهم استعمال السجع والغريب الا في المواضع اليسيرة ، فهم اولى بان يقتدى بهم ويحتذى بمناهجهم ممن قد ثبت في هذا الوقت من هؤلاء الذين ليس معهم من البلاغة الا ادعاؤها ، ولا من الخطابة الا التحلي باسمها ".(١)

فهل رايت الحجة المقنعة في وجوب الاقلال من التسجيع والاغراب ! وهب ان خطيبا التزم السجع من سلام خطبته الى ختامها ، واحتذى باحدى السور القرانية المسجعـه فماذا يكون برهان المؤلف عند ذلك يا ترى ؟! ...

ومثل هذا كثير ، والمؤلف بعد لا يقتصر على اظهار شخصيته الدينية ، بل نراه

---

(١) نقد النثر : ٩٥ (٢) نقد النثر ص ١١١

كثيرا ما يظهر تشيعه كما لاحظ الدكتور طه حسين في المقدمة . قال :

"وعنوان هذه الرسالة : نقد النثر ، وهي تنسب الى قدامة بن جعفر الذى سبق سبق الكلام عليه . ولكن المطلع عليها يرى انها لايمكن ان تكون له ، بل هى فى الغالب لكاتب شيعي ظاهر التشيع " (*)

(٤) الوجه الرابع من وجوه الاختلاف بين الكتابين هو :

ا- فى تقسيمها للابواب الشعرية : فالاعلام من اغراض الشعراء عند صاحب نقد الشعر هى :

المديح ، والهجاء ، والنسيب ، والمراثي ، والوصف ، والتشبيه (١)

على حين انها عند صاحب نقد النثر : المديح ، والهجاء ، والحكمة واللهو (٢)

ب- فى قضية الحذف ، اوكما يسميها صاحب نقد الشعر : الاخلال ، وهو ان يترك الشاعر من اللفظ ما به يتم المعنى ، اذا كان المخاطب عالما بالمراد ، وهو خلاف صريح فاما صاحب نقد الشعر فيعيبه ، واما صاحب نقد النثر فيمدحه متاثرا بالروح الدينية لان فى القران كثيرا من الحذف وسيمر معنا فى بحثنا عن الصناعة اللفظية "باب جمال الالفاظ " فنكتفى ان نحيل القارى اليه والى هذا البحث فى الكتابين (٣)

<u>النتيجة الاولى :</u>

فا لخلاف بين الكتابين ظاهر قوى ، وهو يدعونا ان <u>نشك</u> كثيرا فى انهما لمؤلف واحد ، <u>قدامة كان اوغيره .</u>

ونحن هنا امام امور :

(١) فاما ان يكون " نقد الشعر " من تاليف قدامة ويكون "نقد النثر " من تاليف غيره ، وهو راى الدكتور طه حسين .

(٢) واما ان يكون كتاب " نقد النثر " من تاليف قدامة ، ويكون " نقد الشعر " لغيره

---

(١) نقد الشعر : ٣٥ (٢) نقد النثر : ٧٠ (٣) نقد الشعر : ١٢٧ نقد النثر : ٥٩-٦٠

(*) مقدمة نقد النثر ٣٠

وهو ما ترجمه نحن ·

(٣) واما ان يكون " نقد الشعر ونقد النثر " معا لقدامة بن جعفر ، وهو راى الاستاذ عبد الحميد العبادى ·

(٤) واما ان يكون الكتابان لغير قدامة · ولم يذهب هذا المذهب احد ·

=:=:=:=

(١) راى الدكتور طه حسين : نقد الشعر لقدامة ونقد النثر لغيره نلخص كلام الدكتور بما يلي :

" كان أول ما ظهر من تشريح الفلسفة للادب كتابا فى الشعر لقدامة بن جعفر اسمه : نقد الشعر [١] ···· ثم يحاول الفكر اليوناني مرة اخرى ان يشرع للادب العربي ومحاولته هذه ···· تتمثل فى رسالة محفوظة بمكتبته الاسكوريال تحت رقم ٢٤٢ ···· عنوان هذه الرسالة : نقد النثر وهى تنسب الى قدامة بن جعفر الذى سبق الكلام عليه ولكن المطلع عليها يرى انها لايمكن ان تكون له ، بل هى فى الغالب لكاتب شيعي ظاهر التشيع ، قد صنف كتبا عدة فى الفقه وعلوم الدين يشير اليها ويحيل عليها فى شئ من الطمانينة والارتياح ، ويرى بروكلمان ان واضع هذه الرسالة تلميذ لقدامة اسمه ابو عبد الله محمد بن ايوب [٢] "

مناقشه راى الدكتور طه :

نستخلص من كلام الدكتور ما يلي :

١ــ انه يماشي النظريه السائده فى ان "نقد الشعر" من تاليف قدامة ويستند اليها فى كلامه ، من دون ان يناقشها ·

---

(١) مقدمة كتاب نقد النثر : ١٢ (٢) يحيلنا الدكتور الى : دائرة المعارف الاسلامية مادة : قدامة ــ راجع كلام الدكتور : ص : ٢٠

٢ـ انه ينفى ان يكون نقد النثر لقدامة لان :

اـ صاحب نقد النثر فقيه شيعي يختلف في روحه عن قدامة صاحب نقد الشعر .

ب : لان بروكلمان ينسب الرسالة المذكورة الى تلميذ لقدامة اسمه : ابو عبد الله محمد بن ايوب .

لم يعد يصعب علينا ان نبين نقطة الضعف في كلام الدكتور طه . وهي تتلخص في هذا السوال : لماذا يمتنع ان يكون قدامة هو ذلك الفقيه الشيعي بعينه ، ويكون كتاب نقد الشعر هو الكتاب الذي يجب ان نشك في نسبته الى قدامة ، لا كتاب نقد النثر ؟ الم يسلم قدامة في اواخر القرن الثالث [1] في راى الدكتور طه ، اى قبل ٣٧ سنه من وفاته على الاقل بل كان ذلك في الحداثة على راى الاستاذ العبادى [2] ؟ الم يكن ابوه ، وهو مسيحي لم يبلغنا عن احد انه اعتنق الاسلام ، قد تضلع من الثقافة الاسلامية على عادة على عادة كثير من ذميى الدولة لذلك العهد [3] فما يمنع ان يكون قدامة قد تبع اباه في هذه الثقافة الاسلامية التي كان يعنى باتقانها كل رجل طمح الى المناصب العليا بعامة والى مناصب الكتابة بخاصته [4] ؟

---

(١) هكذا يقول الدكتور طه في نقد النثر : ص: ١٧ (٢) مقدمة العبادى لنقد النثر : ص ٣٤ . (٣) مقدمة العبادى لنقد النثر : ٣٢ نقلا عن Journal Asiatique 1862, 5, 155... (٢) ذكر ياقوت في الجزء السادس من معجم الادباء : ٢٠٤ : ان قدامة بن جعفر كان كاتبا لبني بويه ، وذلك نقلا عن " بعض متعاطي الادب " ويرى العبادى وهو على حق " ان قدامة ما زال يتقلب في الاعمال الديوانيه حتى صارت اليه رياسة الكتاب مقدمة نقد النثر : ٣٤ . ( ) The Encyclopaedia of Islam: Kudama

ولنورد كلام بروكلمان الذى يذكر الدكتور طه انه ينســـب " نقد النثر " الى

عبدالله محمد بن ايوب فماذا قال بروكلمن ؟ انه يقول في كلامه عن قدامة Kudāma :

" He devoted his leisure to belles-letters and produced a work on style and rhetoric, Kitab Nak l al-Nathr al-ma'rūf bi-Kitāb al - Bayān, edieted by his pupil Abu 'Abdallah Muhammad b. Aiyub.[1]

وليس في كلام بروكلمان كما نرى سوى ان ابن ايوب كان نقل الكتاب عن قدامة،

مع اعتراف بروكلمان ان المؤلف هو قدامه نفسه لا تلميذه .

النتيجـــة الثانية :- وهكذا نصل الى ان الدكتور طه وفق غاية التوفيق حين نفى ان يكون الكتابان

معا لقدامة .

ولكنه تسرع حين نسب " نقد النثر " لتلميذ قدامة ، واعلن انه لا يمكن ان

يكون لقدامة نفسه . مع اننا نميل الى تاييد الاستاذ العبادى في ترجيح هذا الكتاب له .

ونرى ان الكتاب الذى يبعد ان يؤلفه قدامة هو " نقد الشعر " لا نقد النثر .

تابع الحاشية الاخيرة من الصفحة السابقة

(١) قلنا ان قدامة قد اسلم على يد الخليفة المكتفي ، وقلنا ان اثر التشيع ظاهر في كتابه : نقد النثر ، ونبنبه هنا الى ان هذا لا ينافر ذلك بالرغم من ان الخلفاء العباسيين لم يكونوا على العموم ميالين الى الشيعة . فان نفوذ الخليفة ونزعاته لم تكن وحدها في الميدان السياسي ، فقد كان هناك البويهيون انصار الشيعة كما ذكرنا وكانت السلطة الحقيقية بيدهم ، وميلهم هذا يفسر لنا السبب في تشيع قدامة وفي تشيع الاصفهاني مؤلف الاغاني " راجع الاغاني ١ : المقدمة : ٢٢ " مع انه ينسب الى خلفاء بني اميه " الاغاني ١ : المقدمة : ١٥ " وفي تشيع الصاحب بن عباد وزير فخر الدولة البويهي " الامامة " في ذكر فضائل علي بن ابي طالب واثبات امامته " ابن خلكان ج ١ : ص ١٠٦ " ومثل الاصفهاني : ابن عبد ربه صاحب العقد فهو رجل من موالي بني امية كان يميل الى آل البيت ويتشيع لهم " ابن عبد ربه وعقده للاستاذ جبور ٦١ " بل ان من خلفاء هذا العصر من كان ظاهر التشييع لاهل البيت كالمأمون والمعتقد والمنتصر " راجع كتاب العقد لابن عبد ربه ج ١ : ٤٢ - ٤٦ " و " ابن الرومي ٢٠٦ للعقاد "

نسارع الآن الى عرض رأينا نحن ، وهو ثاني هذه الآراء ، لئلا يطول المدى بينه وبين ما كنا لاحظناه من وجوه الاختلاف الاربعة بين الكتابين ، لارتباطه بها واعتماده عليها :

لنذكر الآن انا كنا بينا في الوجه الثالث من وجوه الاختلاف بين الكتابين : ان الفكرة الدينية اشد ما تكون ضعفا في "نقد الشعر" على حين انها هي الفكرة الغالبة في "نقد النثر" والموجهة لكثير من مواضيعه وآرائه .

ولنذكر كذلك : ان الدكتور طه حسين والاستاذ العبادى ، يذكران في مقدمتيهما "لنقد النثر" ان كتاب "نقد الشعر" هو لقدامه بن جعفر ، وكان قد سبقهما الى هذا الاعتقاد ابن النديم .[1] وابوعبدالله محمد بن عمران المرزباني .[2] المعاصران لقدامة[3] وكذلك يقول ياقوت[4] في معجم الادباء[5] ، وهو من رجال القرن السابع الهجرى .[4]

غير اننا نخالف هؤلاء النقاد في اعتقادهم هذا ، ونضيف ، بعد ان بينا ان الكتابين يبعدان يكونا لمؤلف واحد وان كتاب نقد النثر يرجح انه لقدامة من دون الكتاب الثاني ، نضيف على ذلك اننا نميل الى الاعتقاد ان كتاب "نقد الشعر" لابيه جعفر ، وذلك لان قدامة نشأ نشأة اسلامية واعتنق الاسلام كما يذكر ابن النديم .[6] منذ صغره على يد الخليفة المكتفي بالله ، على حين ان كتاب نقد الشعر يكاد يخلو من كل نزعة اسلامية ، ويقارب روح جعفر المسيحية ، وهو ترجيح منا لم نبلغ به حد التأكيد ، ولكننا نزكيه بالدلائل التاليـــة :

الدليل الاول : ان المطرزى ، شارح مقامات الحريرى ، والمتوفى ٦١٠ هـ ، يذكر عن كتاب : نقد الشعر : "وقيل هو لوالده ــ اى لوالد قدامة ــ جعفر ".[7]

---

(١) الفهرست : طبعة فلوجل : ١٣٠ (٢) الموشح : ٨١ ، ١٢٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٥ ، ٢٣٢ ، ٢٦٥ ، ٣٢٢ ، ٣٥٤ (٣) Enc. of Islam مادة : ابن النديم والمرزباني وكذلك زيدان ج ٢ من كتاب تاريخ آداب اللغة (٤) توفى ٦٢٦ هـ : عن : Enc. of Islam (٥) ج ٦ ص ٢٠٣ـ٢٠٥ الطبعة الاوربية (٦) الفهرست ١٣٠ (٧) الايضاح : الورقة ٤٠ ، نقلا عن مقدمة العبادى لنقد النثر ص : ٣٢ .ـ

الدليل الثاني : ما ذكره العبادى نقلا عن "فهرس درنبورغ رقم ٢٤٢ ح "١ "قال : "ومما هو جدير بالذكر في هذا المقام ان نسختي "نقد النثر" و "نقد الشعر" الخطيتين المحفوظتين بالاسكوريال ، مجموعتان في مجلد واحد ، وان الاولى دون الثانية، هي التي تحمل اسم قدامة . (١) "

على ان العبادى اكتفى بذكر الخبر ولم يناقشه ولم يعتمد عليه .

الدليل الثالث: تلاؤم كتاب "نقد الشعر" مع مسيحية جعفر ، وتنافره مع اسلامية قدامة ونزعته الدينية كما تبدو في "نقد النثر"

الدليل الرابع: تقدم جعفر بالعلم والادب في عصره ، وكفاءته في التاليف ، مما يجعل ظننا ممكنا :

من هو جعفر : ولكن من هو جعفر بن قدامة والد قدامة بن جعفر ؟ هل هو كما يدعي ابن النديم : ممن لا يفكر فيه ، ولا علم عنده . (٢) ام هو كما يقول الخطيب البغدادى : احد مشايخ الكتاب وعلمائهم ، وافر الادب ، حسن المعرفة ، وله مصنفات في صنعة الكتابة وغيرها ، وحدث عن ابي العيناء الضرير وحماد بن اسحاق الموصلي ومحمد بن مالك الخزاعي ونحوهم .(٣) وروى (٧) عنه ابو الفرج الاصفهاني . (٤)

فاما نحن فنميل الى رواية الخطيب البغدادى ونرجحها ، ولا سيما ان جعفر هذا

---

(١) مقدمة نقد النثر : ٤٣ (٢) الفهرست لابن النديم : ١٣٠ (٣) الواو الاولى زيادة من عندنا

(٤) تاريخ بغداد او مدينة السلام : المجلد ٧ ، ولد الخطيب البغدادى قرب بغداد ٣٩٢ هـ وتوفي فيها ٤٦٣ هـ : عن Enc. of Islam مادة : Khatib Al-Baghdādī بقلم : W. Marçais

الذى ينسب اليه صاحب الفهرست الجهل وخمول الذكر ، هو من مصادر ابي الفرج الاصفهاني في كتابه الاغاني : فهو يروى عن جعفر في اماكن كثيرة : يروى عنه في الجزء الخامس مثلا في الصفحات : ٢٣٩ و ٢٤٢ ، ٢٤٧ ،

ويروى عنه في الجزء التاسع " طبعة بولاق " ص: ١٤٢ ص ١٤٧ ، ص ١٤٤ ، ص ١٤٥ . وفي هذه الاخبار ما يشير بصورة واضحة الى ان جعفر بن قدامه كان من المقربين الى ابن المعتز : يجلس اليه في مجالس الطرب [١] ، ويرافقه في منتزهاته ويسمع شعره [٢] ، وقد يتوسط بينه وبين من يحب فيتلطف في تقريب ما بينهما [٣] ، وفي رواية ابن النديم نفسه ما يستنتج منه مثل ذلك ، حين يذكر ان ابن جعفر ، وهو قدامة ، كان اسلم على يد الخليفة المكتفي ، بل نرى — الاصفهاني ، ينسخ من كتاب لجعفر شعرا لادريس بن ابي حفصه يرثي به اسحاق بن ابراهيم الموصلي ، وشعرا اخر في رثاء اسحاق للشاعر محمد بن عمرو الجرجاني [٤] .

ويقول العبادى في مقدمه نقد النثر [٥] نقلا عن الخطيب البغدادى : ان جعفر بن قدامة كان تولى الكتابه بالديوان ، وهو منصب رفيع لايناله رجل خامل ولا شك :

<u>النتيجة الثالثة</u> : فليس من المستغرب بعد هذا كله ان نقول على سبيل الترجيح الذى يكاد يبلغ حد الاعتقاد : ان :

كتاب نقد الشعر هو لجعفر بن قدامة

وليس هو لقدامة بن جعـــــــفر

: : : : : : :

على اننا نريد ان نحتاط في القول اكثر مما فعلنا ، فنقول : اننا لم ننف ان يكون لقدامة

---

(١) الاغاني بولاق ج ٩ : ص : ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ (٢) ص ١٤٥ (٣) ص ١٤٣ (٤) الاغاني دار الكتب : ج ٥ ص: ٤٣١ـ٤٣٢ (٥) مقدمة نقد النثر ص: ٣٢ لان كتاب الخطيب لم كله يطبع كله بعد .

كتاب اسمه : نقد الشعر ، ولكننا نقول :

"ان كتاب نقد الشعر الذى فى ايدينا يبعد ان يكون لقدامة"

انظر ماذا . يقول المرحوم العلامة الشيخ محمد محمود الشنقيطي عندما اطلع على كتاب : نقد النثر بالاسكوريال : " كتاب نقد النثر ، المسمى بكتاب البيان ، مما عني بتاليفه ابو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادى ، وهو كتاب نفيس ، لانظير له فى فنه ، يحتاج اليه ، وما وقفت عليه بالمشرق وقد الف كتابا اخر سماه بنقد الشعر ؛

ولكنه بالنسبه لهذا صغير جدا (١) ."

والذى يهمنا من هذا الكلام : الفقرة الاخيرة : ولكنه بالنسبه لهذا صغير جدا فى حين ان كتاب "نقد الشعر" الذى بين ايدينا لايقل حجما عن نقد النثر ، فعدد صفحات نقد الشعر هى ١٣١ – ١١ = ١٢٠ صفحة ، وعدد صفحات نقد النثر هى ١٢٨ صفحة . ولكن لنقارن بين ص: ١١٠ من نقد الشعر ، والصفحة ذاتها من نقد النثر ، نرى ان فى الاولى ٢٤ سطرا وفى الثانيه ٢١ سطرا فقط ، على تعادل السطرين تقريبا فى عدد الكلمات .

فاين هو كتاب نقد الشعر " الصغير جدا " بالنسبة الى نقد النثر ؟ اليس من المحتمل ان يكون قدامة قد اقتدى بابيه فوضع كتابا صغيرا فى نقد الشعر ، وهذا الكتاب هو الذى يشير اليه الشنقيطي فى كلامه السابق ؟ بلى

ومن المحتمل كذلك ان يكون قدامة قد استغل مركزه وشهرته العلمية ، فاراد ان يزيد فيهما فحدثته نفسه ان ينتفع بمؤلفات رجل قد مات ولم يبق له من الدنيا حظ ، فهو ابنه واحرى الناس بالافادة منه !! فنسب الكتاب لنفسه ، ولم ينظر الى الامانة العلمية لنظرنا نحن اليها .

---

(١) تقرير الشنقيطي رقم ٢٤٣ "مكتبات" بدار الكتب المصرية : ص ١١ ، نقلا عن مقدمة نقد النثر للعبادى : ص ٣٨ (٢)

(٣) رأى الاستاذ عبد الحميد العبادى : نقد الشعر ونقد النثر هما معا لقدامة بن جعفر [١] يسلم الاستاذ عبد الحميد العبادى مع الاخرين بان كتاب نقد الشعر لقدامة ولا يكلف نفسه العناء فى تحقيق نسبة الكتاب، مع انه يتخذها اساسا فى بحثه عن صاحب "نقد النثر" فلن نناقشه فى هذا الا لانه يتبناه عن غيره ولايدلي عليه بتعليق او برهان .

لننتقل اذا الى استخراج براهين الاستاذ العبادى على نسبة نقد النثر لقدامة فهي وان كانت تتفق معنا فيما نراه من نسبة الكتاب الى قدامة، تخالفنا حين تزعم "ان المقارنة الموضوعية بين كتابي نقد النثر ونقد الشعر ترى تقاربا عجيبا فى كثير من المعاني فضلا عن طريقة التعبير عنها، مما يرجح ان الكتابين صدرا عن اصل واحد [٢]".

:::::::::::

ثبت [٣] للاستاذ العبادى ان كتاب نقد النثر لقدامة بهذين الدليلين :

الدليل الاول : ان الكتاب لابد ان يكون قد كتب فى عصر قدامة "٢٧٥ ؟ - ٣٢٧" فاسلوبه وطريقته وروحه الفلسفي اليوناني، كل ذلك يشير فى جلاء ووضوح الى انه من اثار القرن الرابع وليس من اثار اى عصر سابق عليه . ثم انه ليس من بين الاعلام الكثيرة الواردة به علم واحد يمكن ان يقال انه متاخر عن عصر قدامة تاخرا يذكر .

وهذا دليل لاغبار عليه من جهة انه يحدد عصر المؤلف بعض التحديد .

الدليل الثاني : فى ان المقارنة الموضوعية بين كتابي "نقد النثر، ونقد الشعر، ترى تقاربا عجيبا فى كثير من المعاني فضلا عن طريقة التعبير عنها مما يرجح ان الكتابين صدرا عن اصل واحد . [٤].

---

(١) راجع مقدمة نقد النثر من ص ٣٩ - ٤٢ . (٢) مقدمة نقد النثر : ٣٩ (٣) هذا تعبير العبادى بالذات : ٣٩ (٤) مقدمة نقد النثر ٣٩ .

ثم يورد الاستاذ العبادى اربعة امثلة يبين فيها التقارب ما بين الكتابين .

ففى المثال الاول يظهر لنا التقارب ولكن فى الطريقة لافى المعنى . (١)

وفى المثال الثاني : نجد الموضوع واحدا ، ولكن الحلين مختلفان : فصاحب نقد الشعر (*) يحاول ان ينفي كل تناقض بين قول امرئ القيس :

فلو ان ما اسعى لادنى معيشة كفاني ولم اطلب قليل من المال

ولكنما اسعى لمجد مؤثل وقد يدرك المجد المؤثل امثالي

وقولـه

فتملأ بيتنا اقطا وسمنا وحسبك من غنى شبع وري

بينما نجد صاحب "نقد النثر" (٢) يرى ذلك من قبيل "وضع المعاني فى مواضعها التي تليق بها " فالقول الاول ينشده امرؤ القيس " فى عنوان امره وجدة ملكه " والقول الثاني ينشده " لما زال عنه ملكه وصار كواحد من رعيته " .

فكأن صاحب نقد النثر يريد ان يقول : ليس هناك تناقض بين قولي امرئ القيس ولكن الشاعر مر بحالتين مختلفتين فوصفهما فى شعره .

وانت ترى ان هذا الاختلاف يصح ان يكون دليلا على نظرية العبادى لا لها ! !

* وفى المثال الثالث : نرى صاحب نقد الشعر ينبه الى انه يخترع اسماء الفنون البديعية من عنده ، لانه اخذ فى معنى لم يسبق اليه من يضع لمعاينه وفنونه المستنبطة اسماء تدل

---

(١) مقدمة نقد النثر : ٢٩ على اننا لانعير اهمية كبيرة لهذا التشابه فى الطريقة لان صاحب نقد النثر لايفرق بين مقاييس الشعر وبين مقاييس النثر " وكل ماذكره من اوصاف حد الشعر يجب استعماله فى الخطابة والترسل ، وكل ماذكره من معايبه يجب تجنبه فيهما " ص٨٣ من نقد النثر وعلى هذا فنحن لانستبعد ان يكون صاحب " نقد النثر " قد استعار هذا النوع من التحديد للبلاغة من تحديد الشعر عند صاحب نقد الشعر كذلك ـ " المفهوم من البلاغة هنا : النثر (١) ص٨١ من نقد النثر (٢) نقد الشعر ص١٦ .

عليها [1] في حين ان صاحب : نقد النثر يتكلم عن الاختراع اللغوى بصورة عامة [2] ، وهو يبين لهذه المسالة حلولا ثلاثة :

١ــ اما ان يستعمل الناس للمعنى الجديد كلمة معروفة من اللغة

٢ــ واما ان توءخذ الكلمة الاعجمية مع المعنى الجديد الذى تدل عليه بعد ان تعرب ·

٣ــ واما ان تخترع للمعنى الجديد كلمة جديدة ·

فاين هذا لا من ذاك ! ! ·

ولنذكر الى جانب هذا ان قضية التعريب من القضايا التي لايصح ان يقال ان الذى اثارها هو زيد اوعمر ، فهى فكرة شائعة بين لغويي ذلك العصر كله ، واذا توارد ت في كتابين مختلفين فلا يصح ان يعتبر ذلك د ليلا على وحدة موءلفيهما ·

وفي المثال الرابع [3] يظهر لنا التقارب في الموضوع ، لافي الطريقة ، ولا في الا النتيجة ، فان صاحب نقد النثر حيادى في قضية المبالغة ، كما بينا ، وهو يرد د بسذاجة بعضما جاء في "نقد الشعر" ولكنه لايتحمس لمذهب المبالغة ، ويقول ان المبالغة حسنة والاعتدال حسن ولكل مذهب [4] ، ونجد في المقابل ان صاحب" نقد الشعر "لايكتفي بان يبحث في المبالغة ويعللها ، بل انه يدافع عنها دفاع الموءمن بها ، ويفضلها على مذهب الاعتدال ، ويتهم النقاد العرب بمناقضة انفسهم حين يرفضونها [5]

فهل هذا دليل تشابه ام دليل تخالف ؟ !

: : : : : : : : : : :

ولكن لنفرض ان بين الكتابين شبها من حيث بعض المواضيع والاراء ، وان هذا الشبه كما يزعم الاستاذ العبادى ، فهل من المعقول ان نحكم بان الكتابين لشخص واحد لالشيء الا

---

(١) نقد الشعرص ١٦ (٢) نقد النثر ٦٣ــ٦٤ (٣) كتاب البديع لابن المعتز : ٥٨

(٤) نقد النثر المقدمة : ٤١ (٥) نقد الشعر ٢٥ - ٢٨

لان في الكتابين بعض الشبه من حيث المعاني والاراء ؟

لااظن منصفا يجيز ذلك ، خصوصا اذا علم بان رجال القرن الرابع كانوا يرون الاراء الادبية مشاعا بينهم ، وياخذون منها ويتركون ما يشاءون . فمن الممكن اذا ان يكون صاحب نقد النثر قد اخذ عن صاحب نقد الشعر . ونقد الشعر كما يقول الدكتور طه حسين قد استغله كل مؤلف جاء بعده دون ان يقول كلمة واحدة يقر فيها له بالفضل (١).

اقرا معنا كلام صاحب نقد الشعر في حديثه عن عيوب المديح : " ومن الامثلة الجياد في هذا الموضع ماقاله عبد الملك بن مروان لعبيد الله بن قيس الرقيات حيث عتب عليه في مدحه اياه ، فقال له : انك قلت في مصعب بن الزبير :

انما مصعب شهـــاب من اللـــــــــه تجلت عن وجهه الظلماء

وقلت فيّ :

ياتلق التاج فوق مفرقـه على جبين كانه الذهب

فوجه عتب عبد الملك انما هو من اجل ان هذا المادح عدل به عن بعض الفضائل النفسية التي هي : العقل ، والعفه ، والعدل ، والشجاعة ، الى ما يليق باوصاف الجسم في البهاء والزينه ، وقد كنا قدمنا ان ذلك غلط وعيب (٢) .

ثم قارن هذا بكلام العسكري في "الصناعتين "عن : عيوب المديح كذلك (٣) : " ومن عيوب المديح عدول المادح عن الفضائل التي تختص بالنفس من : العقل ، والعفة ، والعدل والشجاعة ، الى ما يليق باوصاف الجسم من الحسن والبهاء والزينه كما قال ابن قيس الرقيات في عبد الملك بن مروان : ياتلق التاج فوق مفرقه على جبين كانه الذهب

فغضب عبد الملك وقال : قد قلت في مصعب : انما مصعب شهاب من اللــــه تجلت عن وجهه الظلماء فاعطيته المدح بكشف الغمم ، وجلاء الظلم ، واعطيتني من المدح مالا فخر فيه : وهو

---

(١) مقدمة نقد النثر : ١٧ (٢) نقد الشعر : ١١٠ ـ ١١١ (٣) الصناعتين : ٧٣

اعتدال التاج فوق جبيني ٠٠٠"

فهل رايت كيف يتحد الموضوع والفكرة والامثلة ، وكيف يذكر العسكري الفضائل النفسية الاربعة التي يذكرها قدامة ، ويراعي نفس الترتيب في ذكرها ؟ ومع هذا فمن يقول ان كتابي الصناعتين ونقد الشعر هما لمؤلف واحد ؟

ومما يرينا تساهل الادباء في اخذ بعضهم عن بعض في ذلك الزمان : رسالة الصولي الى ابي الليث مزاحم بن فاتك اذ يقول :

" وانت اعزك الله تشهد لي من بين الناس ان ابا موسى الحامض كان يثليني عندك وتنهاه ٠٠٠ فلما توفي وحملت كتبه اليك ، وجدت اكثر ما امليته ٠٠٠ قد كتبه بخطه واتخذه اصولا ينفق منه تفاريق على من يقصده ويطلب فائدته ٠٠٠ وكاني اعزك الله باشد الناس حاجة الى ما اولفه ٠٠٠٠ قد ادعاه بعد املائي له ٠٠٠ لاينسب ذلك اليّ ، ولايعترف به لي ٠٠"(١)

ومثل هذا كثير جدا في كتب الادب ، وهو يحملنا على القول : بانه اذا كان من المعقول ان نتخذ الاختلافات بين كتابين دليلا على اختلاف مؤلفيهما ، فانه ليس من المعقول ان نستنتج من المقاربات بينهما دليلا على انهما لنفس المؤلف ٠

والا ، فما معنى ان يبرهن الاستاذ العبادي في رائل من سبكة اسطر بان قدامة هو صاحب هذه الكتب الاربعة : نقد الشعر ، نقد النثر ، كتاب الخراج ، كتاب جواهر الالفاظ ، لا لشيء الا لان : تعريف قدامة للكتابة في اول المنزلة السابعة من كتاب الخراج انما هو من قبيل تعريفه الشعر في نقد الشعر ، والبلاغة في نقد النثر ، ولان اشارة المؤلف في نقد النثر الى التحلية التي يستعملها الكتاب في تعريف الاشخاص تشير الى كلامه على هذا الموضوع تفصيلا في كتاب الخراج ، ولانه يجعل حسن النظام شرطا في البلاغة كما يجعل ترتيب الالفاظ بموجب السجعات من واجب اللغويين الذين يتصدون لجمع الكلمات اللغوية !!(٢)

---

(١) كتاب اخبار ابي تمام للصولي : ص ١٠ــ١٢

(٢) مقدمة نقد النثر : ٤٢

لنضع الآن كلام الاستاذ العبادي وردنا عليه في صيغتها المنطقية لننتبه لوضوح اتجاه الرأيين :

	اما نحـــن
الاستاذ العبادى يعتقد ان نقد الشعر لقدامة	نتفق معه على ان نقد النثر لقدامة ولكننا
الاستاذ العبادى يعتقد ان نقد النثر مشابه جدا لنقد الشعر	نرى ان روح الكتاب تخالف كثيرا لروح الكتاب نقد الشعر كثيرا
الاستاذ العبادى يستنتج ان نقد الشعر ونقد النثر هما معا لقدامة	نرجح : ان نقد الشعر ، ونقد النثر : لايمكن ان يكونا معا لقدامـة

. . . .

يرى القارىء مما تقدم : ان حل هاتين القضيتين [1] يعترضه كثير من العثرات وانه من التورط الذى يأباه التحقيق العلمي ان نبت فيهما حكما جازما بعد ان تبين لنا الغموض الشديد الذى يغمرهما ويحول دون الفهم الصحيح لها تانقهما ،غير اننا نامل ان تكون وفقنا الى عرض ارائنا بصورة منطقية واضحة ، والى ان نحمل القارىء على ان يرجح معنا الحقائق التاليـة :

١ ــ ان الكتابين يبعد ان يرجعا الى مؤلف واحد .

٢ ــ ان كتاب نقد الشعر هو من تاليف جعفر بن قدامـة ، والد قدامة بن جعفر .

٣ ــ ان كتاب نقد النثر هو من تاليف قدامة بن جعفر وربما كان قد تاثر فيه بكتاب ابيـه

... ...

<u>نزاهـة النقـــاد</u>

ننتقل الان الى دراسة الناحية الثانيه فى مناهج النقاد . فندرس نزاهة هؤلاء الادباء فى بحوثهم ونتعرف الى الدرجة التي وصلوا اليها فى تاثرهم بالروح العلمية

---

(١) اى نسبة كل من الكتابين الى صاحبه الحقيقي .

التي تنشد الحقيقة وتحكم العقل وتميل عن الاهواء ٠

ونزاهة الناقد وروحه العلمية انما تظهران في شكلهما الصريح في المواضع التي تتهم فيها النفس بما قد يثيرها من المآرب الشخصية والمنافسات الدنيوية ، فيعرف حين ذاك جوهرها وشرفها ، ونقاد القرن الرابع كانوا في عرضة شديدة للشبهات ، لتمكن النزعات الدينية في صدورهم ، وتسلط الرؤساء الادباء على عقولهم ، وتباين الاتجاهات الادبية في زمانهم ، وقد راينا ان ندرس نزاهة هؤلاء النقاد في امور ثلاثة : في تقدير جمال القرآن ، وفي الموازنة بين ابي تمام والبحتري ، وفي المنزلة التي انزل بها المتنبي ٠ على اننا لا نقصد بذلك ان نزن احكام هؤلاء النقاد من حيث سلامتها او ضعفها ، وصحتها او خطؤها ، ولكننا نريد ان نزن هذه الاحكام باعتبار صدقها واجتنابها دوافع العصبية ، وبتعبير ادق : ان الذي يهمنا هنا روح الناقد وغايته ، لا علمه وذكاؤه ٠

فاما الغاية الدينية فقد صرح بها كثير من ادباء ذلك العصر ، صرح بها العسكري في خطبة كتابه : الصناعتين فقال : "ان احق العلوم بالتعلم واولاها بالتحفظ ، بعد المعرفة بالله جل ثناؤه : علم البلاغة ، ومعرفة الفصاحة الذى به يعرف اعجاز كتاب الله تعالى ٠٠ ٠٠٠ وقد علمنا ان الانسان اذا اغفل علم البلاغة ، واخل بمعرفة الفصاحة ، لم يقع علمه باعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التاليف وبراعة التراكيب ، وما شحنه به من الايجاز البديع والاختصار اللطيف ، وضمنه من الحلاوة ، وجلله من رونق الطلاوة ٠٠٠٠ (١) فينبغي من هذه الجهة ان يقدم اقتباس هذا العلم على سائر العلوم بعد توحيد الله تعالى ومعرفة عدله ٠٠٠٠ اذ كانت المعرفة بصحة النبوة تتلو المعرفة بالله جل اسمه ٠٠٠ (٢)

على ان غاية العسكري هذه لم تؤثر كثيرا في سير بحثه "التقريري" ولعلها تقتصر على التماس الشواهد القرانية للاراء المختلفة التي يضمنها الكتاب (٣). ولكننا نعتقد ان

---

(١) الصناعتين : ٢ ـ (٢) الصناعتين : ٣ (٣) راجع مثلا ص ٢٧٨ ، ٢٩٠ ، ٣٠٣ ٠

هذه النزعة الدينية فى التاليف كان لها اثر كبير جدا فى تدعيم الفنون البديعية التى تسلطت على الكتاب والشعراء عهدا طويلا ، وارهقت كتاباتهم وحبست افكارهم . فالعسكرى مثلا ماكان ليتوسع فى هذه الفنون لو لم يجد لها الشواهد فى القران ، وقد اورد خمسة وثلاثين فصلا بديعيا ، جلها مقدم بامثلة من القران (١) . ومثله : ابن فارس فهو يقول فى كتابه الصاحبي " ان للعلم العرب اصلا وفرعا ، والناس فى ذلك رجلان : رجل شغل بالفرع فلا يعرف غيره ، واخر جمع الامرين معا ، وهذه هى الرتبة العليا ، لان بها يعلم خطاب القران والسنه ، وعليها يعول اهل النظر والفتيا .....(٢)".

والفصول الاولى التى كتبها ابن فارس عن لغة العرب متاثرة كل التاثر بنزعته الدينية ، فهو يزعم ان البلاغة والبيان صفتان انفردت بهما العربية × من دون سائر اللغات لان الاية القرانية تقول : "وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الامين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين" وهو يدافع عن رايه بقوله :

"فان قال قائل : قد يقع البيان بغير اللسان العربي لان كل من افهم بكلامه على شروط لغته فقد بين . قيل له : ان كنت تريد ان المتكلم بغير اللغة العربية قد يعرب عن نفسه حتى يفهم السامع مراده ، فهذا اخسُّ مراتب البيان ، لان الابكم قد يدلُّ باشارات وحركات له على اكثر مراده ، ثم لا يسمى متكلما فضلا عن ان يسمى بينا او بليغا .

وان اردت ان سائر اللغات تبين ابانة اللغة العربية فهذا غلط ، لانا لو احتجنا ان نعبر عن السيف واوصافه باللغة الفارسية لما امكننا ذلك الا باسم واحد ، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة ، وكذلك الاسد والفرس وغيرها من الاشياء المسماة بالاسماء المترادفة . فاين هذا من ذاك ، واين لسائر اللغات من السعة ما للغه العرب (٣) ؟

---

(١) راجع الصناعتين مابين ٢٠٤ـ٢٤٠ . ومن الابواب التى لم يستشهد لها بالقران : ص١٠٣ ـ٣١٠ ، ٣١٢ ×وهى قليلة جدا فى الكتاب (٢) كتاب الصاحبي : ص٢ـ٣ (٥) الصاحبي ص١٢

وهكذا نرى ابن فارس يتعصب للبيان العربي وينكر البيان على سائر اللغات ويرى عبقرية البلاغة العربية في ان للاسد والسيف وغيرهما من الحيوانات والاشياء ، اسماء مترادفة كثيرة ليست في غيرها من اللغات ، وكل ذلك لان الله وصف اللسان العربي بالبيان !!

والباقلاني ، رغم انه وفق في اكثر بحوثه عن اعجاز القرآن ، فان النزعة الدينية كانت تسيطر على بحثه ، وتنحرف به عن السبيل العلمي القويم . فهو يفتتح بحثه بفصل يبرر فيه اهتمامه بمعرفة اعجاز القران "بان نبوة نبينا عليه السلام بنيت على هذه المعجزة وان كان قد ايد بعد ذلك بمعجزات كثيرة (١)".

ولذلك نرى الباقلاني يبرهن على اعجاز القران بالقران نفسه :

"فاما الذى يبين ما ذكرناه من ان الله تعالى حين ابتعثه (٢) جعل معجزته القران وبنى امر نبوته عليه فسور (٣) كثيرة وايات نذكر بعضها وننبه بالمذكور على غيره ... فمن ذلك قوله تعالى : "الر . كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد" فاخبر انه انزله ليقع الاهتداء به ، ولا يكون كذلك الا وهو حجة ولا تكون حجة ان لم تكن معجزة ، وقال عز وجل : "وان احد من المؤمنين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله" فلولا ان سماعه اياه حجة عليه لم يوقف امره على سماعه ولا يكون حجة الا وهو معجزة ... (٤)" وقال : "ثم مما يدل على هذا قوله عزه وجل : "وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه ، قل انما الايات عند الله وانما انا نذير مبين . اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم" فاخبر ان الكتاب اية من اياته ، وعلم من اعلامه ، وان ذلك يكفي في الدلالة ، ويقوم مقام معجزات غيره وايات سواه من الانبياء صلوات الله عليهم (٥)".

وانت تعلم ان العلم لا يرضى بان تتخذ هذا دليلا على اعجاز القران

---

(١) اعجاز القران : ٤ (٢) اى ابتعث النبي (٣) اصلها : سور والاخطاء المطبعة يظهر انها كثيرة في الكتاب (٤) اعجاز القران : ٥ (٥) اعجاز القران ٧ ، ٨ .

فالباقلاني يريد ان يثبت نبوة النبي وان القران كلام الله ، باثبات الاعجاز له ، فكيف يجوز ان يعكس الحال فيبرهن اعجاز القران بالقران نفسه ؟ .

على ان اظهر ما يكون تدخل العقيدة الدينية في بحث الباقلاني عندما يبرهن اعجاز القران : في خروجه عن معروف الاساليب " وذلك ان نظم القران على تصرف وجوهه واختلاف مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم . ومباين للمالوف من ترتيب خطابهم ، وله اسلوب يختص به ويتميز في تصرفه عن اساليب الكلام المعتاد ، وذلك ان الطرق التي يتقيد بها الكلام البديع المنظوم تنقسم الى اعاريض الشعر على اختلاف انواعه ، ثم الى انواع الكلام الموزون غير المقفى ، ثم الى اصناف الكلام المعدل المسجع ثم الى معدل موزون غير مسجع ، ثم الى مايرسل ارسالا فتطلب فيه الاصابة والافادة افهام المعاني المعترضة على وجه بديع وترتيب لطيف وان لم يكن معتدلا في وزن ، وذلك شبيه بجملة الكلام الذى لايتعمل ولايتصنع له ، وقد علمنا ان القران خارج عن هذه الوجوه ومباين لهذه الطرق .

ويبقى علينا ان نبين انه (١) ليس من باب السجع ولا فيه شئ منه ، وكذلك ليس هو من قبيل الشعر . لان من الناس من زعم انه كلام مسجع ومنهم من يدعى ان فيه شعرا كثيرا .... فهذا اذا تامله المتامل تبين بخروجه عن اصناف كلامهم واساليب خطابهم انه خارج عن العادة ، وانه معجز ، وهذه خصوصية ترجع الى جملة القران وتميزها حاصل في جميعه " (٢) .

فالباقلاني هنا متطرف اشد التطرف ، وعقيدته الدينية لايقنعها منه ان يقرر تفوق القران على سائر انواع الكلام ، بل تطالبه ان يبرهن على ان كلام القران قبيل وكلام الناس قبيل اخر ، فليس في القران شعر ، وليس فيه نثر ، وليس فيه سجع ، ولو استطاع الباقلاني لنفى ان يكون القران كلاما عربيا لان من الناس من يتكلمون العربية .

---

(١) اى : القرآن (٢) اعجاز القرآن ١٩-٢٠

ونحب ان نورد طرفا من براهين المؤلف قبل ان نتعرض لمناقشته في هذا الراى .

(١) القران ليس بشعر . قال الباقلاني : " قد علمنا ان الله تعالى نفى الشعر من القران فقال : " وما علمناه الشعر وما ينبغي له ، ان هو الا ذكر وقران مبين " . وقال في ذم الشعر : والشعراء يتبعهم الغاوون ...." وقال : " وما هو بقول شاعر " . فان زعم زاعم انه قد وجد في القران شعرا كثيرا فمن ذلك مايزعمون انه بيت تام او ابيات تامة ، ومنه ما يزعمون انه مصراع كقول القائل :

قد قلت لما حاولوا سلوتي " هيهات هيهات لما توعدون "

وما يزعمون انه بيت قوله : " وجفان كالجواب وقدور راسيات "

.... واذا كان كذلك علم ان الذى اجاب به العلماء عن هذا السوال شديد ، وهو انهم قالوا ...... ان البيت الواحد وما كان على وزنه لايكون شعرا واقل الشعر بيتان .... ثم يقولون ان الشعر انما يطلق متى قصد القاصد اليه ... لانه لوصح ان يسمى كل من اعترض في كلامه الفاظ تتزن بوزن الشعراء تنتظم انتظام بعض الاعاريض (شاعرا (٢)) كان الناس كلهم شعراء لان كل متكلم لاينفك من ان يعرض في جملة كلام كثير يقوله ما قد يتزن بوزن الشعر .. الا ترى ان العامي قد يقول لصاحبه :

" اغلق الباب ، وائتني بالطعام "

ويقول الرجل لاصحابه :

" اكرموا من لقيتم من تميم " (١)

قال الباقلاني : " وهذا يدل على ان ما حكاه عن الكفار من قولهم انه شاعر وان هذا شعر ، لابد ان يكون ... محمولا على ما كان يطلق الفلاسفة على حكمائهم

---

(١) اعجاز القران ٢٨-٣١ . (٢) اضفناها

واهل الفطنه منهم فى وصفهم اياهم بالشعر لدقة نظرهم فى وجوه الكلام ، وطرق لهم فى المنطق ، وان كان ذلك الباب خارجا عما هو عند العرب شعر على الحقيقة ، فان حمل على هذا الوجه كان ما اطلقوه صحيحا وذلك ان الشاعر يفطن لما لا يفطن له غيره ، واذا قدر على صنعة الشعر كان على مادونه فى رايهم اقدر ، فنسبوه الى ذلك لهذا السبب (١)"

ومهما يكن الباعث الديني قويا عند الباقلاني ، فلا يسعنا الا ان نعترف له بالدقة والعمق فى رايه عن الشعر ، وهذا الذى عنيناه من الاستشهاد بكلامه ، وننبه بخاصة الى المقطع الاخير ، وفيه يعترف بان من النثر ما يمكن ان يسمى شعرا لاحتوائه على خصائص الشعر ، وهو ما نسميه اليوم : بالشعر المنثور . على ان القضية تعود حينئذ الى الاعتبار ، ويكون الاساس فيها الاتفاق الذى لا يحتمل الاخذ والرد .

(٢) نفي السجع من القران : ـ ومجمل راى المؤلف هو : " ان القران لو كان سجعا لكان غير خارج عن اساليب كلامهم ، ولو كان داخلا فيها لم يقع بذلك الاعجاز (٢) ولو جاز ان يقال : هو سجع معجزه لجاز ان يقولوا : هو شعر معجز ، وكيف والسجع مما كان يالفه الكهان من العرب ، ونفيه من القران اجدر بان يكون حجة من نفى الشعر ، لان الكهانة تنافى النبوات ، وليس كذلك الشعر . وقد روى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال للذين جاؤه وكلموه فى شان الجنين : كيف ندي من لا شرب ولا اكل ، (٣) ولا صاح فاستهل ، اليس دمه قد بطل (٤) . فقال : اسجعا كسجاعة الجاهلية ، وفى بعضها اسجعا كسجع الكهان ...." قال الباقلاني : والذى يقدرون انه سجع فهو وهم " لانه قد يكون الكلام على مثال السجع وان لم يكن سجعا ... لان السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ .... وليس كذلك ما اتفق مما هو فى تقدير السجع من القران ، لان اللفظ يقع فيه تابعا للمعنى ....

---

(١) ص ٢٨ من اعجاز القران مع بعض التلخيص (٢) لاحظ ان الباقلاني يفترض هنا اعجاز القران ويسلم به ، فى حين انه يتصدى للتدليل عليه (٣) وردت : من لا اكل ولا شرب ، وتحفظها على العكس ، وقرينه السجع تؤيد ذلك (٤) تحفظها : يطل

ومتى ارتبط المعنى بالسجع كانت افادة السجع كافادة غيره ، ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلبا لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى [١].

فاما سجع القران ، فيسميه الباقلاني بالفواصل : قال في فصل وجوه البلاغة :

" واما الفواصل فهي حروف متشاكلة في المقاطع ، يقع بها افهام المعاني وفيها بلاغة والاسجاع عيب لان السجع يتبع المعنى ، والفواصل تابعة للمعنى [٢] " ! !

مناقشة راى الباقلاني : - يتبين القارئ في مطلع كلام الباقلاني اثر النزعة الدينية الشديدة في انحراف حجته وضعف حكمه على الاسلوب القراني . واول ما تاخذه على المؤلف : هو تكلفه تمييز نوعين من النثر : الاول : هو النثر المقفى الذى يتبع فيه المعنى اللفظ والقافيه : السجع . والثاني : هو النثر المقفى الذى يكون اللفظ والقافية فيه تابعين للمعنى : الفواصل . ذلك تمييز وهمي صرف . وفي القران نفسه لانرى مايؤيد ذلك . فقد جاءت كلمتا : موسى وهارون ، متتابعتين في عدة مواضع ، فكانت كلمة : موسى تتقدم مرة على كلمة هارون وتتاخر مرة عنها تبعا لاحكام القافية : جاء في الاية ٧٣ من سورة طه : " فالقي السحرة سجدا قالوا امنا برب هارون وموسى " والقافية هنا الف مقصورة - وجاء في الاية ١١٩ من سورة الاعراف : " قالوا امنا برب العالمين . رب موسى وهارون " فقدم هنا موسى . وكذلك قدمه في الاية ٤٧ من سورة الشعراء " قالوا امنا برب العالمين . رب موسى وهارون ". وفي الايتين ١١٤ ، ١٢٠ من سورة الصافات " وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين . ولقد لا مننا على موسى وهارون " " وهديناهما الصراط المستقيم . وتركنا عليهما في الاخرين . سلام على موسى وهارون [٣] ". قدم القران اذا ذكر موسى في مواضع ، وقدم ذكر هارون في موضع وافق فيه السجع ، مع ان موسى مقدم عليه بالمعنى ، وهارون وزير - لموسى في عرف القران ، فقد جاء فيه على لسان موسى " واجعل لي وزيرا من اهلي . هارون اخي

---

(١) اعجاز القران : ص: ٣٢ (٢) ص ١٢٢ (٣) راجع فهرست القران لفلوجل : مادة : هارون في اشكالها المختلفة (

اشدد به ازري ٠ واشركه في امري (١)"

ولم يخف على الباقلاني الحل المعقول لهذه المشكلة التي اثارها ولكنه تهرب منه وزعم ان الكلام فيه خارج عن غرض كتابه :

"فان قيل فقد يتفق في القران ما يكون من القبيلين جميعا ،فيجب ان تسموا احدهما سجعا قيل : الكلام في تفصيل هذا خارج عن غرض كتابنا (٢)" ! !

وثاني ما ناخذه على الباقلاني ان معنى الاسلوب : غامض في ذهنه ،فهو يظن ان الشعر والسجع والنثر هي اساليب الكلام ،وبما ان للقران اسلوبا خاصا ،فالقران ليس بالشعر ولا بالنثر ولا بالسجع ،على اننا نرى من البديهي ان الشعر والنثر والسجع من انواع الكلام وليس من اساليبه والاسلوب لايقف عند اختيار احد هذه الانواع ،بل يتعدى ذلك الى اختيار كل كلمة ،والى ترتيب كل جملة ،بل انه يتعدى القالب اللفظي كله الى روح الشاعر على العموم : فمن روح هادئة ،الى روح ثائرة ،الى اخرى ساخرة اوراضية ،مستبشرة اومتشائمة ٠٠٠ والشعر نوع من انواع الكلام ،وهو بحد ذاته يحتمل اساليب تختلف باختلاف الشعراء فاسلوب امرئ القيس هو غير اسلوب زهير ،واسلوباهما يخالفان اسلوب ابي تمام ٠٠٠ وكذلك السجع على اساليب تختلف باختلاف المتكلم ،وسجع القران على اسلوب ، وسجع الكهان على اسلوب اخر ،وكلاهما سجع ،ولكن اين سجع الكهان من سجع القران !

غير ان نزعة الباقلاني الدينية تابى عليه الا ان يلتمس اعجاز القران في خروجه عن انواع الكلام المالوفة ٠ ونتساءل : ترى : الايمكن ان يجيء الاعجاز في تحسين احد هذه الابواب والتفوق فيها الى حيث لاتمتد قدرة البشر ؟

لم يغب هذا السوال عن بال المؤلف ،فقد ذكر في كتابه راى من يقول بان

---

(١) سورة طه : الايات ٣٠ـ٣٢ (٢) اعجاز القران : ٣٢

القران مختلط من اوزان كلام العرب ، نفيه من جنس خطبهم ورسائلهم وسجعهم وموزون[1] كلامهم الذى هو غير مقفى ، ولكنه ابدع فيه ضربا من الابداع لبراعته وفصاحته[2].

ولكن الباقلاني لم يقتنع بهذا الراى ورد عليه بقوله : " ولو جازان يقال هو سجع معجز لجاز لهم ان يقولوا شعر معجز[3] " !! ولماذا يستحيل على الله الاعجاز فى الشعر اعجازه فى غيره ؟

ومثل الباقلاني صاحب نقد النثر حين يفضل الايجاز فى الكلام على الاكثار منه لقلة المؤمنين وكثرة الكافرين ....[4] !؟

كانت النزعة الدينية من اهم الدوافع التى حدت بالسلف الى الابتكار والتاليف ، ولكنهم كانوا كثيرا ما يسيئون منهم الدين ويسلكون فى البحث مسالك لا يرضاها العقل السليم وما هى من الدين فى كثير ولا قليل .

....

نزاهة النقاد فى الحكم على ابى تمام والبحترى :

وهذا مجال اخر نبين فيه استقامة النقاد ونزاهتهم فى الحكم ، فقد كان هذان الشاعران فى عصرهما والعصر الذى يليه شغل الادباء وموضوع جدالهم ، وقد قادهم ذلك الى استكشاف الخصائص الشعرية لكل منهما والمقارنة بين طريقتيهما والمفاضلة بينهما ، واهم ما خلفه لنا ادباء القرن الرابع فى هذا الموضوع : كتابات : الاول كتاب اخبار ابي تمام لابى بكر محمد بن يحيى الصولي ، والثاني : كتاب الموازنة بين ابي تمام والبحترى للامدى .

كان الادباء فريقين : فريقا يتعصب لابي تمام ويقدمه على غيره من الشعراء من اجل جيده ويسامحه فى رديئه ويتجاوز له عن خطئه ويلتمس له التاول البعيد . وفريقا يتعصب

---

(١) يريد الكلام المتوازن وهو ما نسميه بالازدواج (٢) اعجاز القران : ص٣٤ (٣) اعجاز القران : ص ٣٢ (٤) نقد النثر : ١١١ .

عليه ويبخسه حقه ، ويطرح احسانه وينعي سيئاته ويقدم عليه من هو دونه [١]. من هؤلاء النقاد الذين افرطوا في استنكار طريقة الشاعر الكبير : ابو العباس احمد بن عبيد الله بن عمار . قال الامدي عنه : "ما علمته وضع يده من غلطه وخطئه الا على ابيات يسيرة ولم يقم على ذلك الحجة ، ولم يهتد لشرح العلة ولم يتجاوز فيما نفاه بعدها عليه الابيات التي تضمن بعض الاستعارة وهجين اللفظ ، وقد بينت خطاه فيما انكر من الصواب في جزء مفرد [٢]......"

ومنهم ابو علي محمد بن العلاء السجستاني ، قال الامدي : "سمعته يقول انه ليس له معنى – اي لابي تمام – انفرد به فاخترعه الا ثلاثة معان ، وهي قوله :

تابى على التصريد الا نائلا	الا يكن ماء قراحا يمزق
نزرا كما استكرهت عابر نفحة	من فاره المسك التي لم تفتق

وقوله

بني مالك قد نبهت خامل الثرى	قبور لكم مستشرفات المعالم
رواكد قيس الكف من متناول	وفيها على لا ترتقى بالسلالم

وقوله

واذا اراد الله نشر فضيلة	طويت اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت	ماكان يعرف طيب عرف العود

ولست ارى الامر على ما ذكره ابو علي ، بل ارى ان له على كثرة ماخذه من اشعار الناس ومعانيهم مخترعات كثيرة وبدائع مشهورة . وانا اذكرها عند ذكر محاسنه ان شاء الله تعالى [٣]

على ان النقاد كانوا اقرب الى النزاهة وابعد عن الغرض الشخصي في حكمهم على ابي تمام ، ولعل مرجع ذلك الى ان الموت كانه قد اختطف الشاعر منذ امد بعيد [٤]

---

(١) الموازنة بين ابي تمام والبحتري : ص ٧٢ (٢) الموازنه ٧٣ (٣) كتاب الموازنه ص : ٧١

(٤) توفي ابو تمام : ٢٢٨ هـ او : ٢٣١ هـ عن Abi Tammam بقلم D.S. Margoliouth Ency. of Islam مادة

وطوت السنون ما بينه وبين خصومه من بغضاء ، ولم يبق بين النقاد غير الحقيقة الادبية كما يراها الذوق ويقضي فيها العقل ، وهذا هو الامدى ، لايخفى ميله فى "الموازنة" الى البحترى ، ولكنه لايغمط ابا تمام فضله " ويستعين بالله على مجاهدة النفس، ومخالفة الهوى وترك التحامل [1] " ، وقد سلك فى كتابه مع ابى تمام الطريق الذى سلكه مع البحترى ، فانه ذكر سرقات ابي تمام وغلطاته وساقط شعره واحالاته ، ثم ذكر مثل ذلك للبحترى ، وافرد فصلا خاصا ذكر فيه ما اخذه البحترى عن ابى تمام [٢] . ثم اشترط على نفسه حين اخذ يعدد معائب ابي تمام "ان يسقط منها كل ما يحتمل التاويل ويدخل تحت المجاز وتلوح له ادنى علة [٣]" ولم يقف انصاف الامدى عند هذا الحد ، بل تجاوز ذلك الى ان الف كتابا فى الرد على ابن عمار فيما خطا فيه ابا تمام [٤] .

وكان اكثر اصحاب البحترى على طريقة الامدى فى انصاف ابي تمام ، فانهم «لم يكونوا ليدفعوا ابا تمام : عن لطيف المعاني ودقيقها والابداع والاغراب فيها ... ويقولون انه وان اختل فى بعض ما يورده فان الذى يوجد فيها من النادر المستحسن اكثر مما يوجد من السخيف المسترذل وان اهتمامه بمعاينه اكثر من اهتمامه بتقويم الفاظه على كثرة غرامه بالطباق والتجنيس والمماثلة ، وانه اذا لاح له اخرجه باى لفظ استوى من ضعيف او قوى [٥]».

قال الامدى يعقب على ذلك : اذا كان هذا هكذا فقد سلموا له الشيء الذى هو ضالة الشعراء وطلبتهم : وهو لطيف المعاني ، وبهذه الخلة دون ما سواها فضل امرؤ القيس ، لان الذى فى شعره [٦] من دقيق المعاني وبديع الوصف ولطيف التشبيه وبديع الحكمة فوق ما استعار سائر الشعراء من الجاهلية والاسلام حتى لاتكاد تخلو له قصيدة واحدة

---

(١) الموازنة ٢١٤ (٢) الموازنه ١٦٣ــ١٨٦ (٣) الموازنه : ٧٣ (٤) راجع مقدمة : المؤتلف والمختلف للامدى : الوجه الثاني (٥) الموازنه ٢١٠ (٦) اى شعر ابي تمام .

من ان تشمل من ذلك على نوع وانواع [١] ،

كذلك كان موقف الصولي وهو ممن يميل الى ابى تمام والف كتابه " بقصد تبين فضله والرد على من جهل الحق فيه [٢] " : فهو اذ يقدم شاعره على البحترى [٣] يقدمه عن عقيدة واجتهاد ، لا عن عصبية مرذولة فى نفسه . ومثله اكثر انصار ابي تمام الذين يحبون من الشعر : دقة معناه ، وروعة حكمه ، ولطيف تشبيهه ، فهم : لا يدفعون البحترى عن حلو اللفظ وجودة الوصف ، وحسن الديباجة ، وكثرة الماء ، ويرون فى ذلك اسلم طريقة من ابي تمام ، ولكنه يجيء بعده شاعرية وعمقا [٤] .

من اجل هذا لا نرى بعض الحيف فيما يذهب اليه الاستاذ احمد امين من اتهام الامدى والصولي بالعصبية فى حكمهما على الشاعرين حين يقول :

" الف الامدى كتابه : الموازنة بين ابي تمام والبحترى ، يتعصب فيه للبحترى من وراء حجاب والف الصولي هذا الكتاب – يعني كتاب اخبار ابي تمام – يتعصب فيه لابي تمام [٥] " .

وفرق بعيد فى نظرنا بين التفضيل الذى يكون اساسه الاجتهاد النزيه ، وبين التفضيل الذى يكون اساسه العصبية والاهواء ، ومجرد التفضيل لا يعني العصبية التي يتهمهما بها الاستاذ .

على ان من اجمل ما نراه للاصفهاني فى كلامه عن ابي تمام ، قوله فى العطف على ارباب الذوق والفكر وفى وجوب الحرمة لهم والترفق فى الرد عليهم :

" لا يجوز لنا ند ان يغمط حق الشاعر كله اذا احسن الكثير وتوسط فى البعض وقصر فى اليسير وينسب الى التقصير فى الجميع لنشر المقابح وطي المحاسن ، فلو شاء ان يفعل هذا كل احد بمن تقدم لوجد مساغا ..... وانما على الانسان ان يحفظ من الشيء احسنه

---

(١) الموازنه ٢١٠ (٢) اخبار ابي تمام : ص ٤ ، ٥ (٣) راجع مثلا ص ٧٣ من كتاب اخبار ابي تمام ، وص ٧٦ – ٨٨ (٤) الموازنه ٢١١ (٥) مقدمة كتاب اخبار ابي تمام ص : ١٣١٩ هـ

ويلغي مالم يستحسنه (١)".

نزاهة النقاد في الحكم على المتنبي :

اما المتنبي فشان النقاد معه في هذا العصر يختلف عن شانهم مع ابي تمام : فقد كان المتنبي معاصرا لهم ، منهم من اتصل به كابي علي الحاتمي (٢) وابن خالد بن النحوى (٣) ومنهم من راسله واستزاره كالصاحب بن عباد (٤) . ولذلك نجد المتنبي عرضه لحسد هؤلاء النقاد وهدفا لانتقاداتهم . وقد زادهم نقمة عليه وحسدا له انقطاعهم دونه في الشاعرية والشهرة ، والعظيم محسّد في كل زمان ، ويكفي دليلا على جلالة قدره وانتشار صيته ان يحرص كافور الاخشيدى عليه ليفاخر به الملوك (٥) ، وان يطمع الوزير المهلبي الى مديحه ، وان يعده الصاحب ابن عباد بمشاطرته جميع ماله اذا قصده ومدحه (٦) ، وان يكون شغل الادباء الشاغل في عصره حتى ذكر ابن خلكان عن احد مشايخه انه وقف له على اكثر من اربعين شرحا ما بين مطولات ومختصرات (٧) منها واحد لكبير النحويين في عصره : ابن جني ، واخر لفيلسوف الشعراء المعرى . قال الثعالبي "فليس اليوم مجالس الدرس اعمر بشعر ابي الطيب من مجالس الانس ، ولا اقلام كتاب الرسائل اجرى به من السن الخطباء في المحافل ولا لحون المغنين والقوالين اشغل به من كتب المؤلفين والمصنفين . وقد الّفت الكتب في تفسيره وحل مشكله وعويصه ، وكثرت الدفاتر على ذكر جيده ورديئة ، وتكلم الافاضل في الوساطة بينه وبين خصومه والافصاح عن ابكار كلامه وعونه وتفرقوا فرقا في مدحه والقدح فيه والنضح عنه والتعصب له وعليه وذلك اول دليل دل على وفور فضله وتقدم قدمه وتفرده عن اهل زمانه بملك رقاب القوافي ورق المعاني ، فالكامل من عدت سقطاته والسعيد من حسبت هفواته ومازالت الاملاك تهجى وتمدح (٨) ،

---

(١) الاغاني بولاق : ٩ : ١٤٠ـ١٤١ (٢) راجع ابن خلكان ١ : ٧٢٨ (

(٤) يتيمة الدهر ا ص : ٨٦ـ٨٧ (٥) ابن خلكان ١ : ٥١ وفي شعر المتنبي يهجو هذا الملك

جوعان ياكل من زادى ويمسكني   لكي يقال عظيم القدر مقصود :

العرف الطيب ص : ٥٥٠ (٦) يتيمة الدهر ١ : ٨٦ـ٨٧ (٧) ابن خلكان ١ / ٥١ (٨) يتيمة الدهر ١ : ٧٩

وكان اعتداد المتنبي بنفسه وشعوره بالتفوق على الناس الى درجة الاحتقار

اى محل ارتقى	اى عظيم اتقى
وكل مـا قد خلق اللـــــــــــــه	وما لم يخـــلق
محتقر فى همتي	كشعره فى مفرقى (١)

فى طليعه الاسباب التي البت الشعراء والنقاد عليه فاوسعوه سخرية وهجاء .

قال الثعالبي : "ولما قدم ابو الطيب من مصر بغداد وترفع عن مدح المهلبي الوزير ذهابا لنفسه عن مدح غير الملوك شق ذلك على المهلبي فاغرى به شعراء بغداد حتى نالوا من عرضه وتباروا فى هجائه ، وفيهم ابن الحجاج وابن سكرة الهاشمي والحاتمي ، واسمعوه مايكره وتماجنوا به وتنادروا عليه ، فلم يجبهم ولم يفكر فيهم ، وقيل له فى ذلك ، فقال : اني فرغت من اجابتهم بقولي لمن هم ارفع طبقة منهم فى الشعراء .

ارى المتشاعرين غروا بذمي	ومن ذا يحمد (٢) الداء العضالا
ومن يك ذا فم مر مريض	يجد مرا به الماء الـــزلالا

وقولي :

افى كل يوم تحت ضبني شويعر	ضعيف يقاويني قصير يطاول
لساني بنطقي صامت عنه عادل	وقلبي بصمتي ضاحك منه هازل
واتعب من ناداك من لا تجيبه	واغيظ من عاداك من تشاكل
وما التيــه طبى فيهم غيرانني	بغيض الىّ الجاهل المتعاقل (٣) .

وكذلك كان حال الصاحب معه ، فانه استزاره بكتاب يلاطفه فيه ويضمن له مشاطرته جميع ماله ، فلما لم يجبه على كتابه وترفع عن زيارته ومدحه ، اتخذه الصاحب غرضا يرشقه بسهام -

---

(١) العرف الطيب : ٣٤ ومثل هذا كثير مشهور فى شعر المتنبي (٢) وردت يحمل فى يتيمة الدهر على اننا اخترنا اللفظ كما ورد فى العرف الطيب ١٤٢ (٣) يتيمة الدهر ١: ٨٥-٨٦

الوئيمه ويتتبع سقطاته (١) . ومن اغرب ما وصلنا من تهجم الادباء عليه خبر المقابلة التي كانت بينه وبين الحاتمي ، وقد ذكرها ابن خلكان كما وصفها الحاتمي وهو يزعم انه قابل ابا الطيب في داره فازورعنه المتنبي ولم يعره اهتمامه فتحدوعليه الحاتمي تحدر السيل يلومه ويعنفه على تيهه وعجبه مع انه لايعدو ان يكون شاعرا متكسبا ، والمتنبي يعتذر ويرغب في الصفح والاغتفار ويكرر الايمان انه لم يعتمد التقصير .... (٢)

ليس من الغريب اذا ان يكثر النقاد من الكلام عن المتنبي ، وان يتعصب عليه جماعة منهم ويتتبعون سقطاته ويخفون محاسنه ، يدفعهم الى ذلك البغضاء وحب التشفي . ومع التسليم بان ذوق هؤلاء النقاد من امثال الصاحب والحاتمي يخالف في "واقعيته" ذوق المتنبي "ومثاليته" ، فاننا لاتخالجنا الريبة في ان الخصومة بينهم وبين ابي الطيب لم تقف عند اختلاف الاذواق وتباين الاراء ، بل تجاوزت ذلك الى العصبية البغيضة والحقد العميق ، وللشاعرية سمات معلومة برغم تعدد المذاهب الادبية لايسع الاديب المنصف نكرانها . وهذا هو الصاحب بن عباد نفسه قد سئل عن المتنبي فقال : انه بعيد المرمى في شعره كثير الاصابة في نظمه (٣) ، وقد جمع لفخر الدولة نخبة من امثال المتنبي وحكمه (٤) ، ولم يتراجع عن حل شعر المتنبي . وقد ذكر الثعالبي بعض ذلك في اليتيمة (٥) وعقب عليه بقوله : وهذا غيض من فيض ما اغترفه الصاحب من بحر المتنبي وتمثل به من شعره ، ولو ذكرت نظائره لامتد نفس هذا الباب (٦) ، وهذا هو الحاتمي يشهد ان ابا الطيب من صدور العصريين كما ان مسلم بن الوليد من صدور المحدثين والاعشى من صدور شعراء الجاهليه (٧) .

فليس في الامر ما يحتمل ان يؤول على انه نظر خاص واجتهاد شخصي ، وانما هو التعصب المحض والغل الدفين ، وقد / ظهر ذلك في قول الحاتمي : "ولم يكن هناك مزية يتميز

---

(١) راجع كتاب ~~الصناعتين [illegible]~~ يتيمة الدهر ١ : ص ٨٧ (٢) ابن خلكان ١: ٧٢٨-٧٣١ (٣) الكشف عن مساوئ المتنبي للصاحب بن عباد : ص: ٢ (٤) نفس المصدر ص ١١ (٥) يتيمة الدهر ١: ٨٧-٩٠ (٦) نفس المصدر : ٩٠ (٧) خاص الخاص للثعالبي ٧٨ .

بها ابو الطيب .... الا الشعر ولعمرى ان افنانه كانت منه رطبة ومجانيه عذبة . فنهدت له متتبعا عوارهُ . ومقلما اظافره ومذيعا اسراره وناشرا مطاويه ، ومنتقدا فى نظمه ما تسمّح فيه ..."(١)

اما الصاحب فقد الف رسالته فى : الكشف عن مساوئ شعر المتنبي ، وعنوان الرسالة يرينا ناحية الجور والتحامل الى تسود الكتاب ، اذ ان الصاحب اكتفى فى نقده بذكر زلات الشاعر ورغب عن محاسنه ومواطن الشاعرية فى قصائده . ونحن لانخلي الصاحب من الانتقادات الصحيحة فى كتابه ، وهو اديب كبير ، بارع النقد ، فطن الى عيوب الكلام ، حلو التهكم ، لولا ان ذلك كثيرا ما يشوبه التغرض واللوم ولنمثل على ذلك من نقد الصاحب بما يلي :

"وكانت الشعراء تصف المآزر لالفاظها عما يستبشع ذكره ، * حتى تخطى هذا الشاعر المطبوع * الى التصريح الذى لم يهتده غيره ، فقال :

اني على شغفي بما فى خمرها لاعف عما فى سراويلاتها

وكثير من العهر احسن من عفافه هذا"(٢).

وقال والتحامل واللوم باد فى كلامه :

"وهذه الحكمة التى ذخرها ارسطا طاليس * وافلاطن لهذا الخلف الصالح — يعني المتنبي — وليس على حسن الاستنباط قياس"(٣).

ومن ذلك قوله :

"وهذا التحاذق كغزل العجائز قبحا ، ودلال الشيوخ سماجة ، ولكن بقي ان يوجد من يسمع"

وقوله :

"فان قول المتنبي : الدولات ، وتدول ، من الالفاظ التى لو رزق فضل السكوت

---

(١) ابن خلكان ١ : ٢٢٩ (٢) الكشف عن مساوئ شعر المتنبي : ٢٦ (٣) ص ١٦ (٨/)

عنها لجاز (١) .

وقولــه

وانا اقول : ليت حواء عقمت ولم تات بمثله ، بل ليت آدم اجهفر ولم يكن من نسله (٢).

وقولــه

" ولو لم يتكلم في الشعراء الا من هو اهله لما سمع مثل هذا . ولكن الكلام قد جرى فيه مجرى الكلام في سعد وبلال والخليدية (٣) .

ويا ليت شعري اذا لم يتكلم المتنبي فمن يتكلم ؟ وهل في هذه الروح المغاضبة ما يدفع الشاعر الى الانتفاع بكلام ناقده مهما اصاب في نقده ؟

وكذلك تجد العسكري يتحامل على المتنبي ، ولا يذكره مرة بخير ، ولكنه يمثل بشعره على الشعر الردئ ويعرض به ما سنحت له الفرص (٤) ! !

الى جانب هؤلاء النقاد المتغرضين ، نرى صفا اخر من الادباء يحملون راية النقد النزيه هؤلاء النقاد هم الذين انزلوا المتنبي في منزلته ، بعد ان درسوا مختلف وجوه شاعريته فعرفوا مواطن الضعف والقوة فيها .

من هؤلاء النقاد : ابو منصور الثعالبي صاحب كتاب اليتيمة ، ويظهر من اثار الثعالبي التي بين ايدينا ان الرجل كان من اشرف الادباء نفسا والطفهم روحا وارضاهم عن النعمة عند غيره من الادباء ، وقد يبلغ به ذلك حد المجاملات الفارغة ، فهو لا يبخل بالمديح الفاخر على اكثر من يترجم له في كتبه ويسره ان يقول في الشاعر الفلاني انه شاعر مغلق (٥) وفي غيره انه مجمع العلم ومفزع الادب ، وان شعره يشرف بصاحبه بصاحبه ويأخذ من القلب بمجامعه (٦) وفي ثالث انه : من سحره الشعر وعجائب العصر (٧) ، وفي رابع انه : بقية مشيخة الكتاب

---

(١) ص ١٧ (٢) ص ١٣ (٣) ص ١٧ (٤) راجع كتاب الصناعتين ٤٤ـ٤٥ ، ١١٢ ، ١١٩

(٥) اليتيمه ٢ : ٢٨٨ (٦) ص ٢٨٩ (ص ٧) ٣١١ .

المتقدمين في البراعة ، المالكين لازمة البلاغة .... (١)

ورغم اننا لا نحبذ هذه الطريقة من النقد ونستقل فائدتها فانه لا يسعنا الا ان نعترف لصاحبها بسلامة القلب ورحابة الصدر ، وقد نعتذر للثعالبي في ذلك بجدارة الشاعر المترجم بالتبجيل والتفضيل ، وبان الثعالبي شديد العطف على اهل الفطنه ، حسن التقدير للصعوبة التي يلقاها المجيد في سيره » وبان المقدم من الشعراء ليس ذلك الشاعر الذي كل سمائه نجوم ساطعة .

وحسن دراري الكواكب ان ترى طوالع في داج من الليل غيهب (٢) "

ومهما يكن حال الثعالبي : فقد كان نزيها كل النزاهة في دراسته لشعر المتنبي (٣) ، وقد تناول من هذا الشاعر ناحيتي ضعفه وبراعته ، فاثنى على الثانيه ، وتمثل في الاولى بقول النابغة :

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا ان تعد معايبه (٤)

وكذلك موقف الباقلاني من المتنبي ، فهو في غاية النزاهة وحسن التقدير ، وهو يستشهد بشعره على المعاني الجيدة والميزات الشعرية الحسنه (٥).

اما موقف الجرجاني صاحب الوساطة بين ابي الطيب وخصومه فعلى غاية من النزاهة والاتزان العلمي . وقد فصل الجرجاني مذهبه في دقة وعمق ، فجاء بما يشبه ان يكون منهاجا علميا " لمهمة الناقد " .

مهمة الناقد :

يلاحظ الجرجاني تطرف النقاد في حكمهم على ابى الطيب « فمن مطنب في تقريظه منقطع اليه بجملته ... يتلقى مناقبه اذا ذكرت بالتعظيم ، ويشيع محاسنه اذا حكيت بالتفخيم ، فان عثر على بيت مختل النظام ، اونبه على لفظ ناقص عن التمام ، التزم من نصرة خطاه وتحسين زلله ، ما يزيله عن موقف المعتذر ، ويتجاوز به مقام المنتصر ، ومن عائب يروم ازالته عن رتبته ، فلم

---

(١) ص١٠١ (٢) يتيمة الدهر ١: ١٠٥ (٣) يتيمة الدهر ١: الباب الخامس ص ٧٨-١٦٤

(٤) يتيمة الدهر نفس المصدر : ١٠٥ (٥) اعجاز القران : ١٠٧ ، ١١٠

يسلّم له فضله ، فهو يجتهد في اخفاء فضله ، واظهار معايبه وتتبع سقطاته واذاعة غفلاته ، وكلا الفريقين اما ظالم له له ، او للادب فيه [١]

لم ترق الجرجاني هذه الطريقة ، فألف كتابه الوساطة ، واستهدف فيه العدالة التامة في تقدير شاعرية المتنبي ، فذكر روائع شعره في صفحات كثيرة من الكتاب [٢] ، واعترف بان قصائد ابي الطيب كلها لا تخلو من ابيات تختار ، ومعان تستفاد ، والفاظ تروق وتعذب وابداع يدل على الفطنة والذكاء ، وتصرف لا يصدر الا عن غزارة واقتدار [٣] ، وبعد ان يذكر المآت من روائع امثال الشاعر وحكمه وبدائع تشبيهاته واوصافه ... ويرد فيها على من ينعي على المتنبي " كثرة زلله ، وقلة احسانه " يقرر انه قد وفى له بما اقتضاه شرط الضمانة ، فجاء على كل سيئة من سيات الشاعر بعشرة حسنات من حسناته [٣] وابر على ذلك وافضل [٤] . غير ان الجرجاني لم يغفل سيات صاحبه ، فذكر السخيف من ابياته [٥] ، والمعقد [٦] ، والفاسد المعنى [٧] ، ولم ينكر ان المتنبي ، قد جمع في بعض ابياته بين البرد والغثاثة ، وبين الثقل والوخامة ، فابعد الاستعارة وعوص اللفظ ، وعقد الكلام ، واساء الترتيب ، وبالغ في التكلف ، وزاد على التعمق حتى خرج الى السخف في بعض والى الاحالة في بعض [٨] ، ونكتفي هنا بمثل واحد عن انتقاد الجرجاني للمتنبي قال في نقد البيت التالي :

وفاؤكما كالربع اشجاه طاسمه   بان تسعدا والدمع اشفاه ساجمه

" ومن يرى هذه الالفاظ الهائلة والتعقيد المفرط [٩] يشك ان وراءها كنزا من الحكمة ، وان في طيها الغنيمة الباردة ، حتى اذا فتشها وكشف عن سترها ، وسهر ليالي متوالية فيها ، حصل على ان : وفاء كما ياعاذ لي بان تسعداني اذا درس شجاي ، وكلما ازداد تدارسا ازددت

---

(١) الوساطة ، ملخص عن ص : ١١ (٢) راجع الوساطة ٨٦ عن المختار من شعر ابي الطيب حتى ص ١٣٨ (٣) الوساطة : ٥٠ (٤) الوساطة ١٣٩ (٥) الوساطة ٦١ـ٦٤ (٦) ٦٥ (٧) ٦٦ـ٦٩ (٨) الوساطة : ٧٢ (٩) وردت : فيشك .

له شجوا ، كما ان الربع اشجاه دراسه . فما هذا من المعاني التي يضيع لها حلاوة اللفظ — وبهاء الطبع ورونق الاستهلال ، ويشح عليها حتى يهلهل لاجلها النسج ويفسد النظم ويفصل بين الباء ومتعلقها بخبر الابتداء قبل تمامه ، ويقدم ويؤخر ويعمي ويعوص (١) »

وفي ثنيات البحث ، كان الجرجاني ينثر المبادئ التي يجب ان تكون اساسا لمهمة الناقد وهي ثلاثة عند التحقيق .

(١) احترام العلماء والادباء برغم مالهم من هفوات : قال الجرجاني :

" ولا حرمة اولى بالعناية واحق بالحماية ... من حرمة العلم ... وحياطة الا المتصل به وبسببه . وما عقوق الوالد البر ، وقطيعه الاخ المشفق ، باشنع ذكرا ولا انبح وسما من عقوق من قاسمك ازين صفاتك — يريد العلم والادب — ومت اليك بما هو حظك من الشرف وذريعتك الى الفخر .... (٢) وليس يطالب البشر بما ليس في طبع البشر ولا يلتمس عند الادمي الا ما كان في طبيعة ولد ادم . واذا كانت الخلقة مبنية على السهو وممزوجة بالنسيان ، فاستسقاط من عز حاله حيف ، والتحامل على من وجه اليه ظلم . وللفضل اثار ظاهره وللتقدم — شواهد صادقة ، فمتى وجدت تلك الاثار ، وشوهدت هذه الشواهد ، فصاحبها فاضل متقدم فان عثر له من بعد على زلّة ، ووجدت له بعقب الانسان هفوة ، انتحل له عذر صادق ، او رخصته سائغة ، فان اعوز قيل : زلة عالم ، وقلّ من خلا منها ، واي الرجال المهذب ، ولولا هذه الحكومة لبطل التفضيل ، ولزال الجرح ، (٣) ولم يكن لقولنا فاضل معنى يوجد ابدا (٤) ».

(٢) العدالة في الحكم : على ان الجرجاني لايقصد من وراء ذلك ان نتحرف عن الحق في رعاية الادباء والعطف عليهم " وكما ليس من شرط صلة رحمك ان تحيف لها على الحق او تميل في نصرها عن القصد ، فكذلك ليس من حكم مراعاة الاداب ان تعدل لاجله عن الانصاف ،

---

(١) الوساطة : ٨٣—٨٥ (٢) الوساطة : ١٠ (٣) وردت : ولولم ، وهو خطاء كما ترى (٤) الوساطة ١١—١٢ .

او تخرج في بابه الى الاسراف . بل تتصرف على حكم العدل كيف صرفك ، وتقف على رسمه كيف وقفك ، لتنتصف تارة ، وتعتذر اخرى ، وتجعل الاقرار بالحق عليك شاهدا لك اذا انكرت ، وتقيم الاستسلام للحجة اذا قامت محتجا (X) لك اذا خالفت ،"

بهذه النزاهة التي تقر للحق ولو على نفسها يستطيع الناقد ان يكسب عطف القلوب وحرمتها : "فانه لاحال اشد استعطافا للقلوب المنحرفة واكثر استمالة للنفوس المشمئزة من توقفك عند الشبهة اذا عرضت ، واسترسالك للحجة اذا قهرت ، والحكم على نفسك اذا تحققت الدعوى عليها وتنبيه خصمك على مكامن حيلك اذا ذهب عنها ، ومتى عرفت بذلك صار قولك برهانا مسلما ورايك دليلا قاطعا (١)".

وعلى الاديب ان يتناول الشاعر الذي يريد ان ينقده من ناحيتي احسانه واساءته "وليس من شرايط النَّصَفَة ان تنعي على ابي الطيب بيتا شذ وكلمة ندرت وقصيدة لم يسعده فيها طبعه ولفظة قصرت عنها عنايته ، وتنسى محاسنه وقد ملات الاسماع وروايعه وقد بهرت الالباب (٢) ولا من العدل ان تؤخره للهفوة المنفردة ولا تقدمه للفضايل المجتمعة ، وان تحطه الزلة العابرة ولا تنفعه المناقب الباهرة (٣)".

٣ـ التواضع والتحفظ العلمي : ـ وهما ظاهرتان تسود ان جميع ابحاث "الوساطة" فالمؤلف لايبرىء نفسه من الغفلة ولا يدعي السلامة من الخطاء ، ويسال مخاطبه ان يرده الى الصواب اذا رآه يجاوز مواضع الحجة (٤) ، وهو لايلزم نفسه تمييز شاعره وافراده بالفضل "كما يفعل كثير ممن استهدف للالسن ولم يحترز من جناية التهجم فقال : معنى فرد وبيت بديع . ولم يسبق فلان الى كذا وانفرد فلان بكذا " لان الجرجاني لايدعي الاحاطة بشعر الاوائل الاواخر . وهو اذ يجسر على مثل هذه الاحكام يعترف بانه ينقاد للظن ويستنيم الى ما

---

(١) ملخصة عن الوساطة : ١٠ (٢) هنا كلمة ساقطة على ما نظن ، وقد عوضنا عنها بكلمة الباب

(٣) الوساطة ٨٥ـ٨٦ (٤) الوساطة ١٣٩ .

يغلب على النفس ، ويستعيذ بالله على ادعاء اليقين الثقة والعلم والاحاطة . قال الجرجاني : « ولو ادعيته لوجب ان لا تقبله مع علمك بكثرة الشعراء واختلاف الحظوظ ، وخمول اكثر ما قيل وضياع جل ما نقل ، واظنك قد سمعت ... ان البحتري اسقط خمسماية شاعر في عصره لما يؤمنني من وقوع بعض اشعارهم الى غيري . وما يدريني ما فيها . وهل هذا المستغرب المستحسن منقول عنها ، ومقتبس منها ... فكيف بمن يحد عهده وتقدم زمانه وتناسخت الامم بيننا وبينه (١)» وبهذا نستطيع ان نفسر ما نراه في هذا الكتاب من اكتفاء المؤلف في الغالب على سرد الروائع الادبية دون ان يشرح وجوه الروعة فيها ، مع انه عندما يتناول اساءات الشعراء يبين مواضع الاساءة بدقة وتفصيل . ذلك لان الاساءة بمقدورنا ان نحاسب الشاعر عليها لان من واجبه ان يتجنبها ، مقلدا كان فيها ام مبتدعا . اما الاحسان في راى الجرجاني فمن تمام شروطه ان يكون الشاعر فيه مبتكرا غير متبع . اما الامدى فهو يرى قضية التفضيل من اساسها خارجة عن مهمة الناقد ، ويرى ان هذه المهمة تقف عند العرض والتنبيه على محاسن كل شاعر ومساوئه ، واما الحكم العام فهو يتعلق بالذوق الشخصي . ولا جدال بين الاذواق كما يقول المثل الافرنسي : قال الامدى في الموازنة بين ابي تمام والبحتري : (٢)

" ولست احب ان اطلق القول بايهما اشعر عندى ، لتباين الناس في العلم واختلاف مذاهبهم في الشعر ، ولا ارى لاحد ان يفعل ذلك فيستهدف لذم احد الفريقين ، لان الناس لم يتفقوا على اى الاربعة اشعر في امرئ القيس والنابغة وزهير والاعشى ، ولا في جرير والفرزدق والاخطل ، ولا في بشار ومروان ، ولا في ابي نواس وابي العتاهيه ومسلم ، لاختلاف اراء الناس في الشعر ، وتباين مذاهبهم فيه .... (×) ".

---

(١) نفس المصدر : ١٣٠ ـ ١٣١ (٢) الموازنة : ٣ (×) على ان الامدى خرج عن رايه هذا في ص٢٧ حين قال : نظرت في شعر ابي تمام والبحتري .... فما من مرة الا وانا الحق في اختيار شعر البحتري مالم اكن اخترته من قبل ، وما اعلم اني زدت في اختيار شعر ابي تمام ثلاثين

يتبع في الصفحة (١٠٥)

وقال في مكان اخر : انا اذكر باذن الله الان المعاني التي يتفق فيها الطائيان فاوازن بين معنى ومعنى واقول ايهما اشعر في ذلك المعنى بعينه . فلا تطلبني ان اتعدى هذا الى ان افصح لك بايهما اشعر عندي على الاطلاق ، فاني غير فاعل ذلك ....(١)

آلية النـاقد

خطا النقد الادبي في القرن الرابع خطوة واسعة الى الامام ، وظهر من الادباء من كان يدعو بشدة الى العناية بهذا الفن الوليد عناية تناسب مكانته من العلوم والفنون ، ذلك بان الغاية الكبرى من العلوم اللغوية والنحوية والعروضية ، انما هي الوصول الى فهم الادب ، وتمييز جيده من رديئه ، وان هذه العلوم ثانوية بالاضافة الى الفنون النقدية ، واذا شئت فهي واسطة لاغاية ، والغاية هي الوصول الى اسرار الفنون الادبية وفهم ما فيها من الجمال . ذلك ما يراه مؤلف "نقد الشعر" في مستهل كتابه . وهو يحمل حملة شعواء على علماء عصره ، لانهم لفتوا جل همتهم الى العروض والاوزان واللغة والمعاني ، واغفلوا التفصيل في : علم جيد الشعر من رديئه ، وهو يغالي في هذا اللوم ، ويدعي انه لم يجد احدا وضع في نقد الشعر كتابا قبله (٢) والذي يغلب على الظن ان المؤلف لم تكن قد وصلت اليه مؤلفات النقاد في القرن الثالث ، كابن سلام والجاحظ وابن قتيبه ، وابن المعتز وغيره لان هؤلاء النقاد فيما نرجح كانوا معاصرين للمؤلف او انهم تقدموا عنه قليلا (٣) ، وربما كانت هذه الكتب قد وصلت الى يد المؤلف ولكنه لا يرتضيها ولا يعدها شيئا يذكر بالمقارنة مع كتابه وطريقته المبتكرة في النقد العربي .

وتظهر هذه العناية بالنقد الادبي خصوصا في حملات النقاد ، كالامدي والصولي

تابع صفحة ١٠٤ (×) بيتا على ماكنت اخزنه قديما . ولكن هذا الكلام اذا كان يفيد ان المؤلف يفضل البحتري فانما يفضله عن راى واجتهاد ، لا عن عصبية وعناد ، كما ذكرنا (١) الموازنه ٢٠٥ (٢) نقد الشعر(٣) تذكر اننا كنا رجحنا ان مؤلف هذا الكتاب هو جعفر بن قدامة المتوفي سنه ٣١٠ هـ لا ولده قدامة بن جعفر المتوفي سنه ٣٣٧ هـ .

والجرجاني والصاحب بن عباد على المتطفلين على مائدتهم الادبية ممن لم يتفرغوا للادب ولم يعدوا للنقد عدته : «فالشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ، ثم تكون الدربه مادة له ، وقوة لكل واحد من اسبابه ، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز ، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبة من الاحسان (١) ، وهو يرى ، ويرى الصاحب بن عباد معه ، ان النقد لا يكون الا عند ادباء الكتاب (٢) ، ذلك بان علوم الاخرين من لغوية وصرفية انما تفيد " في احكام الشعر واتقانه " في اختيار الصيغة اللفظية الصحيحة ، ولكن هذا شيء واجادة الشعر شيء اخر والشعر قد يكون متقنا محكما وثيقا ، كما يقول الجرجاني ، ولا يكون حلوا مقبولا رشيقا ، مثال ذلك الصورة الادمية ، فانها قد تكون تامة في الخلقة ولكن النفس تنفر عنها وتمقتها ، وقد تكون الاخرى دونها في الاوصاف وتفوقها في الجاذبية والحلاوة وحسن القبول ، ولكل صناعة اهل يرجع اليهم في في خصائصها ويستظهر بمعرفتهم عند اشتباه احوالها (٣)، فالنقد كالشعر : طبع ومران ودربة بل ان على الناقد الا يكتفي بالمران على النقد وحده ، بل ان عليه واجبا اخر في نظر الصولي عليه ان يمارس الشعر بنفسه وان يكون اقدر الناس على شيء منه متى اراده . . . . فاما من لا يحسن ان يعمل بيتا جيدا ، ولا يكتب رقعة بليغة ، فكيف يجسر على ادعاء هذا ، وكيف يسوغه اياه من سمعه عنه (٤) ؟ ويخالفه ابن عبد ربه في هذا الشرط الاخير ويمثل له بالخليل بن احمد : كان الخليل بن من اروى الناس للشعر ، ولكنه لا يقول منه شيئا ، فسأله رجل ما يمنعك من قول الشعر ؟ فقال : الذى اريده لا اجده والذى اجده لا اريده ، ويدعم ابن عبد ربه رايه هذا بتشبيه جميل جدا لاحد الادباء وقد سئل : مالك تروى الشعر ولا تقوله ، فقال : انا كالمسن اشحذ ولا اقطع (٥) .

---

(١) الجرجاني في الوساطة : ١٩ (٢) الكشف عن مساوى شعر المتنبي ٤ـ٥ (٣) الوساطة ٨٥
(٤) اخبار ابي تمام ص ٣٨ (٥) العقد ٣: ١٣٥ : ونحن ننبه هنا الى ان كلمة الرواية يقصد منها اكثر من معناها الاصلي ، يراد منها النقد ، بدليل تشبيه الراوى : بالمسن .

على ان الامدى هو احسن من عالج قضية الاختصاص في النقد ، وهو اشد النقاد تحمسا لها ومهاجمة للمتطفلين عليها ، فبعد ان يبين الامدى طريقته في الموازنة بين شاعريه يقول :

" ثم ان العلم بالشعر ان خص بان يدعيه كل احد وان يتعاطاه من ليس من اهله فلم لايدعي احد هؤلاء المعرفة بالعين والورق والخيل والسلاح والرقيق والبزوالطيب وانواعه ولعله قد لابس من امر الخيل وركوبها ، والسلاح والعلم بذلك ، والرقيق واقتنائه ، والثياب - ولبسها ، والطيب واستعماله ، اكثر مما عاناه من امر الشعر وروايته ، .... فما باله ..... لما بهره جلاء السيف وصفاء صفائه حديده ، لم يمعن فيه اختياره على غيره من السيوف ، حتى شاور من يعرف حسنه وطبعه وجوهره وفرنده ومضاءه ، وكذلك لما اعجبه من ثوب الوشي حسن طرزه وكثرة صوره وبديع نقوشه واختلاط الوانه ، لم يبادر الى اعطاء ثمنه حتى رجع الى اهل العلم بجوهره وكثرة مائه ، وجودة رقعته ، وصحة نساجته ، وخلاص ابريسمه ، فكيف لم يفعل ذلك بالشعر لما راقه حسن وزنه وقوافيه ودقيق معانيه وما يشتمل عليه من مواعظ وادب وحكم وامثال ، فلم يتوقف عن الحكم له على ما سواه حتى يرجع الى من هو اعلم منه بالفاظه واستواء نظمه وصحة سبكه ووضع الكلام منه في مواضعه وكثرة مائه ورونقه اذ كان الشعر لايحكم له بالجودة الا بان تجتمع هذه الخلال فيه . الاترى انه قد يكون فرسان سليمين[1] من كل عيب ، موجودا (*) فيهما سائر علامات العتق والجودة والنجابة ، ويكون احدهما افضل من الاخر بفرق لايعلمه الا اهل الخبرة والدربة الطويلة ..... وحكى اسحاق الموصلي قال : قال لي المعتصم : اخبرني عن معرفة النغم وبينها لي ، فقلت ان من الاشياء اشياء تحيط بها المعرفة ولا تؤديها الصفة . قال : وسالني محمد الامين عن شعرين متقاربين وقال : اختر احدهما ، فاخترت ، فقال : من اين فضلت هذا على هذا ، وهما متقاربان ؟ فقلت : لو تفاوتا لامكنني التبيين ، ولكنهما تقاربا ، وفضله هذا

---

(١) وردتا : سليمان ، موجود ، ونحن نرجح الاعراب بالنصب .

بشيء تشهد به الطبيعة ولا يعبر عنه اللسان ....

وبعد فلم لا تصدق نفسك ايها المدعي وتعرفنا من اين طرأ لك الشعر ،امن اجل ان عندك خزانة كتب فتشتمل على عدة من دواوين الشعراء .... ولم لما خفت الغبينة في مالك اذ عنت [1] وسلمت واقررت بقلة المعرفة ولم تخش الغبينة والوكس في عقلك فتسلم العلم بالشعر الى اهله فان الضرر في غبن العقل اعظم من الضرر في غبن المال .... ثم اني اقول بعد ذلك لعلماء اكرمك الله اغتررت بان xx شارفت شيئا من تقسيمات المنطق ، وجملا من الكلام والجدال ،اوعلمت ابوابا من الحلال والحرام او حفظت صدرا من اللغة او اطلعت على بعض مقاييس العربية . وانك لما اخذت بطرف نوع من هذه الانواع بمعاناه ومزاولة ومتصل عناية ، فتوحدت فيه وميزت ، ظننت ان كل ما لم تلابسه من العلوم ولم تزاوله يجري ذلك المجرى ، وانك متى تعرضت له وامررت قريحتك عليه نفذت فيه وكشفت عن معانيه ، هيهات لقد ظننت باطلا ورمت عسيرا ،لان علم اى نوع كان لا يدركه طالبه الا بالانقطاع اليه ،والاكباب عليه ،والجد فيه والحرص على معرفة اسراره وغوامضه . ثم قد يتاتى جنس من العلم لطالبه ويسهل ،ويمتنع عليه جنس اخر ويتعذر ،لان كل امرئ انما يتيسر له ما في طبعه قبوله وما في طاقته تعلمه . فينبغي اصلحك الله ان تقف حيث وقف بك وتقنع بما قسم لك ولا تتعدى الى ما ليس من شانك ولا من صناعتك [2].

xxxxxxxxx
xxxxxxx
xxxxx
xxx
x
اهـ

---

(١) وردت : فاذعنت

(٢) الموازنة بين ابي تمام والبحتري : ص: ٢٠٥ ــ ٢٠٩

الباب الرابـــع

الصناعـة اللفظـــية

نتناول الصناعة اللفظية في بحوث النقاد اوصاف الالفاظ مفردة ومركبـة ، وطريقة النظم والتاليف بين اجزاء القصيدة ، يضاف الى ذلك نظرياتهم في المفاضلة بين الالفاظ والمعاني ومكانة كل منهما في فنون البلاغه ، والنقاد كثيرا ما يتناولون هذه الامور معا ، لشدة علاقـة الواحد منها بالاخر ، قال العسكرى . وليس الشان في ايراد المعاني ... وانما هو في جودة اللفظ وصفائه وحسنه وبهائه ونزاهته ونقائه وكثرة طلاوته ومائه ، مع صحة السبك ، والتركيب والخلو من اود النظم والتاليف (١) . وقال : الكلام ايدك الله يحسن بسلاسته وسهولته ونصاعته وتخير الفاظه ... وجودة مطالعه ، ولين مقاطعه ، واستواء تقاسيمه ، وتعادل اطرافه ، وتشبه اعجازه بهواديه ، وموافقة مآخيره لمباديه ، مع قلة ضروراته وعدمها اصلا حتى لا يكون لها في الالفاظ اثر ، فتجد المنظوم مثل المنثور ، في سهولة مطلعه وجودة مقطعه ، وحسن رصفه وتاليفه ، وكمال صوغه وتركيبه (٢) ....

<u>جمال الالفاظ :</u> جاء في " نقد الشعر ": ونعت اللفظ ان يكون سمحا سهل مخارج الحروف من مواضعها ، عليه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة (٣) ، وقال الجرجاني : ومتى سمعتني اختار للمحدث هذا الاختيار وابعثه على التطبع ، واحسن له التسهيل ، فلا تظنن اني اريد بالسمح السهل الضعيف الركيك ، ولا باللطيف الرشيق الخنث المونث ، بل اريد النمط الاوسط ، وما ارتفع عن الساقط السوقي ، وانحط عن البدوى الوحشي (٤)

واكثر النقاد على هذا الراى ، فهم يرون جمال الالفاظ في سهولتها اولا وفي فصاحتها

---

(١) الصناعتين ٤٢ (٢) الصناعتين ٣٩ - ٤٠ (٣) نقد الشعر ١٩

(٤) الوساطه ٢٦ - ٢٧

ومجانبتها للكلام العامي ثانيا ، وهاتان الصفتان هما المقصود من كلمة "الجزالة" التي يكثر النقاد تداولها . قال العسكري : واما الجزل المختار من الكلام : فهو الذى تعرفه العامة اذا سمعته ، ولا تستعمله في محاوراتها ، ومثّل على ذلك بابيات مسلم :

وردت رواق الفضل فضل بن خالد   فحطّ الثناء الجزل نائله الجزل

بكف ابي العباس يستمطر الغنى   وتستنزل النعمى ويسترعف النصل

ويستعطف الامر الابي بحزمه   اذا الامر لم يعطفه نقض ولا فتل

ومثّل على الكلام العامي المفرط في اللين بهذه الابيات :

يارب قد قل صبري   وضاق بالحب صدري

واشتد شوقي ووجدي   وسيدي ليس يدري

مغفل عن عذابي   وليس يرحم ضري

انا الفداء الغزال   دنا فقبل نحري

وقال لي من قريب   ياليت بيتك قبري (١)

وكما يرذل العسكري الامعان في اللين الى درجة الاسفاف ، فهو يرذل الاسترسال في استعمال الغريب الجاسي ، ويرى الاجادة في السهل الممتنع قال :

"وقد غلب الجهل على قوم فصاروا يستجيدون الكلام اذا لم يقفوا على معناه الا بكد ، ويستفصحونه اذا وجدوا الفاظه كزة غليظة ، وجاسية غريبة ، ويستحقرون الكلام اذا راوه سلسا عذبا وسهلا حلوا ، ولم يعلموا ان السهل امنع جانبا واعز مطلبا ، وهو احسن موقعا واعذب مستمعا ، ولهذا قيل اجود الكلام : السهل الممتنع ... وقد سئل احد البلغاء الا تستعمل الغريب في شعرك ؟ فقال : ذاك عي في زماني وتكلف مني لو قلته ، وقد رزقت طبعا واتساعا في الكلام ، فانا اقول ما يعرفه الصغير والكبير ، ولا يحتاج الى تفسير . قال العسكري :

---

(١) الصناعتين ٤٧

فهذا كلام عاقل يضع الشيء موضعه ويستعمله في ابانه ، ليس كمن قال وهو في زماننا - يعرض بالتنبي :

جفخت وهم لايجفخون بهابهم [١]

وانتقد الآمدي على ابي تمام قوله

اهلس اليس لجا الى هم تعرف الغيس في اذيها اللهسا

فاستكره قوله : اهلس اليس ، وانتقد بيتا اخر لابي تمام :

وان بجرية نابت جأرت لها الى ذرى جلدى فاستوهل الجلد

لقوله : بجرية وجارت ، كما اخذ عليه قوله : هنّ البجاري يا بجير ، وقوله :

يندات يوسى كل جرح يحتلى راب الاساة بدردبيس قنطر

فاستهجن كلمتي : وردبيس والقنطر ، وهما من اسماء الدواهي [٢] ومما اخذه العسكري على المفضل الضبي : «انه كان يختار من الشعر ما يقل تداول الرواة له ويكثر الغريب فيه ، وهذا خطاء من الاختيار لان الغريب لم يكثر في كلام الا افسده ، وفيه دلالة الاستكراه والتكلف [٣] .»

فنرى مما تقدم ان النقاد كانوا كثيرا ما ينفرون من الالفاظ الغريبة لغرابتها فضلا عن غلاظة بعضها وثقلها على السمع . وقد يكون الوزير ابو الفضل بن العميد من ادق الادباء في التنبه الى جرس الكلام وحلاوته ، قال عنه الصاحب بن عباد : وها انا منذ عشرين سنه اجالس الشعراء واكاثر الادباء ... وعشرين اخرى اخذ عن رواة محمد بن يزيد المبرد ، واكتب عن اصحاب احمد بن يحيى ثعلب ، فما رايت من يعرف الشعر حق معرفته ، وينقده نقد جهابذته غير الاستاذ الرئيس ابى الفضل بن العميد .... فانه يتجاوز نقد الابيات الى نقد الحروف والكلمات ولا يرضى بتهذيب المعنى حتى يطالب بتخير القافيه والوزن [٤] .

---

(١) الصناعتين ٤٤ (٢) الموازنة ١٥١ -١٥٢ (٣) الصناعتين ٤ (٤) الكشف عن مساوئ شعر المتنبي : ص٤

انشد الصاحب يوما بحضرته قصيدة ابي تمام التي اولها :

شهدت لقد انوت مغانيكم بعدى ومحت كما تمحو وشائع من برد

حتى انتهى الى قوله :

كلا كريم متى امدحه امدحه والورى معي واذا مالمته لمته وحدى

فقال ابن العميد : هل تعرف في هذا البيت عيبا ، فقال الصاحب : قابل المدح باللوم فلم يوف التطبيق حقه ، فقال ابن العميد ، غير هذا اردت : ان احد مايحتاج اليه في الشعر سلامة حروف اللفظ من الثقل ، وهذا التكرير في امدحه امدحه مع الجمع بين الحاءات والهاء مرتين وهما من حروف الحلق خارج عن حد الاعتدال ، نافر كل النفار (١).

غير ان العسكري والباقلاني يتابعان الجاحظ ويقرران ان جمال اللفظ قد لايكون في نفسه بل في موافقته لمقتضى الحال ، يسخر العسكري من بعض علماء العربية الذين يخاطبون السوقي والمملوك والاعجمي بالفاظ اهل نجد ، لان مدار الكلام على الافهام ، فالواجب تقسيم طبقات الكلام على طبقات الناس ، فيخاطب السوقي بكلام السوقة والبدوي بكلام البدو ، ولا يتجاوز به عما يعرفه الى ما لايعرفه ، فتذهب فائدة الكلام ، وتعدم منفعة الخطاب (٢) . وقال الباقلاني : والكلام الغريب واللفظة الشديدة المباينة لنسج الكلام قد تحمد اذا وقعت موقع الحاجة في وصف ما يلائمها ، كقوله عز وجل في وصف يوم القيامة : "يوما عبوسا قمطريرا" فاما اذا وقعت في غير هذا الموقع فهي مكروهة مذمومة (٣) .

وحكى ابن شهيد عن بعض تلامذته انه رآه يستعمل وحشي الكلام في موضعه ولم يشعر بحسن الموضع ، فاستعمل شيئا منه وعرضه عليه ، فقال له ابن شهيد : استره ! فعرضه على آخر فنهاه عنه ، فقال له ان ابن شهيد يستعمله ، فقال : يضعه في موضعه وهو ادرب منك (٤)

---

(١) الكشف عن مساوىء شعر المتنبي : ٦-٧ (٢) الصناعتين ١٩-٢٠ (٣) اعجاز القرآن ٨٣

(٤) الذخيرة لابن بسام ١١٨-١١٩ عن كتاب النثر الفني لزكي المبارك ج ٢ ص ٥٢

صحة العبارة : قال العسكري : «ينبغي ان ترتب الالفاظ ترتيبا صحيحا فتقدم مايحسن تقديمه وتؤخر منها مايحسن تاخيره ... فمما افسد ترتيب الفاظه قول بعضهم :

يضحك منها كل عضو لها | من بهجة العيش وحسن القوام
ترفل في الدار لها وفرة | كوفرة الطلط الخليع الغـــلام

كان ينبغي ان يقول : كوفرة الغلام الطلط الخليع .... وقوله : بهجة العيش وحسن القوام متنافر غير مقبول» [1] ومثّل قدامة بن جعفر على الكلام الحسن النظام بقول الشاعر :

متاركة اللئيم بلا جـواب | اشد على اللئيم من الجواب

وقولــه :

يا ايها المتحلي غير شيمته | ان التخلق ياتي دونه الخلق

وعلى الكلام البادى الاضطراب : بقول الشاعر :

ام سلام اتيتي عاشقا | يعلم الله يقينا ربه
انتم في عينه من عيشـــة | فاعليه يالا ياسليمى حسبه [2]

نسوء التركيب : في تقديم ما ينبغي تاخيره وصرفه عن وجوهه وتغيير صيغته ومخالفة الاستعمال في نظمه ، ومن ذلك مايدعونه بالمعاظلة ، وقد مدح عمر بن الخطاب زهيرا لمجانبتها ، فقال كان لايعاظل بين الكلام ، قال العسكرى : واصل هذه الكلمة من قولهم : تعاظلت الجرادتان اذا ركبت احداهما الاخرى ، واستشهد على ذلك بقول الفرزدق :

تعال فان عاهدتني لاتخونني | تكن مثل من يا ذئب يصطحبان

وقوله :

هو السيف الذى نصر ابن اروى | به عثمان مروان المصابا

---

(١) الصناعتين ١١٤ (٥) نقد النثر : ٧٤

(٢) الصناعتين : ١٢٠-١٢١

وقوله للوليد بن عبد الملك

الى ملك ما امه من محارب ابوه ولا كانت كليبا تصاهره

وقوله يمدح هشام بن اسماعيل

وما مثله فى الناس الا مملكا ابو امه حيى ابوه يقاربه [(١)]

اما قول صاحب نقد الشعر : المعاظلة فاحش الاستعارة ، فلا يوافقه عليه العسكرى لان المعاظلة فى اصل الكلام انما هي ركوب الشيء بعضه بعضا ، وسمى الكلام به اذا لم ينضد نضداً مستويا واركب بعض الفاظه رقاب بعض وتداخلت اجزاؤه ، تشبيها بتعاظل الكلاب والجراد ، اما تسمية القدم بالحافر فليست بمداخلة كلام ، وانما هي : بعد فى الاستعارة[(٢)]

ويعيب النقاد على الشاعر ان يكرر الكلمة فى المكان الواحد لغير علة بلاغية ، كقول اوس بن حجر :

ولست بخابئ ابدا طعاما حذار غد لكل غد طعام [(٣)]

وكقول المتنبي :

فقلقلت بالهم الذى قلقل الحشى قلاقل عيش كلهن قلاقل

قال الصاحب بن عباد : ومازال الناس يستبشعون قول مسلم :

سلت وسلت ثم سل سليلها فاتى سليل سليلها مسلولا

حتى جاء هذا المبدع - يريد المتنبي - فقال :

وانجع من فقدنا من وجدنا قبيل الفقد مفقود المثال

---

(١) الصناعتين : ١٢٠ - ١٢١

(٢) الصناعتين ١٢٢

(٣) الصناعتين : ٤١

واظن المصيبة في الرائي اعظم منها في المرثي .... (١)

واخذ الثعالبي على ابي الطيب اساءة التكرار في قوله :

ونهب نفوس اهل النهب اولى باهل المجد من نهب القماش (٢)

ومن عيوب المعنى في نظر صاحب "نقد الشعر" : الاخلال : وهو ان يترك من اللفظ ما به يتم المعنى ، مثل قول عبيد الله بن عبد الله بن مسعود هـ

اعاذل عاجل مالي احـــــــب الي من الاكثر الرائث (٣)

فانما اراد ان يقول : عاجل مالي مع القلة احب الي من الاكثر البطيء "فترك" "مع القلة" وبه يتم المعنى ، ومثله قول عروة بن الورد :

عجبت لهم اذ يقتلون نفوسهم ومقتلهم عند الوغى كان اعذرا

وانما اراد ان يقول : عجبت لهم اذ يقتلون نفوسهم في السلم ، ومقتلهم عند الوغى اعذر ، فترك : في السلم ، ومن هذا الجنس قول : الحارث بن حلزة :

والعيش خير في ظلا ل النوك ممن عاش كدا

قال المؤلف : فاراد ان يقول : العيش خير في ظلال النوك ، من العيش في ظلال العقل . على انه لو قال ذلك لكان في هذا الشعر خلل اخر وهو : ان الذي يظهر اراده : هو ان يقول : ان العيش الناعم في ظلال النوك خير من العيش الشاق في ظلال العقل ، فاخل بشيء كثير (٤)

ويخالفه في ذلك صاحب "نقد النثر" في باب دعاه باب الحذف . فللحذف مزية الايجاز والاختصار والاكتفاء بيسير القول اذا كان المخاطب عالما بالمراد ، ومن ذلك قول الشاعر

اجدك لوشيء اتانا رسوله سواك ، ولكن لم نجد لك مدفعا

اراد : لدفعناه ، فحذف اكتفاء بعلم المخاطب بما اراد ، ومثله قوله :

---

(١) يتيمة الدهر ١ : ١١٦ (٢) يتيمة الدهر ١ : ٩٥ (٣) الرائث : البطيء (٤) نقد الشعر ١٢٧

فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن حقف ذى قفاف عقنقل

ونظير ذلك قوله عز وجل : "واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون" وسكت عن تمام الكلام ، فكان تقدير الكلام واذا قيل لهم اتقوا ... استكبروا وتمادوا وعتوا . وكذلك قوله : "ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم" حذف ما بعده .... فكان تقديره : لعذبكم بما فعلتم (١)

ويعيبون الى جانب ذلك ان يكون في الجملة بعض الالفاظ الناقصة الحروف لضرورة شعرية ، وقد انتقد ابن جني قول علقمة :

كأن ابريقهم ظبي على شرف مقدم بسبا الكتان ملثوم

اراد بسبائب . وقول لبيد :

درس المنا بمتالع فابان اراد : المنازل ، وقول ابى دؤاد :

يذرين جندل حائر لجنوبها فكانما تذكي سنابكها الحبا

اراد : الحباحب (٢)

وقد بحث مؤلف "نقد الشعر" ذلك في موضوع : ائتلاف اللفظ والوزن : « وهو ان تكون الاسماء والافعال في الشعر تامة مستقيمة كما بنيت ، لم يضطر الامر في الوزن الى نقضها عن البنية بالزيادة عليها والنقصان منها ، وان تكون اوضاع الاسماء والافعال والمؤلفة منها وهي : الاقوال ، على ترتيب ونظام لم يضطر الوزن الى تاخير ما يجب تقديمه ، ولا الى تقديم ما يجب تاخيره منها ، ولا اضطر ايضا الى اضافة لفظ اخرى يلتبس المعنى بها ، بل يكون الموصوف مقدما والصفة مقولة عليها ، وغير ذلك مما لو ذهبنا الى شرحه لاحتجنا الى اثبات كثير من صناعتي المنطق والنحو .... ومن هذا الباب ايضا ان لايكون الوزن قد اضطر الى ادخال معنى

---

(١) نقد النثر ٥٩–٦٠

(٢) الخصائص ١ : ٨٢–٨٣

ليس الغرض في الشعر محتاجا اليه ٠٠٠٠ واسقاط معنى لايتم الغرض المقصود الا به ،حتى اذا فقده قد اثر في الشعر تاثيرا بان موقعه ٠٠٠٠ وكل شعر سليم مثال لذلك»(١)

حسن التاليف : وهو يتعلق بكيان القطعة الادبية على العموم ،من حيث تلاؤم معانيها وتساوي نظمها في البلاغة ٠ وهذا المقياس من اهم المقاييس التي كان النقاد يعتمدونها في تقدير الاثار الادبية من شعرية ونثرية ٠ وقد عد اصحاب البحتري قوله في الموازنة بينه وبين استاذه ابي تمام : جيده خير من جيدى ورديئي خير من رديئة حجة لهم على اصحاب ابي تمام ،لان قوله هذا يدل على ان شعر ابي تمام شديد الاختلاف ٠ وشعره (٢) شديد الاستواء ، والمستوى الشعر في رايهم اولى بالتقدمة من المختلف الشعر ،فابو تمام يعلو علوا حسنا وينحط انحطاطا قبيحا ،والبحتري يعلو بتوسط ولايسقط ،ومن لايسقط ولا يسف افضل ممن يسقط ويسف»(٣)

وكذلك الباقلاني ،فانه ياخذ على امرئ القيس وغيره من الشعراء ان قصائدهم تتفاوت في ابياتها تفاوتا بينا : في الجودة والرداءة ،والسلاسة والانعقاد والسلامة والانحلال والتمكن والتسهل والاسترسال والتوحش والاستكراه (٤) ،ويرى ان من دلائل الاعجاز في القران :«استواء نظمه وتساويه في البلاغة ،فكلام البشر لايخلو من فصاحة وبراعة وحسن تصرف ٠ وفيه من الحكم والفوائد شيء كثير ٠ غير ان الشاعر قلما جاء بالقصيدة من اولها الى اخرها محكمة النسج ،صحيحة المعنى رائعة الخيال ،وكذلك ندر ما جاءت آثار اي ناثر كان متساويه في البراعة والاتقان ، بل يقع الاختلاف ،ويظهر التعمل والتكلف من حين الى حين ،اما القرآن فعلى كثرته وطوله متناسب في الفصاحة على ما وصفه الله فقال : "الله انزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ،ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (٥) ٠ وللباقلاني في مكان اخر :«فأجل الراى في سورة سورة

---

(١) نقد الشعر ٩٨-٩٩ (٢) اى شعر البحتري (٣) كتاب الموازنة للامدى ص ٥ ،وقد اعتمدنا هنا طبعة الجوائب الاولى بالاستانه ١٢٨٧ ،لكثرة الاغلاط في الطبعة الثانيه التي بين ايدينا

(٤) اعجاز القران ٨٥ (٥) ملخص عن اعجاز القران ص ٢١

وآية آيــة وفاصله فاصلة ، وتدبر الخواتم والفواتح والبوادى" والمقاطع ومواضع الفصل والوصل ومواضع التنقل والتحول ، ثم اقض ما انت قاض !"(١)

والقرآن لايتفاوت نظمه ، سواء كان الكلام : قصة او وعظا او احتجاجا او حكمـا او اعذارا او وعدا او وعيدا ... وهو هو ، معجز برغم ما فيه من تكرار في بعض التعابير واعادة لبعض الاحاديث ، بل ان تكراره مع محافظته على جمال النظم والاستواء اية من ايات اعجازه وانقطاعه عن سائر الكلام (٢) .

ومن حسن التاليف اوصاف اربعة يكثر النقاد تردادها ، وهي : براعة الاستهلال وجودة التخلص ، واستقلال البيت ، وحسن الانتهاء :

فاما براعة الاستهلال : "فاهمية ذلك يعود الى ان المطلع اول ما يقرع الاذن ويصافح الذهن فاذا كانت حالةً غير العذوبة في اللفظ والمعنى نبت عنه النفس وجرى امره على ماتقول العامة : اول الدن دردري "(٣) فعلى الشاعر ، كما يقول العسكري : "ان يحترز في اشعاره ومفتتح اقواله مما يتطير منه ويستجفى من الكلام ، والبكاء ووصف اقفار الديار وتشتيت الالاف ونعي الشباب وذم الزمان ، لاسيما في القصائد التي تتضمن المديح والتهاني ، ويستعمل ذلك في المراثي ووصف الخطوب الحادثه ، فان الكلام اذا كان على هذا المثال تطير منه سامعه ، وان كان يعلم ان الشاعر انما يخاطب نفسه دون الممدوح ... وقد انكر الفضل ابن يحيى البرمكي على ابي نواس ابتداءه :

اربع البلى ان الخشوع لبادى عليك واني لم اخنك ودادى

فلما انتهى الى قوله

سلام على الدنيا اذا ما فقدتم بني برمك من رائحين وغادى

---

(١) اعجاز القران ٩٠ (٢) اعجاز القران ٢١ (٣) يتيمة الدهر ١ : ١٠٥

استحكم تطيره» (١)

ويستجيد العسكري من ابتداآت الجاهلية قول النابغة :

كليني لهم يا اميمة ناصب   وليل اقاسيه بطيء الكواكب (٢)

وقول اوس بن حجر :

ايتها النفس اجملي جزعا   ان الذى تحذرين قد وقعا

وكانوا يرون ان احسن مرثيَّة اسلامية ابتداء قول ابي تمام

اصمَّ بك الناعي وان كان اسمعا   واصبح مغنى الجود بعدك بلقعا

ويسترذل العسكري لبعض المتاخرين - يعني المتنبي (*) - ابتداآته ، ومنها قوله :

كفى" اراني ويك لومك الوما   هم اقام على فؤاد انجما

وقوله :   ايا عبد الاله معاذ اني   خفيٌّ عنك في الهيجا مقامي

وقوله :   هذى برزت لنا فهجت رسيسا   ثم انصرفت وما شفيت نسيسا

وقوله :   احاد ام سداس في احاد   لُيَيْلَتنا المنوطة بالتناوي (٣)

اجادة التخلص ووحدة القصيدة : يعنون باجادة التخلص: ان لايخرج الشاعر عن الفاتحة التقليدية الى الا غرضه الا بمناسبة . قال العسكري :«كانت العرب في اكثر شعرها تبتدئ بذكر الديار والبكاء عليها والوجد بفراق ساكنيها ، ثم اذا ارادت الخروج الى معنى آخر قالت : فدع ذا ، وسل الهم عنك بكذا

---

(١) الصناعتين ٢٤٤ (٢) ننبه الى ان العسكري لم يعمم في تحذير الشاعر من الابتداآت الحزينه ، وربطَ ذلك بالموضوع (٣) الصناعتين ٢٤٤-٢٤٦ (×) كان العسكري كثيرا ما يعرض بالمتنبي ويسخر من شعره : والذى يظهر لنا ان السبب في رداءة المطلع في بعض قصائد المتنبي يرجع الى تكلفه الغزل فيها جريا على الطريقة التقليدية ، ولم يكن ذلك يصادف ارتياحا منه

اذا كان شعر فالنسيب المقدم   اكل فصيح قال شعرا متيم !

كما قال :

فدع ذا وسل الهم عنك بجسرة ذمول اذا صام النهار وهجرا

.... وربما تركوا المعنى الاول واخذوا فى الثاني من غيران يستعملوا ما ذكرناه ، قال النابغة

تقاعس حتى قلت ليس بمنقض وليس الذى يرعى النجوم بآيب

علي لعمرو نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب

... والبحترى يسلك هذه الطريقة فى اكثر شعره (١) » . غير ان مذهب المحدثين فى زمن العسكرى كان مذهب التخلص والتباعد عن الاقتضاب ، وقد قبل مثّل المؤلف على ذلك باشعار كثيرة من جملتها قول عبد الصمد بن المعذل :

ولاح صباح تشبهته عليّ بن عيسى على المنبر

وقول البحترى :

كانها حين لجت فى تدفقها يد الخليفة لما سال واديها (٢)

على ان اجادة التخلص لا تنقذ الشاعر تماما من الخروج عن وحدة الموضوع ، وهذه المناسبة المصطنعة لربط الفواتح التقليدية بالموضوع لا تبرر الانتقال من شيء الى اخر ، وليس يكفي ان تكون الناقةُ ركابَه الى الممدوح حتى يسهب فى وصفها ويطيل ، وليس يجوز للشاعر ان يصف البركة والمياه لا لشيء الا لان تدفق المياه يشبه كرم الخليفة !

وكان النقاد كثيرا ما ينكرون على الشعراء اقتضابهم الى الموضوع ، وابلغ ما وصلنا عن حسن التخلص قول الحاتمي :

مثل القصيدة مثل الانسان فى اتصال بعض اعضائه ببعض ، فمتى انفصل واحد عن الاخر وباينه فى صحة التركيب ، غادر الجسم ذا عاهة تتخون محاسنه وتعفى معالمه . وقد وجدت حذاق المتقدمين وارباب الصناعة من المحدثين ، يحترسون فى مثل هذا الحال احتراسا يجنبهم شوائب النقصان ... حتى يقع الاتصال ويؤمن الانفصال ، وتاتي القصيدة فى

---

(١) الصناعتين ٣٦١—٣٦٢ و(٢) الصناعتين ٣٦٤ .

تناسب صدورها واعجازها وانتظام نسيبها بمديحها ، كالرسالة البليغة والخطبة الموجزة لاينفصل جزء منها عن جزء . وهذا مذهب اختص به المحدثون بتوقد خواطرهم ولطف افكارهم ... فاما الفحول الاوائل ومن تلاهم من المخضرمين والاسلاميين .. فقصارى كل احد منهم وصف ناقته بالعتق والنجابة والنجاء ، وانه امتطاها فادّرع عليها جلباب الليل ، وربما اتفق لاحدهم معنى لطيف يتخلص به الى غرض لم يعتمده ، الا ان طبعه السليم .. نفسي تياره واوقد بالهاع تاره ...(١)

وقد بحث ابو هلال في وحدة المعنى ولمّح الى وحدة الموضوع في قوله :

وينبغي ان تجعل كلامك مشتبها اوله باخره ، ومطابقا هاديه لعجزه ، ولا تتخالف اطرافه ، ولا تتنافر اطراره ، وتكون الكلمة منه موضوعة مع اختها ، ومقرونة بلفقها (٢)

اما الباقلاني فكثيرا ما كان يطالب الشعراء ان يصلوا بين معانيهم ، والايثبوا من معنى الى اخر الا اذا كان بسبب منه ، وان يتلطفوا في ربط الكلام والتماس المناسبة له ، وقد انتقد على ابي تمام قوله :

واغرّني الزمن البهيم محجل	قد رحت منه على اغرّ محجل
كالهيكل المبنى الا انـــه	في الحسن جاء كصورة في هيكل

لان البيت الاول لم يتفق فيه خروج حسن ، بل هو مقطوع عما سلف من الكلام ...(٣) وقد اتخذ الباقلاني الوحدة وحسن الارتباط في اجزاء القرآن دليلا على اعجازه ، فقال :

" انظر الى ما اجرى له الكلام من علو امر هذا النداء وعظم شان هذا الثناء ، وكيف انتظم مع الكلام الاول ، وكيف اتصل بتلك المقدمة وكيف وصل بها مابعدها من الاخبار عن الربوبية ، وما دل به عليها ... من قصة الى قصة ومن باب الى باب ، من غير خلل يقع في نظم الفصل الى الفصل ، وحتى يصور لك الفصل وصلا ببديع التاليف وبليغ التنزيل ... فمتى تهيا لبليغ

---

(١) زهر الاداب : ج ٣ ص ١٧ (٢) الصناعتين ١٠٦ (٣) اعجاز القران ١٠٦

ان يتصرف في قدرآية في اشياء مختلفة فيجعلها مؤتلفة من غير ان يبين على كلامه اعياء الخروج والتنقل او يظهر على خطابه اثار التكلف والتعمل ؟ حتى تهيأ للادمي ان يقول في وصف كتاب سليمان عليه السلام بعد ذكر العنوان والتسمية هذه الكلمة الشريفة العالية : "الا تعلوا عليّ واتوني مسلمين " والخلوص من ذلك الى ٠٠٠٠ تعلم [١] براعته بنفسه وعجب ٪ معناه وموضع اتفاقه في هذا الكلام ٠٠٠٠ وملاءمته لما قبله ٠٠٠٠" [٢]

ومن كلامه الذى يقارن فيه القرآن بالشعر :" الا ترى ان كثيرا من الشعراء قد وصف بالنقص عند التنقل من معنى الى غيره والخروج من باب الى سواه ، حتى ان اهل الصنعة قد اتفقوا على تقصير البحترى مع جودة نظمه وحسن وصفه ، في الخروج من النسيب الى المديح ، واطبقوا على انه لايحسنه ولا ياتي فيه بشيء ، وانما اتفق له في مواضع معدودة خروج يرتضى وتنقل يستحسن ٠٠٠ ونحن نبين ان القران على اختلاف ما يتصرف فيه من الوجوه الكثيرة والطرق المختلفة يجعل المختلف كالمؤتلف والمتباين كالمتناسب ٠٠٠ وهذا امر عجيب تتبين في الفصاحة وتظهر به البلاغة [٣] ٠٠٠٠

ويدخل في ذلك تلاؤم المعاني ، وقد عاب العسكرى على الاعشى قوله :

وان امرءا اسرى اليكِ ودونه ... سهوب وموماة وبيداء سملق

لمحقوقة ان تستجيبي لصوته ... وان تعلمي ان المعان موفق

لان الشطر الاخير لايشاكل ما قبله ، وقول عنترة :

حرق الجناح كأن لحيي رأسه ... جلمان بالاخبار هش مولع

لان قوله : بالاخبار هش مولع ، ليس من صفة جناحه ولحييه في شيء ، وقول السموال :

فنحن كما المزن ما في نصابنا ... كهام [٤] ولا فينا يعد بخيل

اذ ليس قوله : ما في نصابنا كهام ، من قوله : فنحن كماء المزن ، ولو قال :

ونحن ليوث الحرب ، ما في نصابنا كهام ٠٠ لكان مستويا ، ومن المتنافر

---

(١) اعجاز القران ١٠٦ (٢) جواب متى (٢) اعجاز القران : ٨٩

(٣) ٢١ (٤) ضعيف جبان

الصدر والاعجاز قول ابي تمام :

محمد ان الحاسدين حشود   وان مصاب المزن حيث تريد [(١)]

<u>استقلال البيت او تجنب التضمين :</u> يعني النقاد بكلمة " تضمين " معنيين مختلفين : يقصدون بها استعارة بيت من الشعر ، او فقرة من الحكمة ، او آية قرآنية ، او حديث شريف ، او قول مأثور ، وتضمينه في اثناء القصيدة ، كقول الشاعر :

اذا دلـه عزم على الحزم لم يقل   "غداً غدها ان لم تعقها العوائق [(٢)]

والمعنى الثاني لهذه الكلمة : ان يكون البيت بحاجة الى غيره ليتم معناه كقول الشاعر :

كأن القلب ليلة قيل يغدى   بليلى العامرية او يراح

قطاة غرها شرك فباتت   تجاذبـه وقد علق الجناح

وقد استقبح العسكري من هذين البيتين ان الاول لم يتم معناه حتى اتمه البيت الثاني [(٣)] ، وقد اعار النقاد هذه القضية اهتماما كبيرا ، وعدوا الخروج عليها من العيوب الكبيرة في الشعر وقد مدح الجرجاني بعض القصائد بقوله : " ترى كل بيت مستقلا بنفسه ، تباهي معانيه بالفاظه الغر" [(٤)] .

وقد أُعجب المرزباني بابيات امرىء القيس في وصف الليل ، ولكنه عاب عليـه زلة واحدة " لا يعرفها الا امراء الكلام والحذاق بنقد الشعر وتمييزه " وهي قولـه :

فقلت له لما تمطى بصلبه   واردف اعجازا وناء بكلكل

الا ايها الليل الطويل الا انجلي   بصبح وما الاصباح منك بامثل

فلم يشرح ما قال الا في البيت الثاني فصار مضافا اليه متعلقا به ، وهذا عيب عندهم ، لان خير الشعر ما لم يحتج بيت منه الى بيت اخر ، وخير الابيات ما استغنى بعض اجزائه ببعض [(٥)] ويغالي المرزباني في مكان اخر من "الموشح" في استهجان الشعر المضمن ، ويعده من

---

(١) الصناعتين ص: ١٠٨ ، ١٠٩ (٢) الصناعتين ٢٦ (٣) الصناعتين : ٢٦ (٤) يتيمة الدهر ٣: ٢٥٤ (٥) الموشح : ٣٣ .

العيب الشديد ، ولا تقف الاجادة فى رايه عند استقلال البيت ، بل تتعدى ذلك الى استقلال مقاطعه ، ويمثل على رايه بقول النابغة :

ولست بمستبق اخا لا تلمه　　　على شعث ، اى الرجال المهذب

لان الانسان لو تمثل ببعض هذا البيت لكفاه : ان قال : اى الرجال المهذب ، كفاه ، وان قال : ولست بمستبق اخا لا تلمه على شعث ، كفاه ايضا [١] ، ويتابعه على ذلك قدامة بن جعفر فبعد ان يستنكر التضمين يقول : واعلم ان الشاعر اذا اتى بالمعنى الذى يريد او المعنيين فى بيت واحد كان فى ذلك اشعر منه اذا اتى بذلك فى بيتين ؟ وكذلك اذا اتى شاعران بذلك ، فالذى يجمع المعنيين فى بيت اشعر من الذى يجمعهما فى بيتين [٢].

اما صاحب " نقد الشعر فيسمى ذلك " بالمبتور " : وهو ان يطول المعنى عن ان يحتمل العروض تمامه فى بيت واحد ، فيقطعه بالقافيه ويتمه فى البيت الثاني ، مثال ذلك قول عروة بن الورد :

فلو كاليوم كان عليَّ امري　　　ومن لك بالتدبر فى الامور

فهذا البيت ليس يقوم بنفسه فى المعنى حتى يكمله قوله :

اذا لملكت عصمة ام وهب　　　على ما كان من حسك الصدور [٣]

. . . .

على اننا ننبه الى ان استقلال البيت لا يخالف الوحدة فى القصيدة ، ولا يرمي النقاد من ورائه الى تفكيك اجزاء الموضوع . وغاية ما يستهدفون به : ان يقوم المعنى فى بيت واحد ، بدل ان يقوم فى جملة ابيات ، ليسهل حفظه ، وتطمئن النفس الى الاستشهاد به .

---

(١) الموشح ٢٦١ ـ ٢٦٢ (٢) نقد النثر : ٧٨ ـ ٧٩ (٣) نقد الشعر : ١٣٠ ، وحسك الصدور كناية عن شدة الغيظ الكامن فى نفسه .

حتى ان الباقلاني يجمع بين الرأيين : وحدة الموضوع واستقلال الابيات ، في كلام واحد ز
نال عن هذين البيتين :

ماذا عليك من انتظار متيم   بل ما يضرّك وقفه في منزل
ان سيل عيّ عن الجواب فلم يطق   رجعا ، فكيف يكون ان لم يسال

" لست انكر حسن البيتين وظرفهما ... الا ان البيت الاول منقطع عن الكلام المتقدم [1] ضربا من الانقطاع . لانه لم يجر لمشافهة العاذل ذكر وانما جرى ذكر العذال على وجه لا يتصل هذا البيت به ولا يلائم "

فنرى الباقلاني ينبه الى ضرورة اتصال المعنى بما قبله ، ثم يتابع كلامه فيقول :

" واما البيت الثاني فانه معلق بالاول لا يستقل الا به ، وهم يحيبون وقوف البيت على غيره ويرون ان البيت التام هو المحمود . والمصراع التام بنفسه بحيث لا يقف على المصراع الاخر ، افضل واتم واحسن [2] ".

....

حسن الانتهاء : اذا كانت الاجادة المطالع منبهة للسامع ووسيلة لاثارة استحسانه ، فان من دلائل الشاعرية كذلك ان يعرف الشاعر اين يقف وكيف ينتهي من قصيدته ، لان اخر القصيدة هو اخر ما يبقى من الاذهان ، قال العسكري : فينبغي ان يكون اخر بيت في قصيدتك اجود بيت فيها وادخل في المعنى الذى قصدت له في نظمها كما فعل ابن الزبعرى في اخر قصيدة يعتذر فيها الى النبي صلى الله عليه وسلم ويستعطفه :

فخذ الفضيلة عن ذنوب قد خلت   واقبل تضرع مستضيف تائب

فجعل نفسه مستضيفا ، ومن حق المستضيف ان يضاف ، واذا اضيف فمن حقه

---

(١) اى منقطع عن البيت الذى قبله ، ولم يذكره الباقلاني (٢) اعجاز القران : ١٠٥

ان يصان ، وذكر تضرعه وتوبته مما سلف ، وجعل العفو عنه مع هذه الاحوال فضيلة ، فجمع في هذا البيت جميع ما يحتاج اليه في طلب العفو ... ومثله قول بشر بن حازم في اخر قصيدته :

ولا ينجي من الغمرات الا — براكاء القتال او الفرار

فقطعها على مثل سائر ، والامثال احب النفوس لحاجتها اليها عند المحاضرة او المجالسة(١)

....

المفاضلة بين الالفاظ والمعاني : من ادق المشاكل التي عالجها النقاد في هذا العصر مشكلة المفاضلة بين اللفظ والمعنى . ويصعب على الباحث اليوم ان يصل الى الرأي الصريح لبعض هؤلاء النقاد ، لشدة مايحوم حوله من الغموض والتباين :

فالامدي مثلا يفضل المعنى على اللفظ ، لان المعنى هو ضالة الشعراء وطلبتهم ، وبالمعنى دون ما سواه فضل امرؤ القيس لان الذي في شعره من دقيق المعاني وبديع الوصف ولطيف التشبيه وبديع الحكمة فوق ما استعار سائر الشعراء ... ولولا لطيف المعاني واجتهاد امرؤ القيس فيها لما تقدم على غيره ولكان كسائر الشعراء ....(٢) وآية ذلك انك اذا ترجمت بعض معاني ابي تمام الى لغة اخرى ، فسيبقى اشراقها لروعة معانيها : فلو نظم ابو تمام بالفارسية او الهندية قوله :

واذا اراد الله نشر فضيلة — طويت اتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت — ما كان يعرف فضل عرف العود

او قوله : هي البدر يغنيها تودد وجهها — الى كل من لاقت وان لم تودد

او ما اشبه هذا من بدائعه ، وفسره لنا مفسر بكلام عربي منثور ، لبقي في نظر الامدي شاعرا

---

(١) الصناعتين : ٣٥٤ (٢) الموازنة ٢١٠

محسنا باعثا شعراء زمانه من اهل اللغة العربية على طلب شعره وتفسيره واستعارة معانيه (١)

ولكن الامدى لايلبث ان يناقض نفسه فى بداية الفصل الثاني ، فيزعم: "انّ دقيق المعاني موجود فى كل لغة ، وان الشعر عند اهل العلم به ما هو الا حسن التاني واختيار الكلام ووضع الالفاظ فى مواضعها ، ... فان اتفق مع هذا معنى لطيف او حكمة غريبة او ادب حسن ، فذلك زائد فى بهاء الكلام ، وان لم يتفق فقد قام الكلام بنفسه واستغنى عما سواه ، واذا كانت طريقة الشاعر غير هذه الطريقة ، وكانت عبارته مقصرة عنها ولسانه غير مدرك لما يعتمد من دقيق المعاني : وفلسفة يونان او حكمة الهند او ادب الفرس ... فقد جاء بالحكمة والفلسفة ، واستحق لقب حكيم او فيلسوف ، ولكنه لايستحق لقب شاعر ، اذ ان سوء التاليف وردىء اللفظ يذهب بطلاوة المعنى الدقيق ويفسده ويعميه" (٢)

فايهما يوثر الامدى : اللفظام المعنى ؟ فقد تقول ان راى الامدى الى جانب اللفظ ظاهر فى تفضيله طريقة البحترى على طريقة ابي تمام ، ولكننا نرد على ذلك ان كلام المؤلف الاول فى تفضيل المعاني ظاهر كذلك ، ثم انه لم ياخذ على ابي تمام كما سنرى الاغموضه واستقامه واحالته ، اما دقة المعاني وطرافتها فموضالة الشعراء اذا جاءتهم منطقية صحيحة .

ومثله العسكرى ، فهو تارة ينحاز الى جانب الالفاظ ، ولايهمه من المعاني الا ان تكون على صواب ، لان المعاني يعرفها العجمي والقروى والبدوى ، ولان الخطب الرائعة والاشعار الرائقة ماعملت لافهام المعاني فقط ، فان الردىء من الالفاظ يقوم مقام الجيد منها فى الافهام ، وانما الشان فى جودة اللفظ وصفائه ، وحسنه وبهائه (٣) .... والكلام اذا كان لفظه غثا ، ومعرضه رثا كان مرذولا ولو احتوى على اجل معنى وانبله وارفعه وافضله

---

(١) الموازنه : ٢٢١ (٢) الموازنة ٢١١-٢١٢ (٣) الصناعتين : ٤١-٤٢

كقول الشاعر :

لما اطعناكم فى سخط خالقنا لا شك سل علينا سيف نقمته

وقول الاخر :

ارى رجالا بادنى الدين قد قنعوا وما اراهم رضوا فى العيش بالدون

فاستغن بالدين عن دينا الملوك كما اسـ تغنى الملوك بدنياهم عن الدين

فهذا لايدخل فى جملة المختار ، ومعناه كما ترى فاضل جميل" (١)

ولكنه يعود فيساوى اللفظ بالمعنى ، اذ ان حاجة البليغ الى اصابة المعنى كحاجته الى تحسين اللفظ ٠٠٠٠٠٠ وفى الكلام نفسه نرى العسكرى يقف موقفا ثالثا فيقرر ان المدار على اصابة المعنى ، لان المعاني تحل من الكلام محل الابدان ، والالفاظ تجرى معها مجرى الكسوة (٢) ؛

واذا كان لنا ان نستنتج شيئا من هذا التناقض ، فانما نستنتج ان هؤلاء النقاد كانوا يحرصون على جمال الالفاظ حرصهم على روعة المعاني ، ولايعرفون ايهما يفضلون ، وقد مر بنا ان العسكرى والباقلاني وابن شهيد كانوا يرون ان جمال الالفاظ لايتوقف على حلاوتها وجرسها فحسب ، بل على ملاءمتها لمقتضى الحال لان مدار الكلام على الافهام كما يقول العسكرى وعلى موقع الحاجة كما يقول الباقلاني ، وهى خطوة حسنه فى ربط اللفظ بالمعنى يظهر اثرها فى القرن التالي عند عبد القاهر الجرجاني فى مايدعوه "بالنظم المعنوى (٣)" . والواقع ان اختلاف هؤلاء الادباء فى قضية اللفظ والمعنى يكاد يكون شكليا لايتعدى الظواهر ، والذى يتعقب الامثلة التي كانوا يستشهدون بها على الكلام الجيد يندر ان يقع على ابيات جيدة اللفظ رديئة المعنى ، اوجيدة المعنى رديئة اللفظ . وفى الحقيقة

---

(١) الصناعتين : ٤٩ (٢) الصناعتين ٥١ (٣) راجع كتاب : دلائل الاعجاز : ٤٣ مطبعة السعادة : مصر .

فان ه على هذين الطرفين معا تعتمد الفنون البديعية ، فاما الفصاحة فكانت تحوم حول الالفاظ والقوالب ، واما البلاغة فكانت تدور على الصور والمعاني ، قال العسكري : فعلى هذا تكون الفصاحة والبلاغة مختلفتين ، وذلك ان الفصاحة تمام آلة البيان ، فهي مقصورة على اللفظ لان الالة تتعلق باللفظ دون المعنى ، والبلاغة انما هي انهاء المعنى الى القلب فكانها مقصورة على المعنى [1]، ولعل رأى النحوى الكبير ابن جني هو خير ما قاله هؤلاء الادباء في قضية المعنى واللفظ :

يرى ابن جنى ان العناية بالالفاظ امر لاينفصل عن العناية بالمعاني ، بل هو من اهم الوسائل للعناية بها ، لان الالفاظ عنوان المعاني وطريق الى اظهار الاغراض ، وعلى الادباء ان يصلحوا الفاظهم ويرتبوها ويبالغوا في تحبيرها وتحسينها ليكون ذلك اوقع لها في السمع واذهب بها في الدلالة على القصد ، فالمثل المسجوع يلذ سامعه فيحفظه وينتفع بمعناه واذا راينا العرب قد اصلحوا الفاظهم وحسنوها وصحوا حواشيها وهذبوها وصقلوا غروبها وارهفوها ، فالعناية اذ ذاك لخدمة المعاني ، وما زالت المعاني اقوى عندهم واكرم عليهم وافخم قدرا في نفوسهم . ونظير ذلك : اصلاح الوعاء وتحصينه من اجل الاحتياط للموعى عليه والوقايه له [2]

نعم ان الالفاظ خدم للمعاني ، والمخدوم لاشك اشرف من الخادم ، ولكن العرب انما تحلى الفاظها وتدبجها وتزخرفها ، عناية بالمعاني التي وراءها وتوصلا بها الى ادراك مطالبها [3] : ياخذ ابن جني هذين البيتين المشهورين :

ولما قضينا من منى كل حاجة ... ومسح بالاركان من هو ماسح

اخذنا باطراف الاحاديث بيننا ... وسالت باعناق المطي الاباطح

فيرى ان للعناية بالفاظهما اثرا كبيرا جدا في جمال معانيهما : فالذين يظنون ان جمال —

---

(١) الصناعتين : ٧ (٢) الخصائص ١ : ٢٢٣ — ٢٢٥ (٣) الخصائص ٢٨٨

الالفاظ فيما لها من موسيقيه ونغم فحسب يظنون ان كل ما كسبه هذان البيتان من العناية بالفاظهما انما هو حلاوة وتعهط على السمع واستشراف اللسان الى ترديدهما ، اما معناهما فهو : لما فرغنا من الحج ركبنا الطريق راجعين وتحدثنا على ظهور الابل ! ذلك هو ظن العسكري ومؤلف : نقد الشعر [1] !

اما ابن جني ، فيرى ان العناية بهذه الالفاظ قد قلبت المعنى راسا على عقب ، والذى يظن ان غاية الشاعر الى هذا الحد من القرب فهو جافي الطبع قصير النظر ، «ذلك ان قوله : كل حاجة ، يفيد منه اهل النسيب والرقة مالا يفيده غيرهم ، الا ترى من حوائج منى اشياء كثيرة : منها التلاقي ، ومنها التشاكي ، ومنها التخلي ، الى غير ذلك مما هو تال له ومعقود الكون به ، وكأنه موه [2] عن هذا الموضع الذى اومأ اليه ، وعقد غرضه عليه ، لقوله : ومسح بالاركان من هو ماسح ... واما البيت الثاني : اخذنا باطراف الاحاديث بيننا ، فان فيه من المعنى ما يعجب الانسان منه ، فالحديث بين الاليفين شائع عنهم واسع فى محاوراتهم :

وان حديثا منك لو تبذلينه جنى النحل فى البان عوذ مطافل

فكيف به اذا قيده بقوله : باطراف الاحاديث ، فان فى ذلك : وحيا خفيا ورمزا حلوا ! فانه يريد باطرافها مايتعاطاه المحبون : من التعريض والتلويح والايماء دون التصريح ، وذلك احلى وادمث واغزل وانسب من ان يكون مشافهة وكشفا ومصارحة وجهرا ... وفى قوله

وسالت باعناق المطي الاباطح

من الفصاحة مالاخفاء به ، والامر فيه اسير واشهر [3] ؟ ! "

فمهمة الاديب اذن لاتكتفي بالغوص على المعاني وتدقيقها ، بل ان الى جانبها مهمة اخرى : هي اختيار اللباس الاجمل لهذه المعاني ، واذ يشارك الفيلسوف والعالم الاديب

---

(١) نقد الشعر : ١٩ ، ٢٢ والصناعتين : ٤٢ (٢) هذا تعبيرنا ، ويقابل كلمة : "صانع" فى كلام ابن جني والكلمتان لهما معنى واحد كما يدل سياق الحديث (٣) الخصائص ٢٢٥-٢٢٩

في لطف الفهم ودقة التفكير ، يصبح امتياز الفن الادبي عن العلم والفلسفة ، باتقان القالب الذى تبرز فيه المعاني وتجميله ، فالمعنى هو المادة العامة التي يتصرف بها الاديب ، ولكن منزلة الاديب تعود كذلك الى الموهبة والفن اللذين يستطيع بهما ان يكيف هذه المادة على اجمل صورة واقربها الى النفوس ، ومن هذه الجهة نرى ان الاديب مفكر عملي فنان ، يرى مايراه المفكرون ، ولكنه هو الذى يستطيع من دونهم ان يذيع آراءه بين الناس ويؤدى اليهم رسالة الفكر السامي بما منحه الله من فن وموهبه . ومن الحق ان نعترف للاديب بنوع خاص من المعاني لايشاركه فيها غيره من الناس ، ويمتاز بها امتيازه بروعة القوالب وجمالها : تلك هي الصور والمعاني الشعرية :

ماكل ما يتمنى المرء يدركه   تجرى الرياح بمالا تشتهي السفن

كل انسان يستطيع ان يقول : ان الحظوظ لاتجيب جميع الرغبات ، ولكن الشاعر الملهم هو الذى بمقدوره ان يقرن الى هذه الحقيقة صورة صريحة تمثلها : صورة السفينة تناوئها الرياح : فاذا كان من السهل علينا ان نقول :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه

فان من الصعب على غير المتنبي وامثاله ان يقولوا :

تجرى الرياح بمالا تشتهي السفن

ونختم هذا البحث بكلمة للعسكرى في العناية بالمعاني والالفاظ معا اذ يقول : وينبغي ان يطلب الاصابة في جميع ذلك ، ويتوخى فيه الصورة المقبولة والعبارة المستحسنة ، ولا يتكل فيما ابتكره على فضيلة ابتكاره اياه ، ولايغره ابتداعه له فيساهل نفسه في تهجين صورته ، فيذهب حسنه ويطمس نوره ويكون فيه اقرب الى الذم منه الى الحمد [1]

اهـ

---

(١) الصناعتين : ٥١

الباب الخامس

الصناعة المعنوية

اصابة المعاني: لاجادة المعاني شروط كثيرة : اهمها : ان يكون المعنى صحيحا ، وقد اخذ الآمدى على ابي تمام قوله

لو كان في عاجل من آجل بدل لكان في وعده من رفده بدل

قال الامدى : ولم لايكون في عاجل من آجل بدل ؟ ! الناس كلهم على اختيار العاجل وايثاره وتقديمه على الاجل . الا ترى قول القائل الذى صار مثلا : والنفس مولعة بحب العاجل ، والعاجل ابدا هو المطلوب المرغوب فيه ، حتى ان قليله يؤثر على كثير الاجل ، كما قال الاخر:

اعاذل : عاجل ما اشتهى احب من الاكثر الرائث

كانه يريد : عاجل ما اشتهى مع القلة احب اليّ من الاكثر المبطئ.[1]

والعسكرى يرى المحال الذى لاوجه له في قول الشاعر :

واني اذا لا ما الموت حل بنفسها يعزال بنفسي قبل ذاك فاقبر

فهذا شبيه بقول قائل لو قال : اذا دخل زيد الدار ، دخل عمرو قبله . وهذا عين المحال الممتنع[2] واخذ على امرئ القيس قوله :

الم تسأل الربع القديم بعسعسا كأني انادى إذْ أُكَلم اخرسا

فشبه الربع بالاخرس ، والخرس احد صفات الربع ، قال العسكرى : هذا التشبيه فاسد لاجل انه لايقال : كلمت حجرا فلم يجب فكانه كان حجرا ، والجيد منه قول كثير في امراة :

فقلت لها ياعز كل مصيبة اذا وطّنت يوما لها النفس ذلت

كاني انادى صخرة حين اعرضت من الصم لو تمشي بها العصم زلت[3]

---

(١) الموازنة ١٠١ (٢) الصناعتين : ٧٢ (٣) الصناعتين ٥٢

واخذ على الراعي قوله :

يكسو المفارقَ واللباتِ ذا ارج　　　من قصب معتلف الكافور درّاج

لانه اراد المسك فجعله من قصب الظبي ، والقصب : المعى ، وجعل الظبي يعتلف الكافور فيتولد منه المسك ، قال العسكري : وهذا من طرائف الغلط ، وقريب منه قول زهير :

يخرجن من شربات ماؤها طحل　　　على الجذوع يخفن الغم والغرقا

ظن ان الضفادع يخرجن من الماء مخافة الغرق [١] !

وفي العقد : عيب على ابي ذؤيب قوله في وصف الدرة :

فجاء بها ما شئت من لطمية　　　يدوم الفرات فوقها ويموج

لان الدرة لا تكون في الماء الفرات ، انما تكون في الماء المالح [٢]

ويلي ذلك : الوضوح : وقد كان اشد ما ذم به شعر ابي تمام والمتنبي : غموض المعاني ، قال الجرجاني : "اجتلب ابو تمام المعاني الغامضة وقصد الاغراض الخفية ، فاحتمل فيها كل غث ثقيل ، وارصد لها الافكار بكل سبيل ، فصار هذا الجنس من شعره اذا قرع السمع لم يصل الى القلب الا بعد اتعاب الفكر وكدّ الخاطر والحمل على القريحة [٣] ... فمن ذلك قوله

جهمية الاوصاف الا انهم　　　قد لقبوها جوهر الاشياء

وقولـــه

يوم افاض جوى اغاض تعزيا　　　خاض الهوى بحري حجاه المزبد [٤]

على ان الجرجاني لا يغالي كثيرا في اهمية الوضوح ويعترف بان الشاعر الفحل هو الذي تحدق الظنون بمعانيه وتذهب بالخيال كل مذهب ، هو الذي تعلو معانيه على افكار القارئ

---

(١) الصناعتين : ٥٣-٥٤ (٢) العقد ٣ : ١٦١ (٣) الوساطة ٢٢ (٤) الوساطة ٢٣-٢٤

وتحمله على بذل شيء من الجهد للوصول اليها :

يظل اجتهادى بينهن مقصرا وتمسي ظنوني دون غايتها حسرى

اذا رمت ان ادنواليها تمنعت وحق لها فى العدل ان تظهرالكبرا

عن يتيمه الدهر ٣: ٢٥٥

" " " ١: ١٥٨ ويستحسن الثعالبي ان يتناول الشاعر معانيه بالرمز والاشارة الدقيقة كقول ابي الطيب

الى الذى تهب الدولات راحته ولايمن على آثار موهوب

وكقـولـه: فراق ومن فارقت غير مذمم وامٌ ومن يممت خير ميمم

وقد استحسن صاحب " نقد الشعر "الاشارة : وهى ان يكون اللفظ مشتملا على معان كثيرة

بايماء اليها او لمحة تدل عليها ... واستشهد بقول امرئ القيس:

فان تهلك شنوءه او تبدّل فسيرى ان فى غسان خالا !

لعزهم عززت وان يذلوا فذلهم اناك ما انالا

" فبينة هذا الشعر على ان الفاظه مع قصرها قد اشيربها الى معان طوال : فمن ذلك قوله :

تهلك او تبدل ، ومنه قوله : ان فى غسان خالا ! ومنه ما تحته معان كثيرة وشرح ، وهو قوله

اناك ما انالا " . ويقول الآخر :

هاج ذا القلب من تذكر جمل ما يهيج المتيم المحزونا

" فقد اشار هذا الشاعر بقوله : مايهيج المتيم المحزونا ، الى معان كثيرة " من نقد الشعر

٩٠ ـ ٩١ ويلي ذلك : وضع الامور فى مواضعها : فلا ينبغي للشاعر ان يمدح الكاتب بالشجاعة

ولا الفقيه بالكتابة ... ولا يخاطب النساء بغير مخاطبتهن ، ولكن يمدح كل احد بصناعته

وبما فيه لا من فضيلته ، ويهجيه برذيلته ومذموم خليقته ... فان فى مفارقة هذه السبيل وضعاً

للاشياء فى غير مواضعها [1] . وتتوقف اصابه المعنى : على مراعاة مقتضى الحال ، فلا

---

(١) نقد النثر : ٧٧

يجيز الامدى للبحترى ان يقول فى مدح المعتز بالله

لا العذل يروعه ولا التعنيف عن كرم يصده

"فهذا من اهجن مايمدح به خليفة ، ومن ذا يعنف الخليفة او يصده ؟ان هذا بالهجاء اولي منه بالمدح (١)".

ولا يجيز العسكرى للاخطل ان يقول فى عبد الملك

وقد جعل الله الخلافة منهم لابلج لاعارى الخوان ولا جدب

"لان مثل هذا الا يمدح به الملوك (٢) ".

ومن لطيف ما فطن اليه سيف الدولة استنكاره كلمة المنكوح فى بيت مادحه :

فغدا لنا من جودك الماكول والمشروب والمنكوح والملبوس

"فان الملوك لا تخاطب بمثل هذا (٣)".

ويذمون المعاني " المتقعرة " ومن ذلك قول ابي تمام :

ساحمد نصراً ما حييت وانني لاعلم ان قد جل نصر عن الحمد

"فانه رفع الممدوح عن الحمد الذى ندب الله عباده اليه بان يذكروه بالله به وينسبوه اليه! ..

... وللعرب فى ذكر الحمد ما هو كثير فى كلامها واشعارها . ما فيهم من رفع احدا عن ان يحمد ولا من استقل الحمد للممدوح ، قال زهير بن ابي سلمى :

متصرف للمجد معترف للرزء نهاض الى الذكر

اى حيث ما راى خلة تكسبه الحمد التمسها .... وقال الاعشى :

ولكن على الحمد انفاقه وقد يشتريه باغلى ثمن (٤) ".

على اننا لا نرى راى الامدى فى بيت ابي تمام ، لان من كرم الاخلاق ان يزهد المحسن فى الثناء ويترك الحمد لله جل جلاله ، وفى القران الكريم نفسه مايخالف راى الامدى . قال تعالى على

---

(١) الموازنة ١٨٨ (٢) الصناعتين ٥٥ (٣) يتيمة الدهر ١٣-١٤ (٤) الموازنة : ١٠٧-١٠٨

لسان المتقين : " ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا . انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكورا [١]" وابو تمام وان اخطاء حسن التعبير فى قوله : جل عن الحمد فانه اصاب المعنى . وفرق كبير بين ان يعمل الانسان الخير للخير ، وان يعمله حبا فى المجد والثناء .

ويدخل فى ذلك صحة المقابلة : « وهي ان يصنع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض ، او المخالفة بينهما ، فياتي فى الموافق بما يوافق ، وفى المخالف بما يخالف على وجه صحيح . او بشرط شروطا ويعدد احوالا فى احد المعنيين ، فيجب ان ياتي فيما يوافقه بمثل الذى شرطه وعدده ، وفيما يخالف بضد ذلك ، كما قال الشاعر :

واذا حديث ساءني لم اكتئب   واذا حديث سرني لم آشر

فجعل بازاء سرني ساءني ، وبازاء الاكتآب : الاشر ، وهذه المعاني غاية فى التقابل » [٢] وقد يدعون ذلك : بالطباق ، والنقاد مولعون كثيرا بهذا الباب : كان الخوارزمي يقول : امير شعراء العصر ابو الطيب وامير شعره قصيدته التى اولها :

من الجآذر فى زى الاعاريب   حمر الحلى والمطايا والجلابيب

وامير هذه القصيدة قولـه :

ازورهم وسواد الليل يشفع لي   وانثنى وبياض الصبح يغرى بي

لانه جمع فيه اربعة من الطباق ، وهي : الزيارة والانثناء ، والسواد والبياض ، والليل والصبح ، والشفاعة والاعزاء [٣] .

وعاب صاحب " نقد الشعر " على ابي علي القرشي فساد المطابقة فى قوله :

يا ابن خير الاخيار من عبد شمس   انت زين الدنيا وغيث الجنود

" فليس قوله : غيث الجنود موافقا لقوله زين الدنيا ولامضادا له ، وذلك عيب [٤]".

---

(١) سورة الدهر (٢) نقد الشعر لقدامة ٧٩ـ٨٠ (٣) خاص الخاص : ١١٧ (٤) نقد الشعر

والافراط ظاهر في هذا الحكم ، اذ يفيد المؤلف المعنى بالمخالفة او الموافقة ، في حين يريد الشاعر مجرد العطف .

ويلي ذلك صحة التقسيم : "وهو ان تقسم الكلام قسمة مستوية تحتوى على جميع انواعه ولا يخرج منها جنس من اجناسه ، كقوله تعالى : "وهو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا " قال العسكرى : وهذا احسن تقسيم ، لان الناس عند رؤية البرق بين خائف وطامع ليس فيهم ثالث [1] " ويستحسن صاحب نقد الشعر من ذلك قول النصيب :

فقال فريق القوم لا ، وفريقهم   نعم ، وفريق قال ويحك لا ادرى

فليس في اقسام الاجابة عن مطلوب اذا سئل عنه غير هذه الاقسام [2]

وعاب النقاد على جرير قوله في بني حنيفه :

صارت حنيفه اثلاثا فثلثهم   من العبيد وثلث من مواليها

" لانه غفل عن ذكر الثلث الثالث وهو مالا يجب تركه [3] .

وعلى الشاعر ان يحيط بالمعنى الذى يشرع به ويستوفي وجوهه الممكنة " كقول زهير :

هنالك ان يستخولوا المال يخولوا   وان يسألوا يعطوا وان ييسروا يغلوا

وفيهم مقامات حسان وجوهها   واندية ينتا بها القول والفعل

فلما استتم وصفهم بحسن المقال ، وتصديق القول بالفعل ، وصفهم بحسن الوجوه ثم قال :

على مكثريهم حق من يعتريهم   وعند المقلين السماحة والبذل

فلم يخل مكثرا ولا مقلا منهم من بر وفضل ، ثم قال :

فان جئتهم الفيت حول بيوتهم   مجالس قد يشفى باحلامها الجهل

فوصفهم بالحلم . ثم قال :

وان قام منهم قائم قال قاعد   رشدت فلا غرم عليك ولا خذل

---

(١) الصناعتين : ٢٦٧ (٢) نقد الشعر ٧٨ (٣) نقد الشعر ١١٨ .

فوصفهم ايضا بالتناصر والتعاون . فلما آتاهم هذه الصفات النفيسة ، ذكر فضل آبائهم فقال :

وما يك من خير اتوه فانما ... توارثه آباء آبائهم قبل

وهل ينبت الخطي الا وشيجه ... وتغرس الا في منابتها النخل [1] .

قال ابو هلال : "ينبغي ان تعرف ان اجود الوصف ما يستوعب اكثر معاني الموصوف حتى كانه يصور الموصوف لك فتراه نصب عينيك [2] . . . . " ويضيف مؤلف "نقد الشعر" شرطا اخر للوصف الجيد : فلا يكتفي من الشاعر بان يجيء "باكثر معاني الموصوف" بل عليه ان يقدم في الاختيار : اظهرها فيه واولاها (راجع ص٧٠ ــ ٧١ من نقد الشعر) وقد اعجب ذلك الاستاذ نسيب علاوي فقال : "غير ان قدامة بن جعفر حدد الوصف تحديدا فاق فيه جميع النقاد العرب اولا واخرا ، فاصاب بثاقب فكره مرمى بعيداً آفات زملاءه قاطبة : ذلك انه اهتدى الى "الاختيار" الذي ينبغي للفنان ان يعول عليه في وصف الاشياء وتمثيلها :نقد الشعر للاستاذ عازار ــ ١٥٩ "

ومن اصابة المعاني : صحة التفسير : وهي ان يضع الشاعر معاني يريد ان يذكر احوالها فيذكر ذلك فيما بعدها من الابيات ، كقول الشاعر :

فواحسرتي حتى متى القلب موجع ... بفقد حبيب اوتعذر افضال

ففسر ذلك فقال :

فراق خليل مثله يورث الاسى ... وخلة حر لايقوم بها مالي [3]

ومن فاسد التفسير :

فيا ايها الحيران في ظلم الدجى ... ومن خاف ان يلقاه بغي من العدى

تعال اليه تلق من نور وجهه ... ضياء ومن كفيه بحرا من الندى

قال صاحب : نقد الشعر : ووجه العيب فيهما ان هذا الشاعر لما قدّم في البيت الاول

---

(١) الصناعتين : ٧٥ــ٧٦ (٢) الصناعتين ٩٧ (٣) نقد الشعر : ٨١ــ٨٢

الحيرة في الظلم وبض العدى كان الجيد ان يفسر هذين المعنيين في البيت الثاني بما يليق بهما ، فاتى بالظلام(x) بالضياء وذلك صواب ، وكان الواجب ان ياتي بازاء العدى بالنصرة او بالعصمة او بالوزر او بما جانس ذلك مما يحتمى به الانسان من اعدائه فلم يات بذلك وجعل مكانه ذكر الندى (١)

ويحذر العسكري من : التناقض ، وقد ذكر بيتي عروة بن اذينة :

نزلوا ثلاث منى بمنزل غبطة   وهم على غرض لعمرك ماهم

متجاورين بغير دار اقامة   لو قد اجدّ رحيلهم لم يندموا

فعاب عليه قوله : لو رحلوا لم يندموا ، بعد ان قال : نزلوا في دار غبطة (٢)

واورد بيت المرقش الاصغر :

صحى قلبه عنها ، على ان ذكره   اذا خطرت دارت به الارض قائما

فقال : وكيف صحى عنها من اذا ذكرت له دارت به الارض (٣)

وخطاء الامدى قول ابي تمام :

وارى الامور المشكلات تمزقت   ظلماتها عن رايك المتوقد

فبسطت ازهرها بوجه ازهر   وقبضت اربدها بوجه اربد

لانه قال الامور المشكلات وجعل لها ظلمات ، ثم عاد فقال : بسطت ازهرها ، والزهرهي النيرات والمشكلات لايكون شيء منها نيرا (٤)

على ان هناك نوعا من المناقضة لاغنى عنها لاديب يصور النفس كما هي ، وفي النفس شيء كبير من التناقض ، غفل العسكري عن هذه الحقيقة فعاب على عمر بن ابي ربيعه قوله :

قالت لها اختها تعاتبها   لاتفسدن الطواف في عمر

قومي تصدى له ليبصرنا   ثم اغمزيه يااخت في خفر

---

(١) نقد الشعر ١١٩ (٢) الصناعتين : ٨٤ (٣) الصناعتين ٥٤ (٤) الموازنه ١٢٣

(x) : هكذا وردت . والاصح للظلام

لانه " ناقض في حكايته عن صاحبتها ، فذكر نهيهما اياها عن افساد الطواف فيه .... ثم انما قالت لها : قومي انظري ....[١] .

والمتأمل يرى في هذين البيتين وصفاً دقيقا " لتردد " الفتاة " وتلطفها " في التنبيه الى عمر وفي تلمس السبيل للحديث عنه . وقد فطن ابن عبد ربه الى ان من المناقضة ما يساير حال النفس وتقلباتها ، قال : " وقد يختلف معنى الشاعر ايضا في شعر واحد بقوله : الا ترى ان امرا القيس قال :

وان كنت قد ساءتك مني خليقه　　　فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

فوصف نفسه بالصبر والجلد والقوة على التمالك ، ثم ادركته الرقة والاشتياق فقال البيت الذي بعده :

اغرك مني ان حبك قاتلي　　　وانك مهما تامري القلب يفعل

مستدركا قوله في البيت الاول : فسلي ثيابي من ثيابك تنسل [٢] .

ويرى مؤلف " نقد الشعر " ان مناقضة الشاعر نفسه بان يصف شيئا وصفا حسنا ثم يذمه بعد ذلك ذما بينا غير منكر عليه ولامعيب من فعله ، اذا احسن المدح والذم ، بل هو عنده : دليل على قوة الشاعر في صناعته وامتلاكه لناحية فنه [٣] . قال ندامة :

" وانما قدمت هذين المعنيين لما وجدت قوما يعيبون الشاعر اذا سلك هذا المسلك ، فيعيبون على امرئ القيس قوله في موضع :

فلو ان ما اسعى لادنى معيشة　　　كفاني ولم اطلب قليل من المال

ولكنما اسعى لمجد مؤثل　　　وقد يدرك المجد المؤثل امثالي

وقوله في موضع اخر :

فتملأ بيتنا اقطا وسمنا　　　وحسبك من غنى شبع وري

---

(١) الصناعتين ٨٧ (٢) العقد ٣ : ١٥٢ (٣) نقد الشعر ١٤

قال من عابه زعم انه من قبيل المناقضة ،حيث وصف نفسه فى موضع بسمو الهمة وقلة الرضى بدنيء المعيشة ،واطرى فى موضع اخر القناعة ،واخبر عن اكتفاء الانسان بشبعه وريه ....

فاقول ....ان المعنيان متفقان ،الا انه زاد فى احدهما زيادة لاتنقض مافى الاخر ،...وذلك انه قال فى احد المعنيين .

فلو ان ما اسعى لادنى معيشة كفاني ولم اطلب قليل من المال

وهذا موافق لقوله : وحسبك من غنى شبع وري . ولكن فى المعنى الاول زيادة ليست بمناقضة لشيء ،وهو قوله : لكني لست اسعى لما يكفيني ولكن لمجد اوثله ،

ومع ذلك فلو قال الشاعر ذلك وذهب اليه لم يكن عندى مخطئا ،من اجل انه لم يكن فى شرط شرطه يحتاج ان لاينقض بعضه بعضا ،ولا فى معنى سلكه فى كلمة واحدة ايضا لم يجر مجرى العيب . لان الشاعر ليس يوصف بان يكون صادقا ،بل انما يراد منه اذا اخذ فى معنى من المعاني كائنا ما كان ان يجيده فى وقته الحاضر ،لاان ينسخ × اى ينقد — ماقاله فى وقت اخر (١) .

وفق المؤلف فى اباحة المناقضة ،كما وفق فى اشتراطه استحطالها باقتدار وقوة تصرف واحسان «اذا احسن المدح والذم» — اذ ليست كل مناقضة مقبولة ،وانما تحسن فى بعض الادب الموضوعي ،حينما يتكلم الاديب بلسان شخصياته على اختلاف آرائهم وطبائعهم وظروفهم ،كما تحسن فى الشعر الوجداني على ان لاتخالف الطبيعة البشرية ولايتعدى الامر وصف النفس الانسانيه فى احوالها المتقلبة . غير انه لم يصب كبد الصواب عندما حول المسالة الى قضية الصدق والكذب ،فتبدل ميول النفس ونظراتها لايعني تحولها من الصدق الى الكذب . وكذلك اخطاء المؤلف لدى محاولته نفي التقلب من كلام الشاعر الضليل . ولو

---

(١) نقد الشعر ١٤-١٦ مع شيء من التلخيص

انه احتج للشاعر بانه يصف نفسه في ظرف جديد لاصاب تمام التوفيق . ذلك مايراه ندامة في " نقد النثر " . يرى ندامة ان هذا الاختلاف بين المعنيين من قبيل " وضع الامور في مواضعها ... فوضع الشاعر طلب الرفعة وسمو المنزلة موضعها اذ كان ملكا ، لان ذلك يليق بالملوك ، ثم وضع القناعة موضعها لما زال عنه ملكه وصار كواحد من رعيته ، لان ذلك اولى بمن هذه منزلته (١).

ومن الابحاث الهامة التي خاض فيها النقاد / قضية المبالغات الشعرية : -

كان النقاد يستحسنون المبالغة في الشعر ، ومنهم من عدها من جملة الفنون البديعية التي يزدان بها الكلام ، كالباقلاني (٢) والعسكري (٣) . وابرز من تكلموا فيها واجادوا الدفاع عنها : مؤلف نقد الشعر ، وفي كلامه ما يشير الى تاثر المؤلف براى فلاسفة اليونان (٤) ، ولعله يشير الى نظرية الغلو لاسطو (٥) :

يلاحظ المؤلف في مستهل كلامه عن المبالغة ان هناك مذهبين : الاول يرى الغلو من حسنات المعنى ، والاخر يفضل الاقتصار على الحد الاوسط في ماينال منه . ولكن ما هو الاساس المنطقي الذى يبني عليه حكمه كل من الفريقين ؟ لم يكن هناك اساس معقول يعولون عليه ويدفعون به حجة من يخالفهم . بل ان منهم من يحكم في كثير من الاحيان برأي خصومه ويناقض نفسه بنفسه : فمنهم من يقول ان بيت مهلهل بن ربيعة :

فلولا الريح ، اسمع من بحجر صليل البيض تقرع بالذكور

خطاء ، لشدة ما فيه من المبالغة لانه كان بين موضع الرقة وبين حجر مسافة بعيدة جدا وكذلك كانوا يذمون الغلو في بيت ابي نواس :

واخفت اهل الشرك حتى انه لتخافك النطف التي لم تخلق

---

(١) نقد النثر ٨١ (٢) اعجاز القران ٤٥ (٣) الصناعتين ٢٨٠ ، ٢٨٧ (٤) نقد الشعر ٣٧

(٥) مقدمة نقد النثر لطه حسين : ١٩

وهؤلاء المنتقدون باعينهم كانوا يستحسنون مايرون من طعن النابغة على حسان بن ثابت في قوله :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى   واسيافنا يقطرن من نجدة دما

لانه قال : الغر ولم يقل البيض ، وقال : يلمعن بالضحى ولم يقل يلمعن بالدجى ، وقال : اسيافنا يقطرن من نجدة دما ولم يقل : يجرين ، والبياض اكثر من اللمعان ، واللمعان في الدجى اقوى من اللمعان في الضحى وجرى الدماء اغزر من تقاطرها ! .

يناقض هؤلاء الناس انفسهم اذا ، ثم انهم يخطئون في نقدهم بيت حسان ولا يفهمون معناه ، يبين المؤلف مواضع الخطاء في تحليل دقيق ، لاباس من استعراضه : ذلك ان حسان لم يرد بقوله : الغر ، ان يجعل الجفان بيضا ، ولكنه اراد بذلك المشهورات كما يقال : يوم اغر ، ويدعزاء ، يراد بذلك الشهرة والنباهة ، واما قول النابغة يلمعن بالدجى اولى على اشراق الجفان ولمعانها فغير صواب . اذا كثر الاشياء ماله ادنى نور وايسر بصيص يلمع في الليل كالكواكب والمصابيح وعيون السباع فاما في ضحوة النهار فلا يلمع من الاشياء الا ماكان ساطع النور شديد الضياء واما ان تجرى السيوف بالدماء بدل ان تقطر فتلك مبالغة ، ولكنها مبالغة غير جيدة ، والشاعر مصيب في مجانبتها !

اما راى المؤلف الخاص ، فيحبذ المبالغة ويعدها اجود المذهبين ، ويتابع في ذلك فلاسفة اليونان وهو يرى فيها اداة حسنه لتجسيم المعاني في الذهن وارسالها - امثالا شعرية نهاية في الحسن ، قال : "انما يراد بالمبالغة المثل وبلوغ النهاية في النعت ... وكل غال مفرط في الغلو اذا اتى بما يخرج عن الموجود فانما يذهب فيه الى تصييره مثلا (١) " . وعلى هذا الراى اكثر النقاد . نعم لقد رفض العسكرى المبالغة في ابيات المتنبي :

---

(١) نقد الشعر ٣٥-٣٨

توهمتها فى كاسها فكانما ... توهمت شيئا ليس يدرك بالعقل

وصفراء ابقى الدهر مكنون روحها ... وقد مات من مخبوئها جوهر الكل

فما يرتقى التكييف منها الى مدى ... تحد به الا ومن قبله قبل

ولكنه لم يعب المبالغة من حيث هى مبالغة ولكنه عاب تكلف الشاعر لها ، وما يشوبها من سوء الاستعارة وقبح العبارة ... فجعلها لاتدرك بالعقل ، وجعلها لااول لها ... وقال انما جوهر الكل وذكر كلمة : التكييف وذلك فى غاية التكلف (١) .

وكذلك الثعالبي حين يستنكر " بشاعة المبالغة " فى قول المتنبي

ونالوا ما شتهوا بالحزم هونا ... وصاد الوحش نملهم دبيبا

وقوله :

واعجب منك كيف قدرت تنشا ... وقد اعطيت فى المهد اكمالا

واقسم لو صلحت يمين شئ ... لما صلح العباد له شمالا (٢)

وهب انك تؤيد مذهب المبالغة فهل يمنع ذلك ان تشارك الصاحب بن عباد فى قوله عن هذا البيت :

لو استطعت ركبت الناس كلهم ... الى سعيد بن عبد الله بعرانا

قال الصاحب : " ومن الناس امه ، فهل ينشط لركوبها ؟ والممدوح ايضا لعل له عصبة لايحب ان يُركبوا اليه ، فهل فى الارض افحش من هذا السحب واوضح من هذا التبسط ؟ " فالنقاد اذا كانوا يقدرون جمال المبالغة وفائدتها ، ولكنهم كانوا يحذرون من المبالغات السخيفة التي تنفر منها الاذواق .

---

(١) الصناعتين ٢٨٦-٢٨٧ ملخص

(٢) يتيمة الدهر ١١٨ - ١١٩

مراعاة المعاني التقليدية : من عجيب ما يراه الباحث في الكتب النقدية في القرن الرابع ولع بعض النقاد في تحديد خطرات الشعراء والكتاب بطريقة مرسومة لايجيزون لهم الحياد عنها . فقد خطاء الامدى قول ابي تمام :

ظعنوا فكان (بكاي) حولا بعدهم ثم ارعويت وذاك حكم لبيد

اجدر بجمرة لوعة ،اطفاؤها بالدمع ان تزداد طول وقود

لان من شان الدمع ان يطفى الغليل ويبرد حرارة الحزن ويزيل شدة الوجد ويعقب الراحة واستدل المؤلف على رايه بقول امرئ القيس :

وان شفائي عبرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول

وقول ذى الرمة :

لعل انحدار الدمع يعقب راحة من الوجد اويشفى نجى البلابل

وقول الفرزدق :

فقلت لها ان البكاء لراحة به يشتفى من ظن ان لا تلاقيا

واستشهد بقول ابي تمام نفسه :

نثرت مزيده مدامع لم تنظم والدمع يحمل بعض ثقل المغرم

وقولـــه :

واقعًا بالخدود والبرد منه (١) واقع بالقلوب والاكباد

وقولـــه :

فلعل عينك ان تجود بمائها والدمع منه خاذل مواسى

وقولـــه :

فلعل عبرة ساعة اذريتها تشفيك من ارباب وجد محول

---

(١) لعل الضمير يعود الى الدمع .

فالامدى يرى ان ابا تمام «لو كان اقتصر على هذا المعنى الذى جرت به العادة فى وصف الدمع لاصاب المذهب المستقيم ، ولكنه احب الاغراب فخرج الى ما لايعرف فى كلام العرب ولا مذاهب سائر الامم »(١)

فالامدى يقدّر ان الدمع يخفف الشوق ، والشاعر يحس انه فى هذا الموقف يزيده ويلهبه ، والامدى مخطىء ولا شك فى تعميم رايه فى الدمع ، والشاعر هنا يوافق نظرية الفيلسوف الاميرى : وليم جيمس William James من ان الظواهر الانفعالية تزيد فى اضطراب الحالة النفسية فى بعض الاحيان :

وفى اكثر ابواب الشعر والنثر نجد طرقا تقليدية يرسمها النقاد للادباء :

ففى الشعر الغرامي نجد الشعراء اكثر صدقا واقرب الى الطبيعة الانسانية من النقاد . كان الشاعر يعبر عن عواطفه تعبيرا صادقا ، ويصور موقفه على نحو ما جرى له . وكان النقاد يلومون الشعراء على وصفهم هذا ويفرضون عليهم ان ينشدوا فى المراة خيالا ساميا ، وان يجردوا من انفسهم شخصية ضارعة هائمة متالمة . فنرى العسكرى يعيب قول طرفة :

واذا تسلنني السنها … انني لست بموهون فقر

"لان العاشق يلاطف من يحبه ولا يحاجه ، ويلاينه ولايلاجه " ويستشهد بقول الشاعر :

بني الحب على الجور فلو … انصف العاشق فيه لسمج

ليس يستحسن فى وصف الهوى … عاشق يعرف تاليف الحجج (٢)

فعلى الشاعر ان يقبل الجور ، وليس له ان يسال الانصاف ، وليست تعرف شريعة الهوى شاعرا يحاج ويدافع عن نفسه . بل ان النقد لايتعرف على شاعر يقف من المراة موقفا مخالفا لهذا الموقف ؟ وقد حير النقاد مذهب عمر بن ابي ربيعة — وكان عمر شاعرا واقعيا من

---

(١) الموازنه ١٠٩ — ١١٠ (٢) الصناعتين ٦٢

الطراز الاول - ورغم ان ابن ابي عتيق كان من اول المعجبين بها ، فانه لم يتمالك عندما انشده قولـــه :

بينما ينعتنني ابصرنني دون قيد الميل يعدو بي الاغر

قالت الكبرى اتعرفن الفتى قالت الوسطى نعم هذا عمر

قالت الصغرى وقد تيمتها قد عرفناه وهل يخفى القمر

ان قال له : انت لم تنسب بها وانما نسبت بنفسك . كان ينبغي ان تقول : قلت لها فقالت لي ، فوضعت خدى فوطئت عليه [١]. وقال العسكرى : انه شبب بنفسه ووصفها بذلك بالقحة ![٢]

على حين نرى ان اكابر الشعراء في عصر عمر كجرير والفرزدق والنصيب وجميل كانوا من اشد المعجبين بعمر والمثنين على طريقته . فجميل بن معمر العذرى ينشد ابن ابي ربيعة قصيدته :

لقد فرح الواشون ان صرمت حبلي بثينة او ابدت لنا جانب البخل

فينشده عمر قصيدته :

جرى ناصح بالود بيني وبينها فقربني يوم الحصاب الى قتلي

فلما وصل الى قوله :

فقمن وقد افهمن ذا اللب انما اتين الذى ياتين من ذاك اجلي

فقال جميل : هيهات يا ابا الخطّاب ! لا اقول والله مثل هذا سجيس الليالي [٣] ، والله ما يخاطب النساء مخاطبتك احد !

وسمعه الفرزدق ينشد هذه القصيدة ، فلما بلغ البيت المذكور ، صاح : هذا والله الذى ارادته الشعراء فاخطاته وبكت على الديار [٤] !

---

(١) الاغاني : ١ : ١١٩ (٢) الصناعتين ٨٧ (٣) اى: ابداً (٤) الاغاني ١: ١١٣-١١٦

على ان صاحب نقد الشعر كان انتبه الى ان فى الشعر الغزلى مذهبا اخر غير مذهب اللوعة والصبابة والتهالك ، وان لصاحب ذلك المذهب ان يعبر عن عواطفه الخاصة وان يصف مونقه من المرأة اسوة بالشعراء العاشقين ، له ان يعبر عن عبثه واستهتاره وتصابيه ، كما يعبر المدنف عن وجده وفرط حزنه و تحسيا سه . فاشار الى وجود هذين المذهبين فى الشعر ، وفرّق بينهما فى التسمية فسمى المذهب التقليدى منهما : بالنسيب وسمى المذهب الاخر : بالغزل . ولعله فى هذا هو الوحيد الذى انتبه الى افتراق هذين النوعين من الشعر ، والى ان من الحيف ان تجرى على احدهما قواعد الاخر . قال فى نعت النسيب : "اقول ان كثيرا من الناس يحتاج الى ان يعلم اولا ما النسيب" ونحن نحده فنقول ان النسيب ذكر خلق النساء واخلاقهن وتصرف احوال الهوى به معهن ، وقد يذهب على قوم ايضا موضع الفرق بين النسيب والغزل ، والفرق بينهما ان الغزل هو المعنى الذى اذا اعتقده الانسان فى الصبوة الى النساء نسب بهن من اجله ... والغزل انما هو التصابي ، والاستهتار بمودات النساء ، ويقال فى الانسان انه غزل اذا كان متشكلا بالصورة التي تليق بالنساء وتجانس موافقاتهن لحاجته بالوجه الذى يجذبهن الى ان يملن اليه والذى يميلهن اليـه هو الشمايل الحلوة والمعاطف الظريفة والحركات اللطيفة والكلام المستعذب والمزاح المستغرب ، ويقال لمن يتعاطى هذا المذهب من الرجال والنساء : متشاع ، وانما هو متفاعل من الشجى ، اى متشبه بمن شجاه الحب . واذ قد بان ان الذى تلناه على ما تلنا ، فيجب ان يكون النسيب الذى يتم به الغرض هو ما كثرت فيه الادلة على التهالك فى الصبابة وتظاهرت فيه الشواهد على افراط الوجد واللوعة ، وما كان فيه من التصابي والرقة اكثر مما يكون من الخشن والجلادة ، ومن الخشوع والذلة اكثر مما يكون فيه من الاباء والعز ، وان يكون جماع الامر فيه ما ضاد التحافظ والعزيمة ووافق الانحلال والرخاوة ، فاذا كان النسيب كذلك فهو المصاب به الغرض وقد يدخل فى النسيب

التشوق والتذكر لمعاهد الاحبة بالرياح الهابة والبروق اللامعة والحمائم الهاتفة والخيالات الطائفة وآثار الديار العافية واشخاص الاطلال الداثرة ، وجميع ذلك اذا ذكر احتيج ان تكون فيه ادلة على عظيم الحسرة[١]......»

اما الطريقة التقليدية في المديح فتحتم على الشاعر ان يقصد الى الفضائل النفسانية : من العقل والعفه والعدل والشجاعة ، وان يتجنب الاوصاف الجسدية من الحسن والبهاء والزينه[٢] . ذكر العسكري ان ابن قيس الرقيات مدح عبد الملك بن مروان بقولـــــه

يأتلق التاج فوق مفرقه	على جبين كانه الذهب

فغضب عبد الملك ، ولم يقبل هذه الصورة الشعرية الجميلة ، وقال : قد قلت في مصعب:

انما مصعب شهاب من اللـ	ـه تجلت عن وجهه الظلماء

فاعطيته المدح بكشف الغم وجلاء الظلم ، واعطيتني من المدح مالا فخر فيه[٣] . قال العسكري وليس اليسار مما يمدح به مدحا حقيقيا ، الا ترى كيف يقول اشجع السلمي :

يريد الملوك مدى جعفر	ولا يصنعون كما يصنع
وليس باوسعهم في الغنى	ولكن معروفه اوسع[٤]

والهجاء لايكون مختاراً اذا لم يسلب الصفات المستحسنه التي تختصها النفس ويثبت الصفات المستهجنه . فعلى الشاعر ان ينسب المهجو الى اللؤم والبخل والشره وليس له ان ينسبه الى قبح الوجه وصغر الحجم[٥] وضؤل الجسم . يستجيد العسكري من الهجاء قول الشاعر :

ان يغدروا او يجبنوا	او يبخلوا لا يحفلوا

---

(١) نقد الشعر ٧٣ ـ ٧٤ (٢) نقد الشعر ١١٠ـ١١١ (٣) الصناعتين ٧٣ ؛ (٤) الصناعتين ٧٤ (٥) الصناعتين : ٧٨

يغدوا عليك مرجلين   ن كانهم لم يفعلوا (١)

وقول البحترى :

وردت العتاب عليك حتى   سئمت واخر الود العتاب

وهان عليك سخطي حين تغدوا   بعرض ليس تاكله الكلاب (٢)

وللمجازات الشعرية : طريقة مرسومة من اهم اوصافها : ان يسير الشاعر من غير المحسوس الى المحسوس وما لم تجر به العادة الى ما جرت به العادة ، ومما لا يعرف بالبديهة الى ما يعرف بالبديهة . لغاية تاكيد المعنى وتوضيحه وتقريبه ، وقد مثل العسكرى على ذلك بالاية : " والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء (٣)" . واضداد هذه الصفات معيبة . وقد عاب العسكرى على الشاعر قوله :

ابقى لها التعداء من عنداتها (٤)   ومتونها كخيوطة الكتان

واورده مثالا على تشبيه الظاهر بغير الظاهر والمكشوف بالمستور والكبير بالصغير (٥) ! !

قال العسكرى : " وقد جاء فى اشعار المحدثين تشبيه مايرى العيان بما ينال بالفكر وهو ردىء وان كان بعض الناس يستحسنه لما فيه من اللطافة والدقة ، وهو مثل قول الشاعر :

وندمان سقيت الراح صرفا   وافق الليل مرتفع السجوف

صفت وصفت زجاجتها عليها   كمعنى دق فى ذهن لطيف

فاخرج ما يقع عليه الحاسة الى مالايقع عليه ، وما يعرف بالعيان الى مايعرف بالفكر (٦) "

ولا اذكر ابن مررت ينقد هذا البيت الجميل من نظم بشار :

ودعجاء المحاجر من معد   كان حديثها ثمر الجنان

لتشبيهه الحديث ، وهو مما يعرف بحاسة السمع ، بثمر الجنة ، وهو مما لا يعرف ولا يوصل اليه ! !

وقد اعزم العسكرى بتحديد المعاني التقليدية ، وبلغ فى حرصه على تحديد خطرات

---

(١) الصناعتين ٧٩ (٢) الصناعتين ٨٠ (٣) الصناعتين ١٨٠ ـ ١٨٣ (٤) اى : قوائمها

(٥) الصناعتين : ١٩٦ (٦) الصناعتين ١٨٢

الادباء ان اخذ يبحث فى شتى المواضيع التي يمكن ان تعرض للكتاب ، ويعين المعاني التي يجب ان يتناولوها ، والاساليب التي يجب ان يجروا عليها ، بل انه ليمعن فيبين لهم مواضع الاطالة والاطناب ومواضع الايجاز والانتصاب :" فالمعاني التي تنشاء الكتب فيها من الامر والنهي سبيلها ان تؤكد غاية التوكيد ... واما ما يكتبه العمال الى الامراء ومن فوقهم فان سبيل ما كان وانما منها فى انهاء الاخبار وتقرير صورما يلونه من الاعمال ويجرى على ايديهم من صنوف الاموال ، ان يمد القول فيه حتى يبلغ غاية الشفاء والاقناع .... وربما تعرض الحاجة فى انهاء الخبر الى استعمال الكناية والتوريه عن الشيء دون الافصاح ، لما فى التصريح من هتك الستر (١) .... وسبيل ما يكتب فى باب الشكر ان لايقع فيه اسهاب ، فان اسهاب التابع فى الشكر اذا رجع الى خصوصية : نوع من الابرام والتثقيل ، ولا يحسن منه ان يستعمل الاكثار من الثناء والدعاء ايضا فان ذلك فعل الاباعد الذين لا لم تتقدم لهم وسائل من الخدمة ومقدمات فى الحرمة ، او تكون صناعتهم التكسب بتقريظ الملوك واطراء السلاطين ....

وسبيل ما يكتب به التابع الى المتبوع فى معنى الاستعطاف .. ان لايكثر من شكاية الحال ورثتها ... وهذا عند الرؤساء مكروه جدا ، بل يجب ان يجعل الشكاية ممزوجة بالشكر والاعتراف بشمول النعمه ... وسبيل ما يكتب فى الاعتذار من شيء ان يتجنب فيه الاطناب والاسهاب الى ايراد النكت التي يتوهم انها مقنعة فى ازالة الموجدة ، ولايمعن فى تبرئة ساحته فى الاساءة والتقصير فان ذلك مما تكرهه الرؤساء (٢)......".

وسبيل الخطابة "ان تفتتح بالتحميد والتمجيد وتوشح بالقران وبالسائر من الامثال فان ذلك مما يزين الخطب عند مستمعيها وتعظم به الفائدة فيها ، ولذلك كانوا يسمون كل خطبة لايذكر الله فى اولها : البتراء ، وكل خطبة لاتوشح بالقران والامثال : الشوهاء (٣) .

على ان بعضهم لايرى من هذا الخروج ما يحاكيس والهلاغية .

---

(١) الصناعتين ١١٧ (٢) الصناعتين ١١٨ (٣) نقد النثر : ٨٤

على اننا نجد شيئا من التحرر عند ابن عبد ربه . لايرى هذا الاديب الاندلسي تحديد المعنى معقولا ، ويسمح للشاعر ان يتناول المعنى من وجهة نظره هو لا من وجهة نظر النقاد او الشعراء السابقين ، قال : ((وقد تختلف الشعراء في المعنى الواحد ، وكل واحد منهم محسن في مذهبه ، جار في توجيهه ، وان كان بعضه احسن من بعض ... وقد قالت الشعراء فلم تزل تمدح حسن الهيئة وطيب الرائحة واسبال الثوب : قال الفرزدق :

بنو دارم قومي ترى حجزاتهم عتاقا حواشيها رقاقا نعالها

يجرون اهداب اليماني كانهم سيوف جلا الاطباع عنها صقالها

.... وخالفهم فيه صريع الغواني فقال :

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه ولا يمسح عينيه من الكحل

وقال لبيد بن ربيعه يرثي اخاه ... ويصفه بتشمير الثوب :

كميش الازار خارج نصف ساقه بعيد من السوآت طلاع انجد

وقال اعشى بكر لعمرو بن معد يكرب :

واذا تجيء كتيبة مكروهة ملمومة يخشى العدو نزالها

كنت المقدم غير لابس جنة بالسيف تضرب معلما ابطالها

وقال مسلم بن الوليد في يزيد بن مزيد خلاف هذا كله ، وهو :

تراه في الامن في درع مضاعفة لا يامن الدهر ان يدعى على عجل

ولما انشده يزيد بن مزيد ، قال له : الا قلت كما قال الاعشى ، وانشده البيتين ، فقال قولي احسن من قوله انه وصفك بالخرق ووصفتك بالحزم [(١)] . قال ابن عبد ربه : وهذه المذاهب كلها خارجة [(٢)] في معناها ، جائزة في مجراها [(٣)]

وكذلك يخالف الامدي صاحب نقد الشعر والعسكري في رايهما ان المديح لايكون

---

(١) العقد ٣ : ١٤٩ ـ ١٥٠ (٢) يريد : جائزة (٣) العقد ٣ : ١٥١

الا بتمجيد الصفات النفسية وان الهجاء يجب ان يكون ينفي هذه الصفات وعدم التعرض الى الصفات الجسدية ، قال : ان قدامة خالف في مذهبه هذا مذاهب الامم كلها عربيها واعجميها ، لان الوجه الجميل يزيد في الهيبة ويتيمن به ، ويدل على الخصال المحمودة[1]

وقد ذكر ابن جني بعض المعاني التقليدية ، كتشبيه الاوراك بكثبان الرمل ، قال الشاعر :

ليلى قضيب تحته كثيب وفي القلاد رشأ ربيب

وقول الاخر :

ترى خلفها نصفا قناة قويمة ونصفا نقا يرتج او يتمرمر

ومثله ما جرى عليه الشعراء من تشبيه الوجوه الحسنة بطلعة البدر ، وتشبيه الناس بالجن ٠٠٠ ولكنه اباح للشاعر ، على سبيل المبالغة ، ان يتصرف في مثل هذه المعاني ، كقول ذي الرمة يشبه الرمل باوراك العذارى :

ورمل كاوراك العذارى قطعته اذا البسته المظلمات الحنادس

قال ابن جني : "وهذا كانه يخرج مخرج المبالغة ، اي قد ثبت هذا المعنى لاعجاز النساء فصار كانه الاصل فيه حتى شبه به كثبان الانقاء"

ومثله قول الطائي الصغير :

في طلعة البدر شيء من ملاحتها وللقضيب نصيب من تثنيها

وكقول المتنبي :

نحن ركب ملجن في زي ناس فوق طير لها شخوص الجمال

فجعل كونهم جنا اصلا ، وجعل كونهم ناسا فرعا ، وجعل كون مطاياه طيرا اصلا ، وكونها

---

(١) راجع كتاب : تاريخ النقد الادبي عند العرب ، للمرحوم طه احمد ابراهيم : ١٥٠-١٥١ نقلا عن بعض الكتب التي تنقل بدورها عن كتاب "تبيين غلط قدامة بن جعفر في كتابه : نقد الشعر" ولم يذكر الاستاذ اسم الكتب التي اخذ عنها ٠

جمالا فرعا ، فشبه الحقيقة بالمجاز في المعنى الذى منه افاد المجاز من الحقيقة ما افاد [١] ؛

. . . . . .

اخذ المعاني: روى ابن منظور المصرى في كتابه : اخبار ابي نواس [٢] ،ان هذا الشاعر كان يقول : ما قلت الشعر حتى رويت لستين امراة من العرب ،منهن الخنساء وليلى ،فما ظنك بالرجال ،واني لاروى سبعمائة ارجوزة ما تعرف .

وفى وفيات الاعيان ان ابا تمام كان شغوفاً بجمع الشعر واختياره ، فلة كتاب : " الحماسة " التي دلت على غزارة فضله واتقان معرفته بحسن اختياره . وله مجموع اخر سماه : " فحول الشعراء " جمع فيه بين طائفة كبيرة من شعراء الجاهليه المخضرمين والاسلاميين ، وله كتاب ثالث سماه : " الاختيارات " من شعر الشعراء وكان له من المحفوظات مالا يلحقه فيه غيره: قيل انه كان يحفظ اربعة عشر الف ارجوزة للعرب ،غير القصائد والمقاطيع [٣]

وفيه : ان ابا الطيب المتنبي كان لايسال عن شيء الا واستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر [٤] .

وذكر ابن خلكان في ترجمته لابي بكر الخوارزمي : انه قصد حضرة الصاحب بن عباد وهو بارجان . فلما وصل الى بابه ،قال لاحد حجابه : قل للصاحب : على الباب احد الادباء ، وهو يستاذن في الدخول . فدخل الحاجب واعلمه . فقال الصاحب : قل له : قد الزمت نفسي ان لايدخل علي من الادباء الا من يحفظ عشرين الف بيت من شعر العرب . فخرج اليه الحاجب واعلمه بذلك . فقال له ابو بكر : ارجع اليه وقل له : هذا القدر من شعر الرجال ام من شعر النساء ؟ فدخل الحاجب فاعاد عليه ماقال ، فقال الصاحب : هذا

---

(١) الخصائص ١: ٣٠٨-٣٠٩ مع بعض التلخيص (٢) اخبار ابي نواس: السفر الاول : مصر ١٩٢٤ ص: ٥٤ (٣) وفيات الاعيان ١: ٨ ص ١٦٩-١٧٠ (٤) وفيات الاعيان ١: ص ٥٠

يكون ابا بكر الخوارزمي [١] .

كان من نتائج هذا الانبال على الشعر بالمدارسة والاختيار والحفظ ان رسخ فى اذهان الشعراء كثير من معاني الاسلاف وصورهم وتعابيرهم ،وتسلل فيما ينظمون ، قاصدين مرة وغافلين اخرى . وكان القدماء قد استنفذوا اكثر المعاني الوجدانيه وسبقوا المحدثين اليها ومهما يكن من تطور الحياة الادبية فى العصر العباسي ،فان كثيرا من الخواطر والمشاعر لم تتبدل ولايمكن ان تتبدل مادام الانسان هو هو يحب ويبغض ويتالم ويعتب ويفخر ويطمع ويخاف ويقدم ... فكان لابد لهؤلاء الشعراء المحدثين من ان يكرروا بعض المعاني التي سبقوا اليها ،لانهم كانوا يحسون بما احسّ به من قبلهم ويشعرون بحاجة داخلية ملحة للتعبيرعنه .ولا يؤخذ هنا يراى المعرى من ان باب الاختراع لايزال مفتوحا امام الشعراء [٢] فان المعرى انما يشير الى طريقته فى الخروج بالشعر الى مشاكل الحياة بما فيها من فلسفة وسياسة واجتماع ،وهذا لايعني ان المواضيع الاخرى قد انقرضت ،بل ان الابواب الشعرية القديمة : كالنسيب والمديح والهجاء والفخر والرثاء كان لايزال لها مكانها الاقوى بين شعراء القرن الثالث كابي تمام والبحترى ودعبل الخزاعي وابن الرومي ، وعند كبير الشعراء فى القرن الرابع ابي الطيب المتنبي . قال الجرجاني فى الوساطة : "ومتى انصفت علمت ان اهل عصرنا ثم العصر الذى بعدنا اقرب فيه الى المعذرة وابعد من المذمة ،لان من تقدمنا قد استغرق المعاني وسبق اليها واتى على معظمها . وانما يحصل على بقايا اما ان تكون تركت رغبة عنها واستهانة بها ،او لبعد مطلبها واعتياص مرامها وتعذر الوصول اليها ومتى اجهد احدنا نفسه ... فى تحصيل معنى يظنه عنه غريبا مبتدعا .. ثم تصفح عنه الدواوين لم يخط ان يجده بعينه ،اويجد له مثالا يغض من حسنه" [٣]

---

(١) وفيات الاعيان جزء ١ ص: ٧٤٧ (٢) رسالة الغفران ا: ١١١ (١) الوساطة ١٦٧

ولم يكن النقاد اقل من هؤلاء الشعراء مداولة للشعر وحفظا له ، وكانت لهم براعة نادرة في رد معاني الشعر بعضها الى بعض ومعرفة دقائق الاختلاف في التعبير عنها . وقد شغلت مسالة السرقات الشعرية اذهان النقاد ، وملات مصنفاتهم ، وكانت من اهم مقاييسهم في تقدير شاعرية الشاعر وبراعته . حتى ان منهم من الف الكتب وخصها بالسرقات كابن المعتز[١] والحاتمي [٢] والامدى [×] وبشر بن تميم [٣] . كان بعض هؤلاء النقاد ضيق الصدر مسرفا في اتهام الشعراء والتجني عليهم ، كابي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني صاحب الموشح وبشر بن تميم . فقد ذهب الاول في سوء الظن بابي تمام الى ان زعم ان الشاعر قد طوى اكثر محاسن الشعراء في كتابه الحماسة ، وذلك لانه سرق بعضها فكتمه ، وجعل بعضها عدة يرجع اليها في وقت حاجة [٤] ! كأنَّ الشعر لايعرفه غير ابي تمام ، فاذا هو اخفاه خفي واذا هو نشره ذاع ! وينصح الثاني للنقاد ان لايحسنوا الظن بالشعراء ، وان يحملوا الفكر فيما خفي عليهم ، لان السرق في الشعر ما نقل معناه دون لفظه وابعد آخذه في اخذه ، وليس ينبغي لهم ان يقصروا السرقة على مثل قول امرىء القيس وطرفة حين لم يختلفا الا في القافية ، فقال احدهما :

وقوفا بها صحبي علي مطيهم   يقولون لاتهلك اسى وتحمل

وقال الاخر :

وقوفا بها صحبي علي مطيهم   يقولون لاتهلك اسى وتجلد [٥]

على ان من النقاد من كان اعمق نظرا واقرب الى الانصاف من هذين الاديبين ، كالجرجاني والامدى وابن عبد ربه والعسكري[٦] . هؤلاء هم الذين " فلسفوا "السرقة ، اى انهم بحثوا فيها

---

(١) راجع الموازنة ص: ١٥٣ (٢) صاحب الرسالة الحاتمية فيما وافق المتنبي في شعره كلام ارسطو في الحكمة (×) له كتاب : الخاص والمشترك في السرقات : ذكره الاستاذ طه احمد ابراهيم ١٧٥ (٣) الموازنه ١٧٤ (٤) الموشح ٣١٢ (٥) الموازنه : ١٧٤ (٦) في كثير من صفحات الوساطة مثلا بين ١٤٣ ــ ١٥٨ والامدى في الموازنه ١٧٤ وابن عبد ربه ٣ من العقد ص ٢٤٢ من طبعة محمود شاكر الكتبي من الاستاذ فارس ٢٢٠ والعسكري في الصناعتين الباب السادس ص ١٤٦ ــ ١٧٩

بحثا فلسفيا معقولا ولاعجب واشبعوها درسا . واذا امعنا النظر في كلامهم رايناه على قسمين

١- اصحيح وقع الاخذ ؟

٢- اذا وقع الاخذ فهل يجوز ؟ او بتعبير آخر : هل غاية الاديب الكبرى الاجادة ام الابتكار

. . . .

١- اصحيح وقع الاخـــذ ؟

قبل ان يحكم الناقد بوقوع السرقـة ، عليه ان يلاحظ الفرق بين " المعنى المشترك الذى لايجوز ادعاء السرق فيه ، وبين المعنى المختص الذى حازه المبتدئ فملكه واحياه السابق فاقتطعه " قال الجرجاني : " فمتى نظرت فرايت ان تشبيه الحسن بالشمس والبدر والجواد بالغيث والبحر ، والبليد البطئ بالحجر والحمار ، والشجاع الماضي بالسيف والنار ... امور متقررة في النفوس ، متصورة للعقول ، يشترك فيها الناطق والابكم ، والفصيح والاعجم والشاعر والمفحم ، حكمت بان السرقه عنهما منتفية ، والاخذ بالاتباع مستحيل ممتنع[1] .

وقال الامدى : " ووجدت ابن ابي طاهر خرج سرقات ابي تمام فاصاب في بعضها واخطاء في البعض ، لانه خلط الخاص من المعاني بالمشترك بين الناس مما لايكون مثله مسروقا[2] .... ومنه ما نسبه الى السرق ~~والمعنيان~~ x والمعنيان مختلفان ، فمن ذلك قول ابي تمام :

الم تمت ~~ثكلتك~~ ياشقيق الجود مذ زمن   فقال لي لم يمت من لم يمت كرمه

وقال اخذه من العتابي :

ردت صنائعه اليه حياته   فكانه من نشرها منشور

---

(١) كلام الجرجاني في هذا البحث ماخوذ عن : الوساطة ١٤٣ -١٥٨ (٢) الموازنه ٦٠

ومثل هذا لايقال له مسروق لانه قد جرى في عادات الناس اذا مات الرجل من اهل الخير والفضل واثني عليه بالجميل ان يقولوا : ما مات من خلف مثل هذا الثناء ولا من ذكر بهذا الذكر ، وذلك شائع في كل امة وفي كل لسان [1]...... وقال في قوله :

همة تنطح النجوم وجد　　　　آلف للحضيض فهو حضيض

من قول اعرابي :

همته قد علت وقدرته　　　　في اللحد بين الثرى مع الكفن

وهذا ايضا من المعاني المشتركة الجارية في العادة : ان يقولوا : همته في علاء وجده في سفال ، وهمته ناطقة وجده اخرس ، وهمة ذات حراك وجد ساكن ، وهمة فلان ترفعه وجده يضعه وما اشبه هذا [2] .... ومن ذلك قول ابي تمام :

بيض فهن اذا رمقن سوافرا　　　　صور وهن اذا رمقن صوارا

وقول البحتري

اني لحظت فانت جوذر رملة　　　　واذا صددت فانت ظبي كناس

وهذا تشبيه اعين النساء باعين البقر وتمثيلهن بالصوار وبالظباء وجل كلام العرب عليه يجري فلايكون الشعراء فيه الا متفقين [3]....."

وعليه ان يفرق بين المعنى المختص المستفيض ، وبين المعنى المختص غير المتداول فان الاول وان كان الاصل فيه لمن انفرد به ، واوله للذى سيق اليه ، فانه اصبح متقررا في نفوس الاخرين ، واصبح هذا المعنى من جملة المعاني التي يحسنُ الشاعر بضرورتها واباحة التصريح بها وذلك مثل " تشبيه الطلل المحيل بالخط الدارس وبالبرد النهج والوشم في المعصم ، والظعن المتحملة بالنخل ، وعلايقها باعذاق البسر ، وسوال المنزل عن اهله ، واستعطاف العقل واستبطاء الصبر [4] .

---

(١) الموازنه ٦٥-٦٦ (٢) الموازنة ٦٧ (٣) الموازنة ١٧٨ (٤) الوساطة

وعلى فرض ان المعنى لم يكن مشتركا ولا متداولا ، اليس هناك توارد في الخواطر ؟ بلى يقول العسكري : وهذا امر غرفته من نفسي ، فلست امترى فيه ، وذلك اني عملت شيئا في صفة النساء .

" سفرن بدورا وانتقبن اهلة "

وظننت اني سبقت الى جمع هذين التشبيهين في نصف بيت ، الى ان وجدته بعينه لبعض البغداديين ، فكثر تعجبي وعزمت على ان لا احكم على المتاخر بالسرق من المتقدم حكما حتما [١]

وقال صاحب العقد : واكثر ما يجتليه الشعراء او يتصرف فيه البلغاء انما يجرى فيه الامر على سنن الاول . واقل ما ياتي لهم المعنى الذى لم يسبق اليه احد اما في منظوم واما في منثور ، لان الكلام بعضه من بعض . ولذلك قالوا في الامثال : ماترك الاول للاخر شيئاً [٢]

وقال الجرجاني : .... ومعان قد اخذ عفوها ، وسبق المحدث [٣] الى جيدها فافكاره تنبث في كل وجه ، وخواطره تستفتح كل باب . فان وافق بعض ما قيل او اجتاز منه بابعد طرف ، قيل : سرق بيت فلان ، واغار على قول فلان ! ولعل ذلك البيت لم يقرع قط سمعه ولا مر بخلده ، كان التوارد عندهم ممتنع ، واتفاق الهواجس غير ممكن [٤]

ومن المستحسن في هذا المجال ان نميز بين المعاني النفسية التي يكثر التوارد عليها والمشاركة فيها ، وبين الصور والخيالات الشعرية التى تقل توارد عليها الشعراء . فقد ينظر الانسان الى ايامه الماضية فيشبهها بالاحلام ، وينظر اخر الى ماضي ايامه فلايرى لها شبيها في سرعة زوالها وانقطاع مسراتها الا بالاحلام . قال ابو تمام :

ثم انقضت تلك السنون واهلها　　　فكانها وكانهم احلام

---

(١) الصناعتين ١٤٦ (٢) العقد ٣ : ٤٢٠ عن الاستاذ عازار ١١٥ (٣) اضفناها ليتم المعنى

(٤) الوساطة ٤٨ — ٤٩

وقال البحتري :

وايامنا فيك اللواتي تصرمت مع الوصل اضغاث واحلام نائم (١)

واما ان يشترك الشاعران في تشبيه الهلال بقلامة الظفر ، وقد والفتاة السوداء بقنينة الحبر ، فهذا من اندر ما يكون . قال الآمدي : " انما السرق يكون في البديع الذي ليس للناس فيه اشتراك (٢) " . وله في مناسبة اخرى : " ان السرق انما هو في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر لا في المعاني المشتركة بين الناس ، التي هي جارية في عاداتهم ومستعملة في امثالهم ومحاوراتهم (٣) " . كذلك على الناقد ان ينتبه الى الفروق الدقيقة بين المعاني ، ولا يحق له ان ينسب السرقة الى معنى اذا كان مقاربا لمعنى آخر غير موافق له . قال الآمدي : " ومما نسبه فيه ابن طاهر الى السرق - يتكلم عن شعر ابي تمام - .... والمعنيان مختلفان (٤) : قول ابي تمام :

لو يعلم العافون كم لك في الندى من لذة وقريحة لم تحمد

قال انه اخذه من بشار :

ليس يعطيك للرجاء ولا الخو ف ولكن يلذ طعم العطاء

وما اخاله احتذى في هذا البيت على قول بشار لان بشارا قال : ليس يعطيك رغبة في جزاء يرجوه ولا خوفا من مكروه ، ولكن لالتذاذه العطيه . واراد ابو تمام ان الطالبين لو علموا التذاذه لم يحمدوه ، والمعنيان انما اتفقا في طريق التذاذ الممدوح بعطائه فقط ، وهذا ليس من بديع المعاني التي يختص بها شاعر ، فيقال ان واحدا اخذه من الاخر (٥) .... وقال في قولـــه :

تقبل الركن ركن البيت نافلةً وظهر كفك معمول من القبل

---

(١) الموازنه ١٧٥ (٢) الموازنة : ٢٧ (٣) الموازنه ٧٤ (٤) الموازنه ٦٥ (٥) الموازنه ٦٦

من قول عبد الله بن طاهر

اعلنت له ذكره مكافاة   بان تواني فى ظهرها القبل

وليس بين المعنيين اتفاق الا بذكر قبل الكف ، وهذا ليس من المعاني المبتدعة ، لان الناس ابدا يقولون : ما خلق وجهه الا للتحية وكفه الا للقبل ، كما قال دعبل :

فباطنها للندى   وظاهرها للقبل (١)

.... وقال فى قوله

فلو كانت الارزاق تجرى على الحجى   هلكن اذاً من جهلهن البهائم

من قول ابي العتاهية :

انما الناس كالبهائم فى الرز   ق ، سواء جهولهم والحليم

وبين المعنيين خلاف ، لان ابا العتاهية اراد ان رزق كل نفس ياتيها جاهلة كانت او عالمة كما ياتي البهائم . وهذا قائم فى الفطرة والعقول فتتفق الخواطر فى مثله . وابو تمام قال ان الرزق لو جرى على قدر العقل لهلكت البهائم ، وهذه زيادة فى المعنى حسنة ، وان كان الى مذهب ابي العتاهية يؤول (٢)....

ومما يحمل على التأني والتحفظ فى الحكم ، خبث بعض الناقدين وتحاملهم ، ويخبرنا المعرى خبرا غريبا مآله ان الكيد والمنافسة بين الادباء فى عصره كانا كثيرا ما يحملان احدهم ان يدعي لمنافسه ابياتا ليست له ، وانما هى لشاعر قديم ، حتى يقال ان هذا الشاعر المحدث قد سرقها من دواوين القدماء . او انه كان ينسب بعض شعر صاحبه الى شاعر غابر ليكاد بذلك وينقص قدره . قال المعرى : « وحكى بعض الكتاب انه راى كتابا قديما قد كتب على ظهره انشدنا احمد بن يحيى ثعلب :

من الجآذر فى زى الاعاريب

---

(١) الموازنه ٦٧ (٢) الموازنة ٦٩

وذكر خمسة ابيات من اول هذه القصيدة – هي لابي الطيب المتنبي – وهذا كذب قبيح وافتراء بيّن ، وانما نعله مفرط الحسد قليل الخبرة بطان الصواب . غرضه ان يلبس على الجهال ... وقد نسبوا الابيات التي لابي الطيب في صفة الذئب الى عبد الله بن انيس صاحب النبي صلى الله عليه وسلم ... ولا ريب ان ذلك باطل (١)....."

وروى الصولي في اخبار ابي تمام عن محمد بن موسى : "سمعت علي بن الجهم ذكر دعبلا فكفره ولعنه وطعن على شيء من شعره ، وقال : كان يكذب على ابي تمام ويضع عليه الاخبار . ووالله ما كان اليه ولا مقاربا له (٢) " وقال الصولي "وقد رايت بعض هؤلاء الجهلة يصحف ايضا على ابي تمام ، ثم يعيب ما لم يقله ابو تمام قط (٣) ".

فلا عجب بعد هذا كله ان نرى الجرجاني يقول : ولهذا احظر على نفسي ولا ارى لغيري بت الحكم على شاعر بالسرقة ... الا اني اذا وجدت في شعره معاني كثيرة اجدها لغيره حكمت بان فيها ماخوذا لا اثبته بعينه ومسروقا لا يتميز لي من غيره . وانما اقول : قال فلان كذا وقد سبقه اليه فلان (٤)

وقال العسكري : عزمت على ان لا احكم على المتاخر بالسرق من المتقدم حكما حتما (٥)

....

٢– هل يباح الاخذ اذا وقع ؟ هل غاية الشاعر الكبرى في الابتكار ام في الاجادة ؟

قال العسكري : ليس لاحد من اصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم ، ولكن عليهم اذا اخذوها ان يكسوها الفاظا من عندهم ويبرزوها في معارض من تاليفهم ويوردوها في غير حليتها الاولى ويزيدوها في حسن تاليفها

---

(٢) كتاب : عبث الوليد ٦٣–٦٤ (٢) اختبار ابي تمام : ٦١ (٣) اخبار ابي تمام ٥٦

(٤) الوساطة ١٦٧ (٥) الصناعتين ١٤٦

وجودة تركيبها وكمال حليتها ومعرضها ، فاذا فعلوا ذلك فهم احق بها ممن سبق اليها : ولولا ان القائل يؤدى ما سمع لما كان فى طاقته ان يقول ....

وقال : وسمعت ما قيل : ان من اخذ معنى بلفظه كان له سارقا ، ومن اخذه ببعض لفظه كان له سالخا ، ومن اخذه فكساه لفظا من عنده اجود من لفظه كان هو اولى به ممن تقدمه ......

وقال : على ان ابتكار المعنى والسبق اليه ليس هو فضيلة يرجع الى المعنى وانما هو فضيلة ترجع الى الذى ابتكره وسبق اليه . فالمعنى الجيد جيد وان كان مسبوقا اليه . والوسط وسط . والردئ ردئ وان لم يكونا مسبوقا اليهما ... وقد اطبق المتقدمون والمتاخرون على تداول المعاني بينهم ، فليس على احد فيه عيب الا اذا اخذه بلفظه كله ، او اخذه فافسده وقصر فيه عمن تقدمه ....(١)

وقال الثعالبي : "واخذ المتنبي قول ابن المعتز ، وهو من قلائده : - قلائد ابي الطيب - ولعله امير شعره :

ازورهم وسواد الليل يشفع لي وانثني وبياض الصبح يغري بي

قال ابي جني : ثم اني عثرت بالموضع الذى اخذه منه ، اذ وجدت لابن المعتز مصراعا بلفظ لين صغير جدا فيه معنى بيت المتنبي كله ، على جلالة لفظه وحسن تقسيمه ، وهو قوله :

فالشمس نمّامة والليل قواد

ولن يخلو المتنبي من احدى ثلاث :

اما ان يكون الم بهذا المصراع فحسنه وزينه وصار اولى به

واما ان يكون قد عثر بالموضع الذى عثر به ابن المعتز فاربى عليه في جودة الاخذ

---

(١) الصناعتين : ١٤٦

واما ان يكون قد اخترع المعنى وابتدعه وتفرّد به ، فلله دره . وناهيك بشرف لفظه ، وبراعة نسجه ، وما احسن ما جمع فيه اربع مطابقات في بيت واحد ، وما اراه سبق الى مثلها (×) . يتيمة الدهر ١ : ٩٩

وقد اطرى الصولي ابا تمام بانه كان متى اخذ معنى زاد عليه ووشحه ببديعه وتمم معناه ، فكان احق به ، واضاف الى ذلك قوله : وكذلك الحكم في الاخذ عند العلماء بالشعر [1]

ومن جميل الكلام عن المعنى ياخذه الشاعر فيزيد فيه ويصير مالكه ما قاله الثعالبي عن المتنبي : "ولما انخرط في سلك سيف الدولة ، ودرت له اخلاف الدنيا على يده كان من قوله فيه لا :

تركت السرى خلفي لمن قل ماله وانعلت افراسي بنعماك عسجدا
وقيدت نفسي في هواك محبة ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا

وهذا البيت من قلائده ، وانما الم فيه بقول ابي تمام :

همي معلقة عليك رقابها مغلولة ، ان الوفاء اسار

ولكنه اخذ عباءة وردها ديباجا وارسلها مثلا سائرا [2] .

اما الحاتمي فانه اذ يقارن بين حكم المتنبي واقوال ارسطو لا ينظر الى المتنبي كسارق ويشهد له بالفضل والتقدمة ، قال : ووجدنا ابا الطيب المتنبي قد اتى في شعره باغراض فلسفية ومعان منطقية فان كان ذلك منه عن فحص ونظر وبحث ، فقد اغرق في درس العلوم وان يك ذلك منه على سبيل الاتفاق فقد زاد على الفلاسفة بالايجاز والبلاغة والالفاظ الغريبة . وهو في الحالتين على غاية من الفضل وسبيل نهاية من النبل [3]

وكذلك الشعراء . كانوا يرون المعاني ملك الجميع ، ولا يتحرجون في اخذها اقتباسها ولا يرون في ذلك غضاضة على قنهم . جاء في زهر الاداب ان ابا تمام مر بجارية تغني

---

(١) اخبار ابي تمام ٣٥ (٢) يتيمة الدهر ١ : ٨٢-٨٣ (٣) الرسالة الحاتمية : ٢٣

بالفارسية ، فشاقه شجي الصوت فقال :

ومسمعة تروق السمع حسنا ولم تصممه لايصم صداها

لوت اوتارها فشجت وشاقت فلو يسطيع حاسدها فداها

ولم افهم معانيها ولكـــن ورت كبدى فلم اجهل شداها

فكنت كانني اعمى معنى يحب الغانيات ولا يراها

فقال له رجل : اخذت هذا المعنى من احد ؟ قال نعم : اخذته من قول بشار بن برد :

ياقوم اذني لبعض الحي عاشقة والاذن تعشق قبل العين احيانا

قالوا بمن لاترى تهذى فقلت لهم الاذن كالعين توفي القلب ما كانا (١)

وفي الموشح ان الفرزدق كان كثيرا ما يغير على معاني الشعراء ويضمنها شعره ، وله في ذلك نوادر تستضحك : مر يوما بالشمردل اليربوعي ، وهو ينشد قصيدة حتى بلغ الى قوله :

وما بين من لم يعط سمعا وطاعة وبين تميم غير حز الحلاقم

فقال : والله لتتركن هذا البيت او لتتركن عرضك ، فقال : خذه على كره مني . لابارك الله لك فيه : فجعله الفرزدق في قصيدته التي اولها :

تحن بزوراء المدينه ناقتي حنين عجول تبتغي البوّ رائم (٢)

. . . .

والخلاصة : ان اكابر النقاد في ذلك العصر كانوا يردون قيم الاثار الادبية الى الاجادة قبل الابتكار ، ويرون في اقتباس المعاني وتجميلها والزيادة عليها سبيل براعة وابتداع ، لاسبيل سرقة واتباع . قال العسكري : فالحاذق يخفي دبيبه الى المعنى وياخذه في ستره فيحكم له بالسبق اليه اكثر من يمر به ... الا انه لايكمل لهذا الا " المبرز والكامل المقدم ".(٣)

×××××
×××
×
اهـ

---

(١) زهر الاداب ١: ١٣٧ (٢) الموشح ١٠٨ (٣) الصناعتين ١٤٧

الباب السادس

موقف النقاد من حركة التجديد

انصار القديم وانصار الجديد : نستطيع ان نقول ان الخصومة التي كانت تشغل بال النقاد في القدماء والمحدثين في العصر الثالث الهجري لم يعد لها كبير شأن في هذا العصر ، وانتهى الحال كما كان يريد ابن قتيبه : فلم يعد في كبار النقاد من يرفع الشاعر لتقدمه او يسقطه لتاخره ، وتلاشى مذهب المتعصبين للقدماء بانقراض ابن الاعرابي والاصمعي والرياشي واسحاق الموصلي .[1] واصبح النقاد يؤمنون بكفاءة الادباء في عصرهم وفضلهم ، ايمانهم بشاعرية القدماء وبراعتهم . قال ابن عبد ربه "اعلم بانك متى ما نظرت بعين الانصاف وقطعت بحجة العقل ، علمت ان لكل ذي فضل فضله ، ولاينفع المتقدم تقدمه ولا يضر المتاخر تاخره [2] " وللتنوخي في نشوار المحاضرة : "فقد خرج في اعصارنا ومااقاربها من السنين من مكنون اسرار العلم وظهر من دقيق الخواطر والفهم ، ما لعله كان معتاصا على الماضين وممتنعا على كثير من المتقدمين [3] .

وكان الثعالبي من اكثر الادباء اهتماما بآثار رجال عصره ، وقد ضمن كتبه اشعارهم ورسائلهم وطرائفهم ونوادرهم وهو يرى ان اشعار الاسلاميين ارق من اشعار الجاهليين ، وان اشعار العصريين اجمع لنوادر المحاسن ولطائف البدائع من اشعار جميع المتقدمين وانها تكاد تخرج من باب الاعجاب الى الاعجاز ، فالفاظهم ابدع ومعانيهم اروع وصناعتهم اجمل من كل من سبقهم من الشعراء [4] . ويرى الصولي ان الجاهليين والاسلاميين قد اكثروا في ذكر الشيب

---

(١) راجع طرفا من انتقاداتهم في : الاغاني ١ : ٢٥٢ ــ ٥ : ٣١٧ ــ ٣١٨ ــ ثم الوساطة : ٤٧

(٢) العقد ٣ : ص ١٧١ (٣) نشوار المحاضرة ٨ (٤) يتيمة الدهر ١ : ٢ ــ ٣

ولكن الحذاق بعلم الشعر قد اجمعوا على انه لم يقل فيه احسن من قول منصور النمرى ، وماضره تاخره وقد وقع له الاجود [١] واذا كان للاوائل شهرة الابتداء والاختراع فللمحدثين شهرة التجويد والايداع [٢] . ولم يتاخر الباقلاني ، مع كل ما قيل في تفوق القدماء ان يتناول معلقة زعيمهم امرىء القيس بالنقد اللاذع جزءا جزءا من بدايتها الى نهايتها [٣] . ويحمل ابن فارس على النظرية القائلة : ما ترك الاول للاخر شيئا ، لان الدنيا ازمان ولكل زمان منها رجال .... ومن قصر الاداب على زمان معلوم؟! ولم لا ينظر الاخر مثل ما نظر الاول حتى يؤلف مثل تاليفه ، ويجمع مثل جمعه ؟ والفقهاء في زمانه اذا احدث لهم حادث لم يبت فيه من قبلهم لايرون غريبا ان يقطعوا فيه حكمهم ، واهل النحو في مصنفاتهم ، والنظار في موضوعاتهم ، وارباب الصناعات في جميع صناعاتهم ، كل اولئك لا يتقيدون بقديم ولاحديث ، فلم تقيد خطرات الادباء وقد جعل الله لكل منهم فكرا مستقلا وانتاجا خاصا ؟[٤]

للمحدثين اخطاء كثيرة يعترف بها النقاد ، فهم يخطئون في نظمهم ولفظهم وترتيبهم وتقسيمهم ومعانيهم واعرابهم . ولكن اليس للجاهليين كذلك اخطاؤهم التي اقامت النحويين ورجال اللغة واقعدتهم ؟ بلى . وهذه الاخطاء تشمل لفظ الجاهلي ونظمه ومعناه واعرابه ، سواء بسواء[٥] " ولولا ان اهل الجاهلية قد جدوا بالتقدم ، واعتقد الناس انهم القدوة والاعلام والحجة ، لوجدت كثيرا من اشعارهم معيبة مسترذلة ، ومردودة منفية . لكن هذا الظن الجميل والاعتقاد الحسن ستر عليهم ، ونفي الظن عنهم ، فذهبت الخواطر في الذب عنهم كل مذهب وقامت في الاحتجاج لهم كل مقام "[٦] .

لقد كان زمان تؤخذ فيه اللغة من اشعار هؤلاء الاوائل ، وكانت قصائد القدماء تدرس على انها مستودع اللغة الصافية فكان من الطبيعي ، كما يقول نكلسون ، ان يحدو ذلك

---

(١) اخبار ابي تمام ٢٧ (٢) اخبار ابي تمام ١٦ (٣) راجع كتاب اعجاز القران ٧٥-٨٥
(٤) يتيمة الدهر ٣: ٢١٤-٢١٥ (٥) الوساطة ١٩ (٦) الوساطة ١٢

بعض المتطرفين الى اجلال القدماء والحكم لهم بالسبق (١) . ولكن هذه الدهشة الاولى قد انحسرت ، ووجد النقاد "ان المتقدم يضرب في الخطاء بسهم المتاخر ، والجاهلي ياخذ منه ما ياخذ الاسلامي (٢) "الم يخطئ" امرؤ القيس حين قال :

ايا راكبا بلغَ اخواننا	من كان من كندة او وائل

فنصب : بلغ ، وقوله

فاليوم أَشربْ غير مستحقب	اثماً من الله ولا واغل

فسكن اشرب ، وقوله :

لها متنتان خظاتا كما	اكب على ساعديه النمر

فاسقط النون من خظاتان (٣) ، وقوله :

كان ثبيرا في عرانين ويله	كبير اناس في بجاد مزمل

فخفض مزملا ، وهو وصف كبير ، ولبيد في قوله

تُراك امكنة اذا لم ارضها	او يرتبطْ بعض النفوس حمامها

فسكن يرتبط ، ولا عمل فيها للم ، وطرفة في قولـــه

قد رفع الفخ فماذا تحذرى

فحذف النون ، والفرزدق في قوله :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع	من المال الا مسحتا او مجلفُ

فضم مجلفا (٤) .... وعلى الجملة فليس في شعراء الجاهليه شاعر سلم من الغلط والعيب ، لا يستثنى من ذلك فحول الشعراء (٥) .

ولكن متقدمي النحويين واهل اللغة كانوا يبرؤون القدماء من الخطاء "بما تكلفوه

---

(١) *Lit. His. of the Ar.* 285 (٢) الوساطة ١٩ (٣) الوساطة ١٢ (٤) الوساطة ١٣

(٥) الموازنه ١٨

لهم من الاحتجاج اذا امكن ، تارة بطلب التخفيف عند توالي الحركات ومرة بالاتباع والمجاورة وما شاكل ذلك من المحاذير المتمحلة ، وتغيير الرواية اذا ضاقت الحجة ، وتثبيت ما راموه في ذلك من المرامي البعيدة ، وارتكبوا لاجله من المراكب الصعبة التي يشهد القلب ان المحرك لها والباعث عليها شدة اعظام المتقدم والكلف بنصرة ما سبق اليه الاعتقاد والفته النفس(١) ..

وليس في الالفاظ والحركات فحسب ، بل ان اغاليط القدماء في المعاني كثيرة فهذا امرؤ القيس يقول :

وارکب في الروع خيفانة　　　كسى وجهها شعر منتشر

وهذا عيب في الخيل . وهذا زهير يقول :

يخرجن من شربات ماؤها طحل　　　على الجذوع يخفن الغم والغرقا

والضفادع لا تخاف شيئا من ذلك ، وقال ابو ذؤيب يصف الفرس :

قصر الصبوح فقصر لحمه　　　بالني فهي تثوخ فيها الاصبع

قال الاصمعي : حمار القصار خير من هذا . وانما يوصف الفرس بصلابة اللحم . ولابي ذؤيب في الدرة :

فجاء بها ما شئت من لطمية　　　يدور الفرات حولها ويموج

فالفرات هو العذب والدر لا يوجد الا في الملح ، وقال غيره :

برية لم تاكل المرققا　　　ولم تذق من البقول الفستقا

فجعل الفستق بقلا ....(٢)

بل ان الخطاء من القدماء اقرب واكثر لانه لم يكن عندهم من صنوف العلم ما يدفعونه به ، وان هي الا الفطرة والخليزة . واذا كان ثمة عذر للقدماء في جهلهم هذا ،

---

(١) الوساطة ١٥ (٢) الوساطة : ١٦ — ١٩

فليس للمحدثين من عذر ، وليس لهم ان يقولوا لقد سبق القدماء الى مثل ما نحن فيه " فانهم لايعذرون في شيء منها لاجتماع الناس اليوم على مجانبة امثالها واستجادة مايصح من الكلام ويستبين واسترذال مايشكل ويستبهم (١) " .

وفي البيئة : — وعلى المحدثين ان يتنكبوا ذكر البوادي والرياح والانواء ، لان ذلك ليس في بيآتهم ولايتصل باساليب معيشتهم " وليس من الحق لاحدهم (٢) ان يعدل عن وصف الصبوح والندامى والقيان والبنفسج والنرجس وفاخر الفرش وممتاز الآلات ورقة الخدم الى ذكر البيد والمهامة والظبي والظليم والناقة والجمل والديار والقفار والمنازل الخالية المهجورة ولا عليه ان يعدل عن الكلام السبط الرقيق الذي يفهمه كل من حضر الى الكلام الجعد الوحشي (٣) " .

فالنقاد لم يقبلوا الجديد فحسب بل ندبوا اليه وراوا في مخالفته خروجا عن النهج الطبيعي . لقد تغيرت الحياة عما كانت عليه في الماضي ، والادب تصوير للحياة وشعور بالواقع ، والمحدث اذا تجاوز في شعره ما راته عينه الى ما لم تره من ذكر الصحاري والسهر والوحش والابل والاخبية ، لابد ان تزل به القدم ويجيء دون القدماء ، كما ان القدماء فيما لم يروه ابدا دون المحدثين وما هو الحافز للخروج بالشعر من طريق الابتداع الى طريق الاتباع ؟ اليس شعر المحدثين اشبه بالزمان واقرب الى الافهام واحب الى الاذواق ؟ هذا ما يقوله الصولي حين يدافع عن ابي تمام ، وهو كما ترى متاثر بنظريات ابي نواس ، وقد استشهد بابيات لهذا الشاعر ، كقوله

صفة الطلول بلاغة القدم ... فاجعل صفاتك لابنة الكرم

وبقولـه :

---

(١) الصناعتين ٧٢ (٢) هذه الكلمة مضافة من عندنا (٣) الاغاني ٩ : ١٤٠

تصف الطلول على السماع بها ‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏ افذو العيان كانت فى الفهم

واذا وصفت الشيء متبعـــــا ‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏ لم تخل من زلل ومن وهـم [١]

ويزيد على ذلك بقوله : "وقد وجدنا فى شعر هؤلاء معاني لم يتكلم القدماء بها ، ومعاني اومأوا اليها ، فاتى بها هؤلاء واحسنوا فيها . وشعرهم مع ذلك اشبه بالزمان والناس له اكثر استعمالا فى مجالسهم وكتبهم وتمثلهم ومطالبهم [٢]".

بل ان الجرجاني ليرد نسبا كبيرا من عيوب المجددين الى خروجهم عن طبيعة بيئتهم فى بعض الاحيان ، واحتذائهم حذو القدماء ممن لا تصلهم بطباعهم وطرق معيشتهم صلة [٣].

وهو يحتم على الشاعر الذى يريد الابداع فى شعره الا يخرج عن طبيعته وبيئته ، قال :

"فان رام احد من اهل الحضر الاغراب والاقتداء بمن مضى من القدماء لم يتمكن من بعض ما يرومه الا باشد تكلف واتم تصنع ، ومع التكلف المقت ، وللنفس عن التصنع نفرة ، وفى مفارقة الطبع قلة الحلاوة وذهاب الرونق واخلاق الديباجة ، وربما كان ذلك سببا لطمس المحاسن كالذى نجده فى شعر ابي تمام ، فانه حاول من بين المحدثين الاقتداء بالاوائل فى كثير من الفاظه ، فحصل منه على توعير اللفظ ، وتبجح فى غير موضع من شعره فقال :

فكانما هى فى السماع جنادل ‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏ وكانما هي فى القلوب كواكب

فتعسف ما امكن وتغلغل فى التعصب [x] كيف قدر [٤]" وهو يرى ان هذا التعسف والتكلف قد يخرج بالشاعر الى التقليد من حيث هو يطلب التجديد ، لان الاغراب فى اللفظ من شان البداوة ، والنبي يقول : "من بدا جفا" [٥].

. . . .

نستطيع ان نقول اذا ان الميزان الصحيح للنقد فى القرن الرابع لم يعد يحول

---

(١) اخبار ابي تمام ١٦-١٧ (٢) اخبار ابي تمام ١٧ (٣) الوساطة ٣١٦ (٤) الوساطة ٢٢

(٥) الوساطة ٢١ + (x) هكذا وردت ، ولعلها : تصعب

على الحداثة او القدم ، وتحول الى ميزان اقوم واجدر ان يضع الامور في محلها اللائق ،
ذلك هو ميزان الاجادة ، من اى الشعراء جاءت ، وفي اى الازمان ظهرت . وسنرى ان
النقاد ، على وجه عام ، لم يقفوا في طريق التجديد ، بل كانت ابحاثهم في عمقها واصابتها
خير مرشد للمجددين ، يقوم عوجهم ويرسم لهم السبيل السوى الذى يجب ان يمشوا فيه .

تناول النقد اهم ما جاءت به المدرستان المثالية والواقعية ، فقبل الجيد منه
ونبه على الرأى ، ووفق الى الحكم الفصل بخاصته في ظواهر التجديد التالية :

١- في تحديد الصلة بين الادب وبين العلم والفلسفة "المدرسة المثالية"
٢- في قيمة الصناعة البديعية .
٣- في اباحية الادباء وغاية الادب "المدرسة الواقعية"

١) صلة الادب بالعلم والفلسفة :

قال ابن عبد ربه " : فان كان لابد من طلب ادوات الكتابة فتصفح من رسائل
المتقدمين مايعتمد عليه . ومن رسائل المتاخرين مايرجع اليه ، ومن نوادر الكلام ما
تستعين به ومن الاشعار والاخبار والسير والاسماء مايتسع به منطقك ويطول به قلمك .
وانظر في كتب المقامات والخطب ومجاوبة العرب في حروبهم ومعاني العجم وحدود المنطق
وامثال الفرس ورسائلهم وعهودهم وسيرهم ووقائعهم ومكايدهم في حروبهم ، بعد ان تكون
متوسطا علم النحو والغريب والوثائق والسور وكتب السجلات والامانات ، لتكون ماهرا ، تنتزع
آي القرآن في مواضعها واختلاف الامثال في اماكنها ، وقرض الشعر وعلم العروض ..." (١)

والكتابة الجيدة في نظر العسكري : " تحتاج الى ادوات جمة وآلات كثيرة
من معرفة العربية لتصحيح الالفاظ واصابة المعاني والى الحساب وعلم المساحة والمعرفة
بالازمنة والشهور والاهلة ... والشاهد ماروى عن المبرد انه قال : لااحتاج الى وصف

---

(١) العقد ٢: ١٢٠-١٢١

نفسي لعلم الناس بي انه ليس احد في الخائفين يختلج في نفسه مسالة مشكلة الا لقيني بها واعدني لها ، فانا عالم ومتعلم ، وحافظ ودارس لايخفى علي مشتبه من الشعر والنحو والكلام المنثور والخطب والرسائل ...(١)

وقال قدامة : ويحتاج الشاعر الى تعلم العروض ليكون معيارا على قوله وميزانا على ظنه ، والنحو ليصلح به من لسانه ويقيم به اعرابه . والنسب وايام العرب والناس ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب ... وان يروى الشعر ليعرف مسالك الشعراء ومذاهبهم و تصرفهم فيحتذى مناهجهم ويسلك سبيلهم . فاذا لم يجتمع له هذا فليس ينبغي ان يتعرض لقول الشعر (٢)....

وفي الاجمال ، فقد كان هؤلاء النقاد الثلاثة يطالبون الشاعر والكاتب ان يجمع في صدره جميع معارف عصره ، ولايرون في ذلك خطرا على شاعريته وفنه ، بل يرونه عنصرا قويا ومادة غزيرة لهما . وكذلك كان رأى الذين يفضلون ابا تمام على البحترى ، لان ابا تمام كان عالما راوية . والشاعر العالم افضل في ميزانهم من الشاعر غير العالم (٣) ، ذكر الصولي بسنده عن المبرد قوله : ما سمعت الحسن بن رجاء ذكر قط ابا تمام الآقال : ذاك ابو التَمَام ، وما رايت اعلم بكل شيء منه ، وشهد البحترى لابي تمام بانه كان اكمل الناس عقلا وادبا ، وكان اقل شيء فيه شعره (٤) »

وعلى النقيض من ذلك راى اصحاب البحترى ، فهم يرون ان شعر العلماء هو دون شعر الشعراء ، كان الخليل بن احمد عالما شاعرا وكان الاصمعي والكسائي وخلف الاحمر شعراء ، وما بلغ بهم العلم طبقة من كان في زمانهم من الشعراء . فالتجويد في الشعر ليست علته العلم ، ولو كانت علته العلم لكان من يتعاطاه من العلماء اشعر ممن ليس بعالم ...(٥)

---

(١) الصناعتين : ١١٥ (٢) نقد النثر ٧٢ (٣) الموازنة ١٣ (٤) اخبار ابي تمام : ١٧١-١٧٢ (٥) الموازنة ١٣

وقد انكر ابن فارس ان يكون للفلاسفة شعر مستقيم الوزن ، كثير الماء والحلاوة ، اما فائدة الفلسفة وعلومها فلا تزيد عن ان ترق الدين ، وتنتج كل ما يعاذ بالله منه (١) !

وعاب الثعالبي على ابي الطيب خروجه في معانيه عن طريق الشعر الى طريق الفلسفة ، كقوله

ولجدت حتى كدت تبخل حائلا	للمنتهى ومن السرور بكاء

وقوله :

والاسى قبل فرقة الروح عجز	والاسى لايكون قبل الفراق

وقوله :

الف هذا الهواء اوقع في الانـ	ـفس ان لا الحمام مرّ المذاق

وقوله :

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم	الا على شجب والخلف في الشجب
فقيل تخلص نفس المرء سالمة	وقيل تشرك جسم المرء في العطب (٢)

والحق ان الثعالبي يغالي احيانا في استنكار المعاني الفلسفية ، ولا عجب فهو " واقعي المذهب " واتجاهه يخالف الاتجاه " المثالي " الذي كان عليه ابو الطيب . وقد ذكرنا في بداية هذه الرسالة ان المدرسة الواقعية قليلة العناية بالمواضيع الوجدانيه والتاملات الفلسفية ، وان اهتمامها موجه في الغالب الى الموضوعات الوصفية والاشياء الاعتيادية .

على انه من الحق ان نعترف مع الثعالبي ان الفلسفة الخالصة تخالف الشعر الخالص ، فان المعارف والاراء التي يحصلها الشاعر لا تزيد في شاعريته الا بقدر ما تتصل بنفسه وتجاربه ، وتؤثر فيها تاثيرا يشعرها بالحاجة الى التعبير عنه . اما ان يلقّن الفكر معلومات ومشاكل واسماء والغازا ، ثم ينظم الانسان ذلك ، فليس من الشعر في شيء .

---

(١) الصاحبي ٤٢-٤٣ (٢) يتيمة الدهر ١ : ١٢٤-١٢٥

xxxxxxxxx . يفيد الشعر من العلم والفلسفة كل ما يتصل منهما بقلب الشاعر واحساسه ، وكل مايوسع خياله ويثير حب استطلاعه ، فالشعر من هذه الناحية له صبغة عملية ، بمعنى انه يتحرى غذاءه من القلب النابض بالحياة . ومن الطبيعة الفنية بالمشاكل ، وبمعنى انه ينزل الى الناس ويعبر عن رغباتهم ومخاوفهم ومطامحهم ، بلسان يفهمونه ويفيدون منه ، والبلاغة ، كما ذكر العسكري : "هي التقرب من المعنى البعيد ... وتقريب ما بعد من الحكمة باليسر خطاب"(١) ، ولا نخال الثعالبي ينكر الجمال على هذا النوع من الفلسفة ، وقد ذكر في حسنات ابي الطيب : انه كان يرسل المثل في انصاف ابياته ، كقولـه :

مصائب ، قوم عند قوم فوائد / ومن قصد البحر استقل السواقيا

وربما صحت الاجسام بالعلل / وفي الماضي لمن يفي اعتبار

ويابى الطباع على الناقل / وما خير الحياة بلا سرور (٢)

وانه كان يرسل المثلين في مصراعي البيت الواحد ، كقولـه :

وكل امرئ يولي الجميل محبب   وكل مكان ينبت العز طيب

وقولـه :

في سعة الخافقين مضطرب   وفي بلاد عن اختها بدل

وقولـه :

ذل من يغبط الذليل بعيش   رب عيش اخف منه الحمام

من يهن يسهل الهوان عليه   مالجرح بميت ايـلام (٣)

وانه كان يرسل المثل والموعظة وشكوى الدهر والدنيا والناس وما يجرى مجراها ، كقولـه :

وما الجمع بين الماء والنار في يدي   باصعب من ان اجمع الجد والفهما

والامر لله ، رب مجتهد   ماخاب الا لانه جاهد

وليس يصح في الافهام شيء   اذا احتاج النهار الى دليل

---

(١) الصناعتين ٣٤ (٢) يتيمة الدهر ١ : ١٤٥ (٣) يتيمة الدهر ١ : ١٤٦

قال ابن جني : هذا كما يقول اهل الجدل : من شك في المشاهدات فليس يعاقل [١]

وقد عدد ذلك الثعالبي في صفحات كثيرة :

وبعد ، فما الامثال ، وما المواعظ ، وما شكوى الدهر والناس؟ اليس ذلك فلسفة يفهمها الفكر ويحس بها القلب ويشارك فيها الناس؟ فالثعالبي اذا لم يستنكر كل ما جاء به ابو الطيب من فلسفة ، ولكنه فرق بين الفلسفة الخالصة وبين الفلسفة الشعرية ·

والامدى نفسه لانخال انه كان ينكر على ابي تمام عمق معانيه وبديع حكمه ، بل انه على النقيض من ذلك كان يعتقد ان المعاني ضالة الشعراء وطلبتهم [٢] ولكن الذى نعاه على ابي تمام : هو احالته واغاليطه في المعاني والالفاظ واسرافه في طلب الطباق والتجنيس — والاستعارات اسرافا يؤدى الى غموض شعره وخروجه الى المحال · وهو يرى «لهذا ان ابا تمام لو كان اخذ عفو هذه الاشياء ولم يوغل فيها ولم يجاذب الالفاظ والمعاني مجاذبة ويقتسرها مكارهة وتناول ما يسمح به خاطره وهو بجمامه غير متعب ولا مكدود ، واورد من الاستعارات ما قرب في حسن ولم يفحش ···· ليسلم من هذه الاشياء التي تهجن الشعر وتذهب ماءه ورونقه ··· لكان يتقدم اكثر الشعراء ولكان قليله حينئذ يقوم مقام كثير غيره ، لما فيه من لطيف المعاني [٣]»

ومن الحق ان نعترف كذلك بانهم كانوا كثيرا ما يريدون بقولهم : مخالف للعرف ، هذا غير ما كانت عليه العرب ، وامثال ذلك ، ان هذا المعنى مخالف للواقع ، مستحيل الحدوث قال العسكرى : "ومن عيوب المعنى مخالفة العرف وذكر ما ليس في العادة ··· كقول المرار :

وخال على خديك يبدو كانه سنا البدر في دعجاء باد دجونها

والمعروف ان الخيلان سود اوسمر ، والخدود الحسان انما هي بيض ، فاتى هذا الشاعر بقلب

---

(١) يتيمة الدهر ١ : ١٤٧ (٢) الموازنة ٢١٠ (٣) الموازنة ٧٢

المعنى ... وانشد الكميت نصيبا :

كان الغطامط فى غليها ... اراجيز اسلم تهجوا غفارا

فقال نصيب ... لم تهج اسلم غفارا قط . فقال الكميت :

اذا ما الهجاوس غنينها ... تجاوبن بالفلوات الوبارا

فقال نصيب : لايكون بالفلوات وبار "(١)

اما الاغراب فى المعاني واستنباطها استنباطا فما لم يكن يقبله ذوق النقاد ، لان المعاني الشعرية لا تستنبط بالفكر او تستخرج بالقياس ، ولكنها تحس بالقلب قبل العقل . وتتمثل فى الدماغ ولا يتكلفها الدماغ ، تلك هى المعاني التي تعبر عن شئ صحيح تحس به نفس الشاعر او تستوحيه من محيطها . اما غرابة المعاني وطرافتها فتتوقف جودتهما على صدقهما وصحتهما ، والا " فالغريب والطريف ، كما يقول صاحب نقد الشعر ، هما شئ اخر غير حسن او جيد ، لانه قد يجوز ان يكون حسن جيد غير غريب ولا طريف ، مثل تشبيههم الدروع بحباب الماء الذى تسوقه الرياح ، فانه ليس جودة هذا التشبيه / تعاور الشعراء اياه قديما او حديثا . واما طريف وغريب لم يسبق اليه ، وهو قبيح بارد ، فمل الدنيا ، مثل اشعار قوم محدثين سبقوا الى البرد فيها (٢) . " وظاهر انه يعرض هنا بابي تمام واصحابه .

(٢) موقف النقاد من الصناعة البديعية

طغيان موجة البديع : روى الصولي انه سمع ابا محمد عبد الله بن الحسين بن سعد يقول للبحترى ، وعنده محمد بن يزيد النحوي ، وقد ذكروا معنى تعاوره البحترى وابو تمام : انت فى هذا اشعر من ابي تمام ، فقال البحترى : كلا والله ، ذاك الرئيس والاستاذ ، والله ما اكلت الخبز الا به ، فقال له النحوى : يا ابا الحسن ، تابى الاشرفا من

---

(١) الصناعتين : ٧٢-٧٣ (٢) نقد الشعر : ٨٨

جميع جوانبك (١) . وفي الموشح ان الحسين بن اسحاق قال : قلت للبحتري : الناس يزعمون انك اشعر من ابي تمام . فقال : والله ما ينفعني هذا القول ولا يضر ابا تمام ، والله ما اكلت الخبز الا به (٢) .

نتبين من هذين الخبرين المتشابهين ما كان لطريقة ابي تمام في ايثار الصنعة - البديعية من رواج في عصره عند الامراء والرؤساء . فكان البحتري يخالف طبعه احيانا ، ويعدل عن طريقته في السلاسة والسهولة الى طريقة استاذه ابي تمام ، لينال الحظوة عند وجوه البلاد ، " وياكل الخبز " باموالهم ، ولايبالي من اجل ذلك ما يسوق اليه التكلف من ضعف واسفاف ، قال المرزباني : "والامر في هذا اوضح من ان يحوج الى كلام عليه او تبيين له . فسبحان الذي حول تكلف ابي تمام الى البحتري (٣) " . والمتنبي نفسه لم يستطع ان يشق طريقه الى الظهور في اول الامر الا باتباع طريقة ابي تمام في البديع ، وهذا ما يفسر به الجرجاني كثرة الاستعارات والمطابقات في القصائد التي نظمها المتنبي في شبابه (٤) .

والى جانب ذلك نجد طريقة البحتري في اختيار الالفاظ السهلة والمعاني القريبة تصيب حظا وافرا من القبول عند طبقة اخرى من الناس ، وقد اختاره الباقلاني ليقارن شعره بالقرآن "لان الكتّاب يفضلونه على اهل دهره ويقدمونه على من في عصره ، ومنهم من يدعي له الاعجاز غلوا ، ويزعم انه يناغي النجم في قوله علوا . والملحدة تستظهر بشعره ، وتتكثر بقوله (٥) .

فالطرفان كانا على جانب عظيم من القوة ونفاذ الكلمة ، طرف يؤيد الصنعة ويغلو في تاييدها . واخر يفضل عليها الانقياد للطبع وسلوك المذهب الاقرب . وكما يظهر التقلب في طريقة البحتري والمتنبي في مجاراة تيار الصنعة تارة وفي مخالفته والسير بوحي الفطرة والطبع تارة اخرى ، نجد التقلب والتردد ينتقلان الى النقاد انفسهم ، ويجعلان الحكم في موقف هؤلاء النقاد من الصناعة البديعية على غاية الصعوبة . فالعسكري مثلا يفضل الاعتدال في استعمال

---

(١) اخبار ابي تمام ٦٧ (٢) الموشح ٣٣١ (٣) الموشح ٣٣١ مع بعض التصرف (٤) الوساطة

(٥) اعجاز القران ١١٤

البديع ، ويرى انه يحسن اذا اتفق فى موضع من القصيدة او موضعين ، اما اذا كثر وتوالى فانه يدل على التكلف . قال : " وقد ارتكب نوم من القدماء الموالاة بين ابيات كثيرة من هذا الجنس فظهر فيها اثر التكلف وبان عليها سمة التعسف ، وسلم بعضها ولم يسلم بعض (١) " ولكن شيوع البديع بين الناس جعله يوجه اهتمامه اليه ويخصص له اكثر من نصف كتابه ، وجعل النقاد يتسابقون فى استخراج ابوابه والزيادة فيها والتكلف فى هذه الزيادة بحق وبغير حق . وقد بلغ ما جمعه العسكرى من فنون البديع خمسة وثلاثين فصلا ، كثير منها معاد فى اسماء مختلفة وكثير منها لافائدة فيها وما من سبب معقول لاعتبارها من البديع ، الا اذا اعتبرنا التنافس والمكاثرة من الاسباب المعقولة . وكذلك الباقلاني والامدى والجرجاني ، فهم يسترذلون الافراط فى الصنعة كما سنرى ، ولكنهم لايرون بدا من تناول هذه الفنون بالبحث وتحرى بعض فنونها والزيادة فيها اذا امكن .

فما الفرق بين التجنيس والتعطف فى نظر ابي هلال ؟

التجنيس " ان يورد المتكلم كلمتين تجانس كل واحدة منهما صاحبتها فى تاليف حروفها ... كقول الشاعر :

يوما خلجت على الخليج نفوسهم عصبا وانت لمثلها مستام

خلجت : اى جذبت . والخليج بحر صغير يجذب الماء من بحر كبير (٢) " .

والتعطف : " ان تذكر اللفظ ثم تكرره والمعنى مختلف ... كقول الافوه :

واقطع الهوجل مستانسا بهوجل عيرانة عنتريس

فالهوجل الاول : الارض البعيدة الاطراف ، والهوجل الثاني : الناقه العظيمة الخلق (٣) " .

وما الفرق فى نظره بين التذييل ورد العجز على الصدر ؟

قال ابو هلال : " فاما التذييل فهو اعادة الالفاظ المترادفة على المعنى بعينه ، حتى يظهر

---

(١) الصناعتين ٢٩٨ (٢) الصناعتين ٢٤٩ - ٢٥٠ (٣) الصناعتين ٣٣٥

لمن لم يفهمه ، ويتوكد عند من فهمه ... ومثاله من القرآن قول الله عز وجل : " ذلك جزيناهم بما كفروا " وهل نجازي الا الكفور " وقوله تعالى : " وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ، افان مت فهم الخالدون ؟ ".(١)

واما رد العجز على الصدر فهو "انك اذا قدمت الفاظا تقتضي جوابا . فالمرضي ان تاتي بتلك الالفاظ في الجواب ولا تنتقل عنها الى غيرها مما هو في معناها ، كقول الله تعالى "جزاء سيئة سيئة مثلها " .. وكقوله تعالى : "انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض . وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا " ... وكقول الشاعر :

سريع الى ابن العم يلطم وجهه وليس الى داعي الوغى بسريع(٢)

وما الفرق بين المماثلة (٣) والكناية ،(٤) اذ مثلنا على المماثلة بقولهم : فلان نقي الثوب يريدون انه لاعيب فيه ، وقولهم : فلان طاهر الجيب : يريدون انه ليس بخائن ولاغادر . وعلى الكناية بقولهم: طويل النجاد ، كثير الرماد : كناية عن الطول والغنى ؟ ومثل ذلك يقال في بابي الغلو والمبالغة وكثير من الابواب .

يرى القارئ ان ليس في الامر اختلاف ، ولكنه التزيد والمكاثرة !

وانظر الان الى هذه الابواب من البديع واحكم اذا كانت تستحق ان تسمى بديعا ام لاتستحق :

الايغال : "كقول امرئ القيس :

كان عيون الوحش حول خبائنا وارجلنا الجزع الذي لم يثقب

فاوغل بالقافية في الوصف " واكد "التشبيه لها والمعنى قد يستقل دونها " يريد الباقلاني ان يقول : كان يستطيع الشاعر ان لايؤكد الكلام بقوله : "لم يثقب" قال العسكري : "الايغال هو ان يستوفي معنى الكلام قبل البلوغ الى مقطعه . ثم ياتي بالمقطع ليزيد معنى آخر يزيد به

---

(١) الصناعتين : ٢٩٤ (٢) الصناعتين ٣٠٥ (٣) الصناعتين ٢٧٧ (٤) الصناعتين ٢٩٠ —

وضوحا وشرحا وتوكيدا وحسنا ... كقول ذى الرمة :

قف العيس فى اطلال مية فاسال　　　رسوما كاخلاق الرداء المسلسل

فتم كلامه بالرداء قبل المسلسل ، ثم قال المسلسل فزاد شيئا بالمسلسل ، ثم قال :

اظن الذى يجدى عليك سوالها　　　دموعا كتبذير الجمان المفصل

فتم كلامه بالجمان ، ثم قال : المفصل ، فزاد شيئا [(١)] ....".

وانت ترى ان كلمتي : المسلسل والمفصل صفتان ، وانه من التمحل الغريب ان يسمى ذلك بابا من ابواب البديع .

ولا يكتفي الباقلاني والعسكرى بذلك ، بل انهما يعتبران "الايغال" شيئا اخر غير "التتميم والتكميل" . مع ان التتميم فى تعريف العسكرى : " هو ان توفى المعنى حظه من الجودة ، وتعطيه نصيبه من الصحة ، ثم لا تغادر معنى يكون فيه تمامه الا تورده ، او لفظا يكون فيه توكيده الا تذكره كقوله تعالى " من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة " فبقوله تعالى : "وهو مؤمن "تم المعنى [(٢)] " ويمثل الباقلاني على التتميم والتكميل بقول الشاعر :

رجال اذا لم يقبلوا الحق منهم　　　ويعطوه عادوا بالسيوف القواطع

قال الباقلاني "وانما تم جودة المعنى بقوله : ويعطوه [(٣)] ....".

وباب اخر "يخترعه "العسكرى وهو باب التوشيح ، وهو مضحك حقا ! قال العسكرى فى تعريفه : وهو ان يكون مبتداء الكلام "ينبى" عن مقطعه ، ومثل على ذلك بالاية : "ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون [(٤)] " . وهذا الباب ولا شك يتوقف على "حزر "القارئ ، فان لم يعرف المقطع من نفسه ، فليس فى الامر توشيح ، وان وفق الى كلمة

---

(١) الصناعتين ٣٠١ (٢) الصناعتين ٣٠٨ (٣) اعجاز القران ٤٧ (٤) الصناعتين ٣٠٢-٣٠٣

اخرى غير "تعملون " فقال : تصنعون ، فليس في الامر توشيح كذلك !

واخيرا لنذكر باب : الموءتلف والمختلف : قال العسكري : "وهو ان يجمع في كلام قصير اشياء كثيرة مختلفة او متفقة ،كقوله تعالى : "فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات ،" وقوله عز اسمه : "ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي "......(١)

وبديهي ان مثل هذا لايسمى بابا الا على سبيل التمحل الثقيل !

....

كانت موجة البديع اذا موجة جارفة ، ولم يكن بمقدور النقاد ان يتجنبوا البحث فيها ، راضين اوكارهين . على اننا اذا تخطينا هذه الظاهرة ،لايصعب علينا ان نميز في النقد مذهبين اثنين : الاول يحبذ الصناعة البديعية ويستحسن الاكثار منها ، ويرى ان الشعر والنثر لايعدوان ان يكونا ميدان براعة ووسيلة يظهر بها الاديب ماعنده من الشطارة في نظم الكلمات والعبث بالالفاظ . والثاني يقف من الصناعة البديعية موقف الحذر ، فيقبلها ولكن باعتدال ، ويرى انها اذا كثرت في الكلام خرجت به عن الطبع والحلاوة الى البرد والغثاثة . اولئك هم انصار الشعر المصنوع ، وهوءلاء هم انصار الشعر المطبوع :

فاما انصار الشعر المصنوع : فهم ادباء المدرسة الواقعية ، كالصاحب بن عباد وبديع الزمان الهمذاني والثعالبي والحاتمي . مدح الثعالبي ابا الطيب المتنبي بانه "يستعمل الفاظ الغزل والنسيب في اوصاف الحرب ! وهو مما لم يسبق اليه ، وتفرد به واظهر فيه الحذق بحسن النقل "كما عد ذلك برهانا " على جودة التصرف والتلعّب بالكلام !".(٢) وجاء في ترجمة الصاحب في ياقوت : "انه كان لكلفه بالسجع لايكاد ينزع عنه في الكلام والقلم ، لافي جد ولافي هزل . قال التوحيدي : قلت لابن المسيبي : اين يبلغ ابن عباد في عشقه للسجع ، قال : يبلغ به ذلك

---

(١) الصناعتين ٣١٩ (٢) يتيمة الدهر ١ : ١٤١

لو انه راى سجعة ينحل بموقعها عروة الملك ويضطرب بها حبل الدولة ويحتاج الى غرم ثقيل — وكلفة صعبة وتجشّم امور وركوب اهوال ، لما كان يخف عليه ان يفرج عنها ويخليها ، بل ياتي بها ويستعملها ولا يعبا بجميع ما وصفت من عاقبتها .

وقال ابن العميد : خرج ابن عباد من عندنا من الرى متوجها الى اصفهان ، فجاوز في طريقه قرية كالمدينة الى قرية غامرة وماء ملح ، لا لشيء الا ليكتب الينا : كتابي هذا من النوبهار يوم السبت نصف النهار [١] .

وهجا احد الشعراء الصاحب بقوله

السجع سجع مهوس والحظ حظ متترس والعقل عقل حمار [٢]

وكذلك كان الحاتمي ، وقد ذكر في مناظرته مع احد اشياع البحتري ، ان ابا تمام هو المقدم ، لتفوقه " في صنعه البديع واختراع المعاني ، على جميع المحدثين " [٣]

ومن غلاة انصار الصنعة : بديع الزمان الهمذاني ، وقد عاب على الجاحظ انه : قريب العبارات قليل الاستعارات ، منقاد " لعريان " الكلام يستعمله ، نفور من " معتاصه " يهمله ، ما سمع له بكلمة " غير مسموعة " او لفظه " غير مصنوعة " [٤] . وهذا عيب كبير !

وقد تبجح الهمذاني على الخوارزمي في مناظرة مشهورة بينهما ، بانه يقدر على ما لا يقدر عليه الخوارزمي من فنون الصناعة : كأن يكتب كتابا يقرأ منه جوابه ، او كتابا يقرأ من اخره الى اوله ، او كتابا اذا قرئ من اوله الى اخره كان كتابا ، فان عكست سطوره مخالفة كان جوابا ، او كتابا لا يوجد فيه حرف منفصل من راء يتقدم الكلمة او دال ينفصل عنها ، او خاليا من الالف واللام ، او خاليا من الحروف العواطل ، او كتابا اوائل سطوره كلها ميم واخرها جيم ، او كتابا اذا قرئ معرجا وسرد معوجا كان شعرا ، او كتابا اذا فسر على وجه كان مدحا واذا فسر على وجه كان قدحا ! [٥] .

---

(١) معجم الادباء ج ٢ ص : ٢٩٨ (٢) معجم الادباء ج ٢ ص ٢٩٧ (٣) زهر الاداب ٣ : ٢٧

(٤) زهر الاداب ٢ ص ١٨٨ (٥) كتاب كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان ٧٤-٧٦

وقد رد الخوارزمي عليه وسمى عمله " شعبذة " ، ولكن الهمذاني كان يرى الاجادة والشاعرية كلها في هذه "الشعبذة " . ويرى ان الكاتب الذى "لايحسن من الكتابة الاهذه الطريقة "الساذجة " وهذا النوع الواحد المتداول بكل قلم ، المتناول بكل يد وفم "لا يعد كاتبا مبدعا (١) !

....

واما انصار الشعر المطبوع : فمنهم الامدى والجرجاني والباقلاني والعسكرى ومؤلف "نقد الشعر" الادب في نظر هؤلاء النقاد : فن لاصنعة ، وليس من فاصل حنيفي بين هذين النوعين غير قضية الاجادة ، فالفن صنعة موفقة ، والصنعة فن لم يسعده التوفيق . قال العسكرى : "فالصنعة : النقصان عن غاية الجودة ، والقصور عن حد الاحسان ، وهو مثل قول العايب في هذا الامر ، بعد عمل معناه ، انه لم يحكم . ولما دخل النابغة يثرب ، وغني بقوله :

امن آل مية رائح اومغتد

ومن هذه القصيدة :

عنم يكاد من اللطافة يعقد

وعرف انه عيب ، خرج وهو يقول : دخلت يثرب فوجدت في شعرى "صنعة " فخرجت وانا اشعر العرب . اى وجدت نقصانا عن غاية التمام" (٢)

كان هؤلاء النقاد اذا لاينكرون على الاديب كل انواع الصنعة ، ولكنهم كانوا يفهمون منها غير ما يفهمه الصاحب بن عباد وبديع الزمان . كان يفهمون من الصنعة : انتظار الفكرة واختيار كرائم الالفاظ لها ، وترقب الساعة المواتيه لابرازها ، ومعاودة النظر اليها بالتشذيب والترتيب ، وليس هذا بتكلف في نظر العسكرى ، بل هو يندب اليه مادام حميد

---

(١) كشف المعاني والبيان : ٧٦ (٢) الصناعتين ٣٢-٣٣ . الرواية مبهمة ، راجع لفهمها اخر البحث الذى عنوانه : نماذج من النقد في الجاهليه .

الحائبة موفق النتيجة (١)

ويثني العسكري على الشعراء الذين عرفوا بتنقيح القصيدة ، ولا يرى راى الفئة التي تسميهم عبيد الشعراء . قال : " فاذا عملت القصيدة فهذبها ونقحها بالقاء ماغث من ابياتها ورث ورذل ، والانتصار على ما حسن وفخم ، بإبدال حرف منها باخر اجود منه حتى تستوى اجزاؤها وتتضارع هواديها واعجازها . وقد كان هذا داب جماعة من حذاق الشعراء من المحدثين والقدماء منهم زهير : كان يعمل القصيدة في سته اشهر ويهذبها في ستة اشهر ثم يظهرها فتسمى قصائده الحوليات . لذلك قال بعضهم : خير الشعراء الحولي المنقح (٢) . وكان الحطيئة يعمل القصيدة في شهر وينظر فيها ثلاثة اشهر و ثم يبرزها . وكان ابو نواس يعمل القصيدة ويتركها ليلة ، ثم ينظر فيها ، فيلقي اكثرها ويقتصر على العيون منها .... وكان البحتري يلقي من كل قصيدة جميع مايرتاب منه ، فخرج شعره مهذبا . وكان ابو تمام لايفعل هذا الفعل وكان يرضى باول خاطر فنعي عليه عيب كثير (٣) "

والحقيقة ان التهذيب الذي يدعو اليه العسكري واصحابه هو امر من صميم الفن الادبي وهو شيء اخر غير التعمل والتكلف ، بل انه الوسيلة الكبرى لدفع التكلف والتصنع . ذلك بان الفكرة تكون اول ماتجول في الذهن عارية عن القالب اللفظي ، تنشده ولا تراه ، او انها لا ترى القالب الاصلح لها . وبالتهذيب يلتمس الشاعر اصلح القوالب وينفي عن الفكرة شوائب المعاني : فيحذف من طرفها الجمل المخلة ، والكلمات القاصرة عن اداء المعنى المطلوب ، وبمعاودة الكاتب والشاعر لانتاجه ، تكون الفكرة قد نضجت ، واقتربت من ثوبها الطبيعي وابتعدت عن ثوبها الاول المستعار .

فرق عظيم بين التكلف والتهذيب . وانما يكون التكلف في تمحل الافكار الكاذبة والتشبث بالصور الفارغة ، او التسرع الى الفكرة قبل نضجها . والتهذيب هو ان ينظر الاديب الى

---

(١) الصناعتين ١٠٠ (٢) هذه الكلمة يرويها الثعالبي للحطيئة : عن كتاب : التمثيل والمحاضرة للثعالبي : مخطوطة غير مرقمة — وهي عندنا في الدفتر ص ١٢٣ (٤) الصناعتين

كل هذه الآفات فيحذفها ويبقي على المعنى الصحيح واللفظ الشريف والعبارة الواضحة .
التكلف هو اظهار الفكرة في غير قالبها ، والوصول اليها من غير طريقها الاقرب السليم ، والزيادة
عليها ماليس له اتصال بها . وما خلا ذلك فهو الطبع السليم . فالتكلف مرادف للتخلف ، والا
والطبع مرادف للاجادة ، وقد انحى الجرجاني باللوم على الشاعر الذي "لايعبأ باختلاف الترتيب
، واضطراب النظم ، وسوء التاليف ، وهلهلة النسيج ، ولايقابل بين الالفاظ ومعانيها ، ولايستبرما
بينهما من نسب ، ولا يمتحن ما يجتمعان فيه من سبب ، ولايرى اللفظ الاما ادى اليه المعنى
ولا الكلام الا ما صور له الغرض ولا الحسن الا ما افاده البديع ، ولا الرونق الا ما كساه
التصنيع [(١)] " وقال في مكان آخر : "وملاك الامر .... ترك التكلف ورفض التعمل والاسترسال
للطبع وتجنب الحمل عليه والعنف به . ولست اعني بهذا كل طبع ، بل المهذب الذي قد
صقلته الادب وشحذته الرواية وجلته الفطنة ، وأُلهم الفصل بين الرديء والجيد . وتصور امثلة
الحسن والقبح "الوساطة ٢٨ وواضح ان الجرجاني لايرى التهذيب في تزويق الالفاظ وحشيها
بالجناس والترصيع وشحنها بفنون البديع .

وواضح كذلك ان الطبيعة التي يدعو اليها الجرجاني ليست بالطبعة المرسلة التي
تتبادر الى الذهن لاول وهلة بل هي الطبيعة الكاملة كما يتمثلها خيال الاديب الفنان -
ويصفو اليها ، الطبيعة التي تحتاج الى " اخراج فني " يضعها في هيئتها المثلى : قال
الجرجاني : "كانت العرب ومن تبعها من السلف تجرى على عادة في تفخيم اللفظ وجمال
المنطق ، ومن حقه ان يختص بفضل تهذيب ، ويفرد بزيادة عناية فاذا اجتمعت تلك العادة
والطبيعة ، وانضاف اليها التعمل والصنعة ، خرج كما تراه فخما جزلا قويا متينا [(٢)] .

ذلك التهذيب هو كل الصناعة الفنية التي يرضاها هؤلاء النقاد ، وهي التي اهملها
المتنبي في بعض شعره فكانت علة مافيه من الغموض والاحالة والاغراب . وقد نسب ابو الطيب

---

(١) الوساطة ٣٠٨ (٢) الوساطة ٢١

ضعف شعره في اخر ايامه الى انه "اعفى طبعه واغتنم الراحة منذ فارق ال حمدان"(١) .

ومثل ذلك يقال في ابي تمام . فانه وضع نصب عينيه الصناعة البديعية واهمل تهذيب شعره وتصفيته من متوعر الالفاظ وبعيد الاستعارات . ولم يخترعفو ما يسمح به الخاطر ولم يلق بما يهجن الكلام ويذهب برونقه ومائه ، ولعل ذلك ، كما يقول الامدى ، ثلث شعره او اكثر" ولكنه شره الى ايراد كل ما جاش به خاطره ولجلجه فكره ، فخلط الجيد بالردئ ، والعين النادر بالرذل الساقط والصواب بالخطاء (٢) . قال مثقال الشاعر : "دخلت على ابي تمام وقد عمل شعرا لم اسمع احسن منه ، وفي الابيات بيت واحد ليس كسائرها ، وعلم اني قد وقفت على البيت ، فقلت له : لو اسقطت هذا البيت ؟ فضحك وقال لي : اتراك اعلم بهذا مني ؟ انما مثل هذا مثل رجل له عشرة بنون ، كلهم اديب جميل متقدم ، فيهم واحد قبيح متخلف ، فهو يعرف امره ويرى مكانه ولا يشتهي ان يموت ، ولهذه العلة وقع مثل هذا في اشعار الناس(٣) .

. . . .

اما الصناعة التي يقصد بها فنون البديع فقد كان للجرجاني واصحابه موقف اخر منها ، لانها غير التهذيب الفني الذى كانوا يستحبونه ويندبون اليه ، وهم لاينكرون على هذه الفنون جمالها وفائدتها في تجسيم المعاني وتقريبها . وقد خاضوا في ابوابها ، كما راينا ، وشاركوا في تمييز بعضها عن بعض ، وتسابقوا الى وضع اسمائها . وقد استعذب "التصريع"(٤) مؤلف نقد الشعر ، وعده دليلا على اقتدار الشاعر وسعة بحره (٥) . وقال ان الشعراء المطبوعين كثيرا مايذهبون اليه (٦) . كما استعذب "الترصيع" وهو ان يتوخى فيه تصيير مقاطع الاجزاء في البيت على سجع او شبيه به او من جنس واحد في التصريف كقول زهير :

كبداء مقبلة ، وركاء مدبرة قوداء فيها اذا استعرضتها خضع

---

(١) يتيمة الدهر ١ : ٦٢ (٢) الموازنة ٧٢ (٣) الموشح ٣٢١ واخبار ابي تمام للصولي ١١٤ -١١٥ وقد اخذنا نص الرواية من الكتاب الثاني ولكن كلمة عشرة من الموشح واصلها في كتاب الصولي بنون جماعة (٤) يريد المؤلف هنا ان تكون نهاية كل شطر على قافية القصيدة (٥) نقد الشعر ٣٠ (٦) نقد الشعر ٣٤

وكما يوجد فى اشعار كثير من القدماء المجيدين من الفحول ، وغيرهم ، وفى اشعار المحدثين المحسنين [١] " وقد استجاد كذلك التمثيل وارجع اليه " كثيرا من الحظ الشعرى فى الكلام [٢] " ولكنه لايرى للشاعر ان يتكلف هذه المحسنات البديعية تكلفا ، ولا ان يكثر منها قال : " واكثر الشعراء المصيبين ... قد غزوا هذا المغزى وربوا هذا المرمى ، وانما يحسن اذا انفق فى البيت موضع يليق به ، فانه ليس فى كل موضع يحسن ولا على كل حال يصلح ولا هو اذا تواتر واتصل فى الابيات كلها بمحمود ، فان ذلك اذا كان دل على تعمد وابان عن تكلف [٣] .

واسهب العسكرى فى تبيين فوائد الاستعارة ، ولكنه وقف جمالها على هذه الفوائد وهى : ان يكون غرضها : شرح المعنى وفضل الابانة منه ، او تاكيده ، او الاشارة اليه بالقليل من اللفظ ، اوحسن المعرض الذى يبرز فيه . والا فالحقيقة اولى من الاستعارة بالاستعمال [٤] وقد استشهد على الاستعارة بالاية الكريمة " ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك " فقال : " حقيقته : لاتكونن ممسكا . والاستعارة ابلغ : لان الغل مشاهد والامساك غير مشاهد ... [٥] وفائدة التذبيل " اى رد العجز على الصدر " " ان المعنى يزداد به انشراحا والمقصد اتضاحاً [٦] ولكن العسكرى لايسيغ الاكثار من هذه الاجناس ، كما راينا ، وينتقد على الخنساء موالاتها ذلك فى قصيدة لها حين تقول :

حامي الحقيقة ، محمود الخليقة مهـــ ـــدى الطريقة نفاع وضرار

فكال سامية ، وَرّاد طامـــية للمجد نامية ، تعنيه اسفار

جواب قاصية جزار ناصـــية عقاد الويـــة ، للخيل جرار

حلو حلاوته ، فصل مقالته فاش حمالته للعظم جبار

---

(١) الكبداء : المراة الفخمة الوسط الا البطيئة السير . والقوداء الثنية العالية : راجع ٢٤-٢٥ من نقد الشعر بتصرف (٢) نقد الشعر ٩٤-٩٥ (٣) نقد الشعر ٢٨ (٤) الصناعتين ٢٠٥
(٥) الصناعتين ٢١١ (٦) ٢٩٤ من الصناعتين

فاكثرت استعمال التصريع (١)

وكذلك الباقلاني ، لم يغب عليه حلاوة البديع ، ولكنه قرر انها حلاوة سطحية ، ليس لها اتصال وثيق بالموهبة الفنية ، ولا تكشف عن غير صناعة تكتسب بالعادة والمراس ، وحذر من معاندة الطبيعة وقسرها على الاسترسال في فنون البديع . جاء في كلامه عن ابي تمام : " وربما اسرف في المطابق والمجانس ووجوه البديع من الاستعارة وغيرها حتى استثقل نظمه واستوخم رصفه ، وكان التكلف باردا ، والتصرف جامدا . وربما اتفق مع ذلك في كلامه النادر المليح كما يتفق البادر القبيح . فاما البحتري ، فانه لا يرى في التجنيس ما يراه ابو تمام ، ويقل التصنع له فاذا وقع في كلامه كان في الاكثر حسنا رشيقا ، وظريفا جميلا . وتصنعه للمطابق كثير حسن ، وتعمله في وجوه الصنعة على وجه طلب السلامة والرغبة في السلاسة ، فلذلك يخرج سليما من العيب في الاكثر (٢) .

وقد اورد الجرجاني بيت امرئ القيس :

تصد وتبدي عن اسيل وتتقي ... بناظرة من وحش وجرة مطفل

وبيت عدي بن الرقاع :

وكأنها بين النساء اعارها ... عينيه احور من جاذر جاسم

فذكر " اسراع القلب اليهما " وكلاهما خال من الصنعة ، بعيد عن البديع " ثم قارن بينهما وبين غزل ابي تمام اذ يقول :

دعني وشرب الهوى باشارب الكاس ... فانني للذي حسيته حاسي

لا يوحشنك ما استسمجت من سقمي ... فان منزله من احسن الناس

من قطع اوصاله توصيل مهلكتي ... ووصل الحاظه تقطيع انفاسي

متى اعيش بتأميل الرجاء اذا ... ماكان قطع رجائي في يدي ياسي

---

(١) الصناعتين ٢٩٨—٢٩٩ (٢) اعجاز القران ٥١—٥٢

قال الجرجاني : " لم يَخْل بيت من هذه الابيات من معنى بديع وصنعة لطيفة : طابق ، وجانس واستعار ، فاحسن . وهي محدودة في المختار من غزله ، وحق لها : فقد جمعت على قصرها فنونا من الحسن واصنافا من البديع . ثم فيها من الاحكام والمتانة والقوة ماتراه . ولكنني ما اظنك تجد له من سورة الطرب وارتياح النفس ما تجده لقول بعض الاعراب :

اقول لصاحبي والعيس تهوى	بنا بين المنيفه فالضمار
تمتع من شميم عرار نجد	فما بعد العشيته من عرار
الا ياحبذا نفحات نجد	وريا روضه غب القطار
وعيشك اذ يحل القوم نجدا	وانت على زمانك غير زار
شهور ينقضين وما شعرنا	بانصاف لهن ولا سرار
فاما ليلهن فخير ليل	واقصر ما يكون من النهار

فهو كما تراه بعيد عن الصنعة ، فارغ الالفاظ ، سهل الماخذ ، قريب التناول " ثم يقول " وكانت العرب انما تفاضل بين الشعراء : بشرف المعنى ، وصحة اللفظ وجزالته واستقامته وتسلم السبق فيه لمن وصف فاصاب ، وشبه فقارب ، وبده فاغزر ، ولمن كثرت سواير امثاله ، وشوارد ابياته . ولم تكن تعبا بالتجنيس والمطابقة ، ولا تحفل بالابداع والاستعارة اذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض .. (١) ....

(٣) موقف النقاد من رسالة الادب

يقول البيهقي : " قيل ليس احد من الناس آكل للسحت ، وانطق بالكذب ، ولا اوضع ولا اطمع ولا اقل نفسا ، ولا ادنى همة من شاعر . ولذلك قال ابو سعد المخزومي :

الكلب والشاعر في حالة	يا ليت اني لم اكن شاعرا
هل هوالا باسط كفه	يستطعم الوارد والصادرا (٢)

---

(١) الوساطة ٣٣-٣٩ (٢) المحاسن والمساوى ٤٦١

ومن طريف الانتقادات التي ترينا مكانة الشاعر في تلك الايام ما علق به العسكري على بيت كثير:

وان امير المؤمنين برفقة | غزا كامنات الود مني فنالها

قال ابو هلال : "فجعل امير المؤمنين يتودد اليه !" واخذ على هذا الشاعر قوله في عبد العزيز بن مروان :

وما زالت رقاك تسل ضغني | وتخرج من مكامنها ضبابي
ويرقيني لك الراقون حتى | اجابة حية تحت التراب

لان الشاعر احط من ان يفكر ملك في تطييب خاطره واستجلاب وده ! "وانما تمدح الملوك بمثل قول الشاعر :

له همم لامنتهى لكبارها | وهمته الصغرى اجل من الدهر
له راحة لو ان معشار جودها | على البر كان البر اندى من البحر (١)

والحقيقة ان الذى يمعن النظر في روح الشعر العربي على وجه الاجمال لايرى لاكثر الشعراء نفوسا رفيعة تضع نصب عينيها رسالة عالية . وقد استغرقت المدائح والاهاجي قسما كبيرا من انتاج فحول الشعر كالفرزدق وجرير والاخطل وبشار وابي تمام والبحتري ... وقد هجا بعض الشعراء ابا تمام فسكت عنه ولما سئل في ذلك قال : ما لي فضل عن مدح من اجتديه

وكان المدح عندهم « ماجورا » يدفع اليه الطمع وحب الوجاهة والتقرب من الامراء ، فكان موقف الشاعر يتبدل بتبدل حال ممدوحه ، وفي ابن خلكان ان البحتري كان كثيرا لهجاء لممدوحيه اذا مالت الدنيا عنهم ، وانه كان ينقل مديحه من رجل الى اخر ويبدل الاسم (٢)

وقد راينا ان من خصائص المدرسة " الواقعية " شيوع الاباحية وتحكم الخلاعة واهمال المثل الاخلاقية : غلاميات ، وخمريات ، وزندقة ووصف لمجالس الانس .... وهذه المدرسة ولا ريب كانت المدرسة الشعرية الاقوى من حيث كثرة ادبائها ونفوذ كلمة زعمائها . واذا صعدنا

---

(١) الصناعتين : ٥٥ (٢) ابن خلكان ٢: ٢٥٩ تجد ترجمة البحتري

بالذاكرة الى العهد الجاهلي ، فاننا لانفوز من شعرائها بكل ما تطمح اليه اليوم من ادبائنا في ميدان الاصلاح وذلك مادعى الباقلاني الى اعتبار الرسالة العالمية السامية التي جاء بها القرآن دليلا على اعجازه ، على حين كان الشاعر " انما يقصد الى الامور البعيدة عن الوهم والاسباب التي لايحتاج اليها ، فيكثر فيها من شعر ورجز . ونجد من يعينه على نقله على ما قدمنا ذكره من وصف الابل ونتاجها . وكثير من امرها لافائدة في الاشتغال به في دين ولا في دنيا . ثم كانوا يتفاخرون باللسن والذلاقة والفصاحة والدراية ، ويتنافرون فيه وتجرى بينهم فيه الاسباب المنقولة في الاثار على مالايخفى على اهله . فاستدللنا بتحيرهم في امر القرآن على خروجه عن عادة كلامهم ، ووقوعه موقعا يخرق العادات . وهذه سبيل المعجزات (١) " .

وقد عرّض الخوارزمي بكذب الشعراء فقال : " لو كان الورق اغرب من السخاء والقلم اغلى من الماء ، في وسط الدهناء ، واقل من العنقاء المغرب العنقاء ، واعوز من الكمال في النساء . ومن الصدق في الشعراء : لما كان لي عذر في ترك مكاتبة الفقيه (٢) " وعلى اعترافه ببراعة ابي الطيب واعجابه بشاعريته (٣) ، فانه انتقد عليه قلة وفائه ، وايثاره الطمع على المحبة " وانه كان لو راى الطمع في حجر فارة لدخله .... قالناس كما استحسنوا قوله استقبحوا فعله ، وكما عجبوا بشعره تعجبوا من غدره . يشكر ثم يشكو ، ويمدح ثم يهجو ، ويشهد ثم يجرح شهادته ويعطي ثم يسترجع عطيته ... (٤) " .

وكان المعرى عميق الالم من دناءة الشعراء وسقوط اخلاقهم ، ويزيده الما انه كان يعتقد ان الدناءة والانحطاط هما امران لابد منهما لاثارة مكامن الشاعرية في النفس . ولا ريب ان هذا الاعتقاد نتيجة لتلازم الشعر وسوء الخلق في ازمان طويلة ، حتى اصبح من الصعب على رجل كالمعرى ان يفرق بينهما . قال المعرى بعد ان نبه الى انه آخذ نفسه بالصدق والاصلاح في شعره : " واضيف الى ما سلف من الاعتذار ان من سلك في هذا الاسلوب

---

(١) اعجاز القران : ٣٥ــ٣٦ (٢) رسائل الخوارزمي : ٤٧ (٣) كتاب الاعجاز والايجاز ٢١٥ ورسائل الخوارزمي ١٦٨ ، ١٨٤ حيث يستشهد بشعره (٤) رسائل الخوارزمي ٦ــ٧

ضعف ما ينطق به من النظام لانه يتوخى الصادقة ويطلب من الكلام البرة . ولذلك ضعف كثير من شعر امية بن ابي الصلت الثقفي ومن اخذ بغريه من اهل الاسلام . ويروى عن الاصمعي كلام معناه ان الشعر باب من ابواب الباطل فاذا اريد به غير وجهه ضعف(١) .

على ان العسكري قد تنبه الى الراى الصحيح في هذا الموضوع . فبعد ان قرر انحطاط رسالة الشعر في الواقع "لان اكثره قد بني على الكذب والاستحالة من الصفات الممتنعة والنعوت الخارجة عن العادات والالفاظ الكاذبة" يعود فيبين ان هذا النقص عارض على الشعراء وليس اصلا فيهم . قال " واما النقص الذى يلحق الشعر من الجهات التي ذكرناها ، فليس يوجب الرغبة عنه والزهادة فيه . واستثناء الله عز وجل في امر الشعراء(٢) ، يدل على ان المذموم من الشعر انما هو المعدول عن جهة الصواب الى الخطاء ، والمصروف عن جهة الانصاف والعدل الى الظلم والجور ، واذا ارتفعت هذه الصفات ارتفع الذم . ولو كان الذم لازما له لكونه شعرا لما جاز ان يزول عنه على حال من الاحوال .... والذى قصّر بالشعر كثرته وتعاطى كل احد له حتى العامة والسفلة ، فلحقه من النقص ما لحق العود والشطرنج حين تعاطاهما كل احد(٣)" .

ولكن هذا النقص الاخلاقي يقتصر تاثيره على الادب من الوجهة الاجتماعية . واما من الناحية الفنية الخالصة ، فبامكاننا ان نقول ان بين الادباء في القرن الرابع ما يشبه — الاجماع على الفصل بين الفن والرسالة . قال العسكرى : "ليس يراد من الشعر الاحسن اللفظ وجودة المعنى ، وهذا ما سوغ استعمال الكذب" . ويفرق هذا الناقد بين مهمته الشاعر الفنية ، وبين مهمة النبي الذى يراد منه تمثيل الحقائق والعناية بالفضائل : "قيل لبعض الفلاسفة : فلان يكذب في شعره ، فقال : يراد من الشاعر حسن الكلام ، والصدق يراد من

---

(١) لزوم ما لا يلزم ٣١—٣٢ (٢) يشير العسكرى هنا الى الاستثناء الذى ورد في الاية : "والشعراء يتبعهم الغاوون . الم تر انهم في كل واد يهيمون ، وانهم يقولون ما لا يفعلون . الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا ، وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون " راجع اخر سورة الشعراء (٣) الصناعتين ١٠٤

من الانبياء .(١) .

وقد عجب الجرجاني ممن ينتقص ابا الطيب ويغض من شعره لابيات وجدها تدل على ضعف العقيدة وفساد المذهب كقوله :

يترشفن من فمي رشفات هن فيه احلى من التوحيد (٢)

قال القاضي الجرجاني : "فلوكانت الديانة عارا على الشعراء ، وكان سوء الاعتقاد سببا لتاخر الشاعر ، لوجب ان يمحى اسم ابي نواس من الدواوين ، ويحذف ذكره اذا عدت الطبقات ولكان اولاهم بذلك اهل الجاهلية ومن تشهد الامة عليه بالكفر . ولوجب ان يكون كعب بن زهير وابن الزبعرى واضرابهما ممن تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاب من اصحابه بكماء خرسا وبكاء مفحمين ، ولكن الامرين متباينان . والدين بمعزل عن الشعر(٣) .

وبديهي ان القاضي لم يحل المشكلة حلا عقليا ، ولكنه نقلنا الى مشكلة مشابهة لها عند ابي نواس وغيره ، واطلعنا على نماذج من الشعر تقر العزيزة ويشهد الذوق بتلونها وهي وليدة التهتك والكفر . فكان دليله الذوق لا المنطق . ولكنه ابان عن رايه في هذا الموضوع وهو رأى له دلالته ، ويجب ان نذكر كما يقول الدكتور زكي مبارك "ان صاحب هذه الفكرة هو "قاضي القضاة" وسيد الفقهاء في الري وجرجان : لنعرف الى اى حد كانت النزعة الفنية مسيطرة على مشاعر هذا القاضي الاديب (٤) .

---

(١) الصناعتين ١٠٣ (٢) نذكر بهذه المناسبة ما اورده ابن خلكان في كلامه عن ابي حيان "التوحيدى" : والتوحيدى : بفتح التاء المثناة من فوقها وسكون الواو وكسر الحاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة . ولم ار احدا ممن وضع كتب الانساب تعرض الى هذه النسبه ، لا السمعاني ولا غيره . ولكن يقال ان اباه كان يبيع "التوحيد" ببغداد وهو نوع من "التمر" بالعراق . وعليه حمل بعض من شرح ديوان المتنبي قوله

يترشفن من فمي رشفات هنّ فيه احلى من التوحيد

وفيات الاعيان ١ : ٨٨ (٣) الوساطة ٥٧-٥٨ (٤) النثر الفني ٢ : ٢٥

وقد رد الصولي على الذين ينسبون الكفر لابي تمام . وقدّم ذلك بقوله : "وقد ادعى عليه — أي على ابي تمام — قوم الكفر ، بل حققوه ، وجعلوا ذلك سببا للطعن على شعره وتقبيح حسنه ، وما ظننت ان كفرا ينقص من شعر ، ولا ايمانا يزيد فيه [(١)] " ثم اضاف : " وكذلك ماضر هؤلاء الاربعة الذين اجمع العلماء على انهم اشعر الناس : امرأ القيس والنابغة الذبياني وزهيرا والاعشى كفرهم في شعرهم ، وانما "ضرهم في انفسهم " . ولا راينا جريرا والفرزدق يتقدمان الاخطل عند لا من يقدمهما عليه ، بايمانهما وكفره . وانما تقدمهما بالشعر وقد قدم الاخطل عليهما خلق من العلماء . وهؤلاء الثلاثة طبقة واحدة ، وللناس في تقديمهم اراء [(٢)] .

وعاب الثعالبي على المتنبي البيت الذي ذكره الجرجاني : لانه يوضح عن ضعف العقيدة ورقة الدين ، ولان للدين حقه من الاجلال الذي لا يسوغ الاخلال به قولا وفعلا ونظما ونثرا ، ومن استهان بامره فقد باء بغضب من الله تعالى . ولكنه يرى راى الصولي من ان رقة الدين امر شخصي وان " الديانة ليست عيارا على الشعراء ، ولا سوء الاعتقاد سببا لتاخر الشاعر [(٣)] " . كما ان الثعالبي قد ميز في كلامه عن الشاعر ابن الحجاج بين غاية الادب وغاية الاخلاق فقال : "ولولا ان جد الادب جد ، وهزله هزل ، كما قال ابراهيم بن المهدي لصنت كتابي هذا عن كثير من كلام من يمد يد المجون فيعرك بها اذن الحزم ويفتح جراب السخف فيصفع بها قفى العقل ، ولكنه على علاته تتفكه الفضلاء بثمار شعره ، وتستملح الكبراء بينات طبعه وتستخف الادباء ارواح نظمه ، ويحتمل المحتشمون فرط رفثه وقذعه ، ومنهم من يغلو في الميل الى ما يضحك ويمتع من نوادره . ولقد مدح [(٤)] الملوك والامراء والوزراء والرؤساء فلم يخل قصيدة فيهم من سفاتج هزله ونتائج فحشه . وهو عندهم مقبول الجملة

---

(١) اخبار ابي تمام ١٧٢ (٢) اخبار ابي تمام : ١٧٤ (٣) يتيمة الدهر ١ : ١١٦ (٤) اي الشاعر ابن الحجاج .

عالي مهر الكلام ، موفور الحظ من الاكرام والانعام ، مجاب الى مقترحه من الصلات الجسام ، والاعمال المجدية التي ينقلب منها الى خير حال (١) .

واذا كان لابد للاديب من غاية فيما يكتب فانها الغاية الفنية ، التي ترمي الى الترفيه عن النفوس واستحضار المرح والسرور لها ، شان بقية الفنون الجميلة (٢) . قال قدامة : "ومما يزيد في حسن الشعر ويمكن له حلاوة في الصدر ... الايجعله الشاعر كله جدا فيستثقل ، اذ كانت النفوس ربما ملت الحق واستثقلته ، واحتاجت الى ان تعترى نشاطها وتبقى جمامها بشي" ، والا يجعل شعره كله هزلا فيكسد عند ذوى العقول ، ولكن يخلط جدا بهزل ويستعمل كلا في موضعه وعند اهله ومن ينفق عنده . وممن عرف هذا المعنى في الشعر واخذ فيه واربى فيما اتى منه على من تقدمه : ابو نواس (٣)...".

اما ما خلا هذه الغاية الفنية ، فلايتقيد الادب بشي" ، "لان المعاني كلها معرضة للشاعر كما يقول صاحب نقد الشعر ، وله ان يتكلم منها في ما احب واثر ... وعلى الشاعر اذا شرع في اى معنى كان من الرفعه والضعه ، والرفث والنزاهة ، والبذخ والقناعة ، والمدح وغير ذلك من المعاني الحميدة او الذميمة : ان يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك الى الغاية المطلوبة (٤) " ثم يقول وانما قدمت هذا المعنى لما وجدت قوما يعيبون الشعر اذا سلك الشاعر فيه هذا المسلك فاني رايت من يعيب امرا" القيس في قوله :

فمثلك حبلي قد طرقت ومرضع	فالهيتها عن ذى تمائم محول
اذا ما بكى من خلفها انصرفت له	بشق وتحتى شقها لم يحول

ويذكر ان هذا معنى فاحش . وليس فحاشة المعنى في نفسه مما يزيل جودة الشعر فيه ، كما لا يعيب جودة النجارة في الخشب مثلا رداءته في ذاته " نقد الشعر ١٤-١٥ مع بعض التصرف اللفظي

---

(١) يتيمة الدهر ٢ : ٢١١ (٢) الصاحبي ٢٢٠ (٣) نقد النثر ٨٠ (٤) نقد الشعر ١٤

وكذلك فيما يتعلق بالصدق والكذب والفائدة ، فهي امور لاصلة لها بالفن الادبي
قال الامدي : "والشاعر لايطالب بان يكون قوله صدقا ، ولا ان يوقعه موقع الانتفاع به ، لانه
قد يقصد الى ان يوقعه موقع الضرر ... وبقيت الخلتان الاخريان واجبتان في شعر كل
شاعر : ان يحسن تاليفه ، ولايزيد فيه شيئا على قدر حاجته ، فصحة التاليف في الشعر
وفي كل صناعة هي اقوى دعائمه بعد صحة المعنى (١) ".

بل انهم ربما وجدوا ان من البراعة في الادب : " ان يصور الاديب الباطل
في صورة الحق ، والحق في صورة الباطل ، كما يقول ابن عبد ربه ، وذلك بلطف معناه ورقة
فطنته ، فيقبح الحسن الذي لااحسن منه ، ويحسن القبيح الذي لااقبح منه (٢) ".

ويعلل العسكري ما يعتقده النقاد من ان الشاعرية في التلطف لقلب الحقيقة بقوله
" وهذا امر صحيح ، لايخفى موضع الصواب فيه على احد من اهل التمييز والتحصيل .
وذلك ان الامر الصحيح ينادي على نفسه بالصحة ، ولايحوج الى التكلف لصحته . وانما "
الشأن " في تحسين ماليس بحسن ، وتصحيح ماليس بصحيح ، بضرب من الاحتيال ونوع
من العلل ، ليخفي موضع الاشارة ويغمض موقع التقصير " ثم يقول - وكلامه على جانب من
الاهمية : " وما اكثر ما يحتاج الكاتب الى هذا الجنس ، عند اعتذاره من هزيمة ، وحاجته
الى تغيير رسم ، او رفع منزلة دنيء له فيه هوى ، او حط منزلة شريف استحق ذلك منه . الى
غير ذلك منه " ومثّل على ذلك بقول عبد الملك بن صالح بذم المشورة ، وهي ممدوحة بكل
لسان : " ما استشرت احدا الا تكبر عليّ وتصاغرت له ، ودخلته العزة ودخلتني الذلة .
فعليك بالاستبداد فان صاحبه جليل في العيون ، مهيب في الصدور ، واذا افتقرت
الى العقول حضرتك العيون ، فتضعضع شانك ، ورجفت بك اركانه ، واستحقرك الصغير ، واستخف

---

(١) الموازنة ٢١٤ (٢) العقد ج ٣ : ١٤٧

بك الكبير . وما عز سلطان لم يغنه عقله عن عقول وزرائه ، وارا، نصحائه " قال العسكرى :
"فالمتمكن من نفسه يضع لسانه حيث يريد .

وظاهر ان ليس فى كلام عبد الملك هذا ما يدل على انه يخالف اختباره الشخصي ولانخال انه يرمي فى هذا الكلام الى العبث بالحقيقة التي يراها الناس فى المشورة ، ولكنه يعبر عن راى شخصي يحسه ويعتقده ، وتلك علة اجادته واصابته فى تناول المشورة من ناحيتها المضرّة .

على ان العسكرى انما ينظر بوجه الاجمال ، الى الاديب من ناحية انتاجه الموضوعي الذى يستطيع ان ينفلت فيه من واقع الحال ليؤدى مهمة ~~الداهية~~ الداهية المرن او الحكيم اللبق الذى يتناول الناحية الملائمة من الامور ويجسمها ويحسن عرضها لتطغى على النواحي الاخرى . فالعسكرى يتناول هنا قضية الصدق والكذب من ناحيتها الفنية . وليس للادب الموضوعي بد من الاخذ بهذا الراى ، واحر بالمثال الذى اورده العسكرى ان يوضع فى قصة على لسان ملك مستبد كالاسكندر الكبير حال اعراضه عن نصائح استاذه ارسطو او نابليون فى خلافه مع الاديب شاتوبريان !

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

. .

قائمة المصادر

الغاية من هذه القائمة ان يعرف القارئ المؤلفات التي رجعنا اليها مع اسماء اصحابها ، وسنين وفياتهم ، ومكان الطبع وزمانه

اسم الكتاب	اسم المؤلف	سنة وفاة المؤلف	مكان الطبع وزمانه
طبقات الشعراء	لمحمد بن سلام الجمحي	٢٣٢ هـ	ليدن : ١٩١٣
البيان والتبيين	لعمرو بن بحر الجاحظ	٢٥٥ هـ	طبعة السندوبي . مصر ١٩٣٢
الشعر والشعراء	لابن قتيبه الدينوري	٢٧٦ هـ	مصر ١٣٣٢ هـ
كتاب البديع	لعبدالله بن المعتز	٢٩٦ هـ	لينينغراد ١٩٣٥
تاريخ الرسل والملوك	لمحمد بن جرير الطبري	٣١٠ هـ	ليدن ١٨٧٩
المحاسن والمساوئ	لابراهيم بن محمد البيهقي	٣٢٠ هـ	ليبسك ١٩٠٢
العقد	لاحمد بن عبد ربه	٣٢٧ هـ	مصر ، بولاق ، ١٢٩٣ هـ
اخبار ابي تمام	لابي بكر محمد بن يحي الصولي	٣٣٥ هـ	مصر ١٩٣٧
كتاب الاوراق	لابي بكر محمد بن يحي الصولي	٣٣٥ هـ	مصر ١٩٣٤
نقد الشعر	المنسوب الى قدامه بن جعفر	٣٣٧ هـ	مصر ١٩٣٥
نقد النثر	المنسوب الى قدامه بن جعفر	٣٣٧ هـ	مصر ١٩٣٣
مروج الذهب ومعادن الجوهر	للمسعودي	٣٤٦ هـ	باريس ١٨٧٢
ديوان ابي الطيب المتنبي	للمتنبي . شرح اليازجي	٣٥٤ هـ	بيروت ١٨٨٢
كتاب الامالي ويليه : الذيل - والنوادر	لابي علي القالي	٣٥٦ هـ	مصر ١٩٢٦
	لابي علي القالي	٣٥٦ هـ	مصر ١٩٢٦

اسم الكتاب	اسم المؤلف	سنة وفاة المؤلف	مكان الطبع وزمانه
كتاب الاغاني	لابي الفرج الاصبهاني	٣٥٦ هـ	مصر : طبعة دار الكتب ١٩٢٧ وبولاق ١٢٨٥هـ
الموازنة بين ابي تمام والبحترى	لابي القاسم الحسن بن بشير الآمدى	٣٧١ هـ	بيروت ١٣٣٢ هـ
المؤتلف والمختلف في اسماء الشعراء وكناهم ..وشعرهم	لابي القاسم الحسن بن بشر الامدى	٣٧١ هـ	مصر ١٣٥٤ هـ
الفهرست	لابن النديم	٣٧٨ هـ	ليبسك ١٨٧١
رسائل الخوارزمي	لابي بكر الخوارزمي	٣٨٣ هـ	؟ ١٢٧٩ هـ
معجم الشعراء	لمحمد بن عمران المرزباني	٣٨٤ هـ	مصر ١٣٥٤ هـ
الموشح	=	٣٨٤ هـ	مصر ١٣٤٣ هـ
الكشف عن مساوئ شعر المتنبى	للصاحب بن عباد	٣٨٥ هـ	مصر ١٣٤٩ هـ
الرسالة الحاتمية فيما وافق المتنبي في شعره كلام ارسطو في الحكمة	لابي علي الحاتمي	٣٨٨ هـ	بيروت ١٩٣١ م
كتاب الصاحبي	لاحمد بن فارس	٣٩٠ هـ	مصر ١٩١٠ م
ذم الخطاء في الشعر	=	٣٩٠ هـ	مصر ١٣٤٩ هـ
الخصائص	لابي الفتح عثمان بن جني	٣٩٢	؟ ؟
الصناعتين . الكتابة والشعر	لابي هلال الحسن بن سهل العسكرى	٣٩٥ هـ	آستانة ١٣١٩ هـ

اسم الكتاب	اسم المؤلف	سنة وفاته	مكان الطبع وزمانه
رسائل بديع الزمان	لبديع الزمان الهمذاني	٣٩٨ هـ	بيروت ١٨٩٠ م
اعجاز القرآن	للقاضي ابي بكر الباقلاني	٤٠٣ هـ	مصر ١٣١٥ هـ
تجارب الامم	لابي علي الخازن . مسكويه	٤٢١ هـ	مصر ؟
خاص الخاص	لابي منصور الثعالبي	٤٢٩ هـ	مصر ١٨٠٩ م
النهاية في التعريض والكناية	=	٤٢٩ هـ	مكة ١٣٠١ هـ
التمثيل والمحاضرة	لابي منصور الثعالبي	٤٢٩ هـ	مخطوطة ٨/٩ من المكتبة الاحمدية بحلب برقم (١١٦٠)
الاعجاز والايجاز	لابي منصور الثعالبي	٤٢٩ هـ	مصر ١٨٩٧ م
ثمار القلوب في المضاف والمنسوب	لابي منصور الثعالبي	٤٢٩ هـ	مصر ١٩٠٨
نظم النثر وحل العقد	لابي منصور الثعالبي	٤٢٩	مصر ١٣١٧
يتيمة الدهر	للثعالبي	٤٢٩ هـ	دمشق ١٣٠٤ هـ
تحفة الامراء في تاريخ الوزراء	للحسن بن ابراهيم الصابي	٤٤٨ هـ	بيروت ١٩٠٤ م
رسالة الغفران	لابي العلاء المعري	٤٤٩ هـ	مصر ١٩٢٣ م
عبث الوليد	لابي العلاء المعري	٤٤٩ هـ	دمشق ١٩٣٦ م
زهر الاداب	لابي اسحاق الحصري	٤٥٣ هـ	مصر ١٩٢٩ م
تاريخ بغداد او مدينة السلام	لابي بكر احمد : الخطيب البغدادي	٤٦٣ هـ	؟ ١٩٣١ م
ذيل تجارب الامم	للوزير ابي شجاع	٤٨٨ هـ	مصر ١٩١٦ م

اسم الكتاب	اسم المؤلف	سنة وفاته	مكان الطبع وزمانه
معجم الادباء	لياقوت الرومي	٦٢٦ هـ	طبعة مرجوليوث : مصر
الكامل في التاريخ	لعزالدين بن الاثير	٦٣٠ هـ	ليدن ١٨٦٦
وفيات الاعيان	لابن خلكان	٦٨١ هـ	مصر ١٢٧٥ هـ
تاريخ اداب اللغة العربية	لجورجي زيدان	١٩١٥ م	مصر ١٩٣٠
حديث الاربعاء	الدكتور طه حسين		مصر ١٩٢٥
تاريخ الفلسفة في الاسلام	De Boer	ترجمة . عبدالهادى ابو ريدة	مصر ١٩٣٨
امراء الشعر العربي في العصر العباسي	للاستاذ انيس المقدسي		بيروت ١٩٣٦
الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى	Adam Mez	ترجمة : عبدالهادى ابو ريدة	مصر ١٩٤٠
تاريخ الادب العربي	للاستاذ احمد حسن الزيات		مصر : الطبعة الثانية
نقد الشعر	للاستاذ نسيب عازار		بيروت ١٩٣٩
النثر الفني في القرن الرابع	للدكتور زكي مبارك		مصر ١٩٣٤
ضحى الاسلام	للاستاذ احمد امين		مصر : الطبعة الثانية
تاريخ النقد الادبي عند العرب	للاستاذ طه احمد ابراهيم		مصر ، ١٩٣٧
" حضارة الاسلام في دار السلام "	للاستاذ جميل نخله المدور		مصر : ١٩٣٢

The Encyclopaedia of Islam 1913

A Literary History of the Arabs : Nicholson

—— • ——

فهرس الرســـــــــالة